وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر(2)

كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم اللغة العربية وآدابها

المركز الجامعي الحاج موسى أق أخموك – تمنغست –
معهد الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

صورة المرأة "الزنجية" في روايات توني موريسون

"محبوبة" و "العين الأكثر زرقَة" أنموذجا

مـــذكرة لنيـل شهـادة المـاجستير
تخصص: أدب إفـــريقي

إعــداد الطالب: إشــراف الأستاذة:
أحمـد عابـوا د / مليكة بن بوزة

السنة الجـامعية:2015م– 2016 م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر(2)
كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية قسم اللغة العربية وآدابها

المركز الجامعي الحاج موسى أق أخموك – تمنغست –
معهد الآداب واللغات قسم اللغة العربية وآدابها

صورة المرأة "الزنجية" في روايات توني موريسون

"محبوبة" و "العين الأكثر زرقَة" أنموذجا

مـــذكرة لنيل شهـادة المـاجستير
تخصص: أدب إفـــريقي

إعـــداد الطالب: إشراف الأستاذة:
أحمـد عابـوا د / مليكة بن بوزة

لجنة المناقشة:

الأستاذة: أ.د. قنية شتـوح ..... رئيساً
الأستاذة: د. مليكة بن بوزة ..... مشرفاً ومقرراً
الأستاذ: د. الزاوي لعموري ..... عضواً

السنة الجـامعية:2015م– 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـداء

إلى الذين قدّموا أرواحهم الطاهرة فداءً لتعيش الجزائر حُرةً أبيةً

وإلى أرواح الذين لن أنساهم ما حييت إخواني، آبائي و أجدادي.

إلى نبع الحنان ومصدر الأمان... أمي الحنون.

إلى الإخوة الأعزاء كل واسمه الخاص.

إلى زوجتي الكريمة رفيقة الدّرب في بحر الحياة.

إلى اللؤلؤة الصغيرة (**مـــــلاك**)

إلى كل الإخوة والأصدقاء.

إلى كل الذين أحببتهم وأحبهم.

إلى **المرأة الأفريقية** المثابرة، التي اكتوت بنار الظلم والعبوديّة والقهر

تطلعاً لغدٍ أفضل.

وإلى كل الأصدقاء من دفعة الماجستير في تخصص الأدب الإفريقي.

إلى كل هؤلاء و أولائك، أهدي ثمرة هذا الجهد.

✍ **أحمد**

كَلمةُ شُكر

قال تعالى: ﴿ لئن شَكَرْتُم لأزيدنّكُم ﴾ الآية (7) من سورة إبراهيم

لا يسعني في هذا المقام العلمي الجليل، إلاّ أن أتوجه بأخلص عبارات الشكر الجزيل، والاعتراف بالجميل، وبأسمى عبارات التقدير والامتنان و العرفان إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة **مليكة بن بوزة** (حفظها الله) التي كان لها الفضل الكبير في إتمام هذا البحث، وإخراجه إلى الوجود، وعلى صبرها الجميل معي وسعة تفهّمها، وسموّ تواضعها، فهي التي آزرتني في ساعة العُسرة واليأس، وأشرفت من قريب، ونصحت ووجّهت وأصلحت، فكانت نعم الناصح وخير الموجّه والمصلح. فلها مني مرة ثانية كل الشكر والتقدير والعرفان.

وجميل الشكر موصول إلى أساتذتي الأفاضل من لجنة المناقشة لموافقتهم على قراءة هذا البحث ودراسته وتقييمه..

فللعلم أناس يُقدّرون معناه ** وفضلُهم عليّ معروفٌ لا أنساه

فلهم مني كل الشكر والتقدير والاحترام.

إلى كل من آزر وبادر وساند وساعد ونصح وصحّح ودعّم وأسهم، من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا البحث ليستوي على سوقه، ويصل إلى ما وصل إليه.

إلى كل هؤلاء أُجدد شكري وامتناني، وخالص تقديري وعرفاني.

حفظ الله أهل العلم، وأدامهم منارة تُنير درب البحث والباحثين

✍ **أحمد**

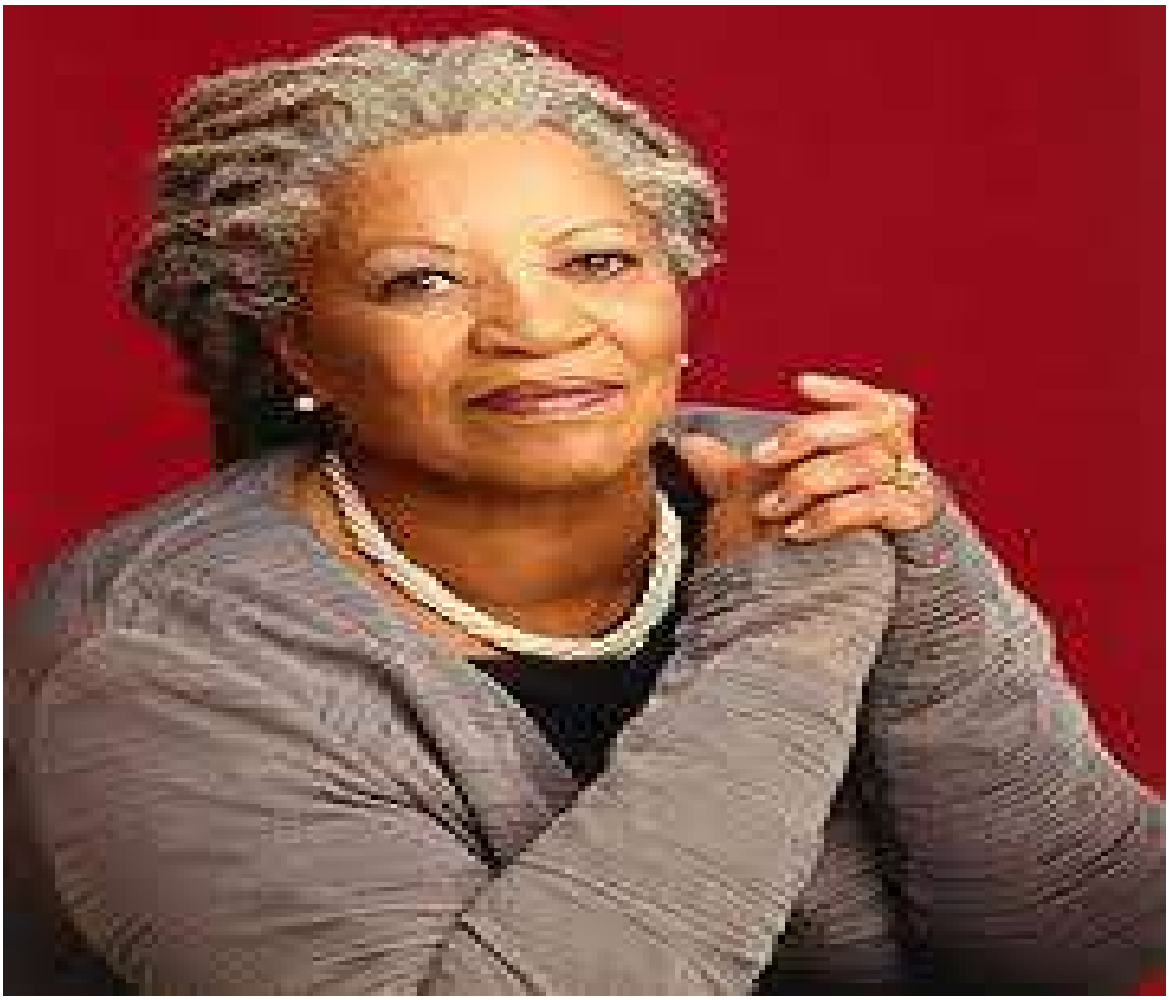

توني موريسون (Toni Morrison) صاحبة نوبل للآداب 1993

الموقع: http://upload.rewity.com/upfiles/QyE59110.jpg

مقدمة

مقدمة

كثيرةٌ هي الدراسات التي تناولت موضوع المرأة، منذ العصر الجاهلي حيث كان الشاعر يتغزل بالمرأة في مقدمة أشعاره، إلى عصر ظهور الرواية كفن من الفنون الأدبية، حيث نالت المرأة الحظ الأوفر من الدراسة. سواءً كان الحامل شعراً أو نثراً فإن المحمول هو المرأة. وهذا ليس بالأمر الغريب إذ أن المرأة هي الركن الأساس الذي تدور حوله قضايا المجتمع والوطن، فلا مجال لمعالجة قضايا المجتمع أو الوطن بمعزل أو بمنأى عن المرأة.

ويهدف هذا البحث إلى الكشف عن جزء من المجتمع، بل عن المجتمع كله من خلال دراسة "صورة المرأة الزنجية في روايات توني موريسون "محبوبة والعين الأكثر زرقة" أنموذجاً، ذلك لأن صورة المرأة أكثر حساسية وأشد وضوحاً في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل، فوضعية المرأة في المجتمع تعكس وضعية ذلك المجتمع الذي تنتمي إليه. وتطور المرأة يُساهم في تطور المجتمع، وخروج المرأة من أزمتها هو في ذاته خروج للمجتمع برمّته. وبالتالي فإنه لا مناص من الربط بين المرأة والمجتمع للإصلاح والتحرر والتقدم. فتقدم المرأة وتحريرها كفرد، سبيل لتقدم المجتمع وتحريره كأُمّة.

وأهمية هذا البحث تكمن في كونه يمس الأخلاق ويتعلق بالشرف ويمس الإنسان الذي كان سبباً في وجود نظيره الآخر، هذا الإنسان الذي يحمل الجزء الأكبر من المسؤوليات التي بها يستقيم هذا المجتمع، وعليها يقوم سوياً على سوقه. هذا الكيان الذي تمثّله المرأة هو ذاك الإنسان الذي أُلقيت عليه كل المسؤوليات وسُلّطت عليه شتى أنواع العذاب وزُجّ به بئر الظلام، لا لشيء إلا لأنه من جنس يختلف عن جنس الرجل، ومن لون يراه الآخر غير جدير بحياة الشرف و الترف.

والكاتبة توني موريسون إحدى الروائيات الزنجيات الأمريكيات السبّاقات لطرح وعرض قضية المرأة الزنجية وتصويرها عن قرب، والكشف عن مشاكلها، والتنقيب في قضاياها وعرضها في قالب روائي خاص، تميّزت وانفردت به عن غيرها من الروائيين، الذين خاضوا غمار هذا

الفن. ذلك لأن موريسون عاشت وعانت ما تعيشه المرأة الزنجية، وشربت من كأس العذاب والحرمان الذي تشرب منه مثيلاتها الزنجيات، في مجتمع لا يحترم مبادئ الإنسانية ولا يقدر حياة الآخرين.

إنّ أهمية هذا البحث تكمن في عرض صور المرأة الزنجية المتعددة ، والكشف عن قضاياها التي قدمتها في أعمالها من خلال روايتي (محبوبة والعين الأكثر زرقة)، ونظرة هذه المبدعة إلى المجتمع الأبيض وهيمنته على المجتمع الزنجي.

ومن خلال قراءتي لروايتي موريسون (محبوبة والعين الأكثر زرقة)، وجدت فيها اهتمامها الكبير والخاص بعرض قضايا المرأة الزنجية، إذ لم تخل رواياتها من الحديث عن قضايا المرأة الزنجية، ومشاكلها ومعاناتها بصفة خاصة والمجتمع الزنجي الأفرو–أمريكي بصفة عامة. فإذا كانت المرأة هي العنصر الأساس في المجتمع، فإن الاهتمام بها هو اهتمام بالمجتمع الذي تنحدر منه هذه المرأة.

إن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع، هي كالتالي:

أولاً: معاناتي الشخصية لِمَا كان يجيشُ في صدري من مشاعر أسف وإحباط، نتيجة ما رأيته من صور مشوّهة للمرأة الزنجية في الأفلام والأشرطة الوثائقية على شاشة التلفاز.

ثانياً: الواقع الذي يعيشه السود في أمريكا والمليء بالمتاعب والأحقاد والكراهية التي يُكنها البيض لهم، وخاصة المرأة التي كانت ضحية الجنس واللون في مجتمع ينادي بالتقدم والعلم.

ثالثاً: جُرأة الكاتبة توني موريسون في عرض وسرد حقائق المجتمع الأمريكي الأبيض في معاملته غير الإنسانية ضد الزنوج الأفرو– أمريكيين.

رابعاً: عدم وجود دراسات أكاديمية سابقة تدور حول صورة المرأة في روايتي توني موريسون.

خامساً: محاولة إضافة لبنة في مجال الأدب بصفة عامة، وفي مجال الأدب الإفريقي بصفة خاصة، لإثراء المكتبة الوطنية بهذا الموضوع الذي آمل أن يكون نقطة انطلاق لبحوث أخرى، في مجال الأدب الإفريقي الذي ينتظر منّا الكثير.

وقد وقع اختياري على روايتي توني موريسون (محبوبة والعين الأكثر زرقة) لما فيهما من حس ملحمي شاعري. وتصوير لواقع المرأة الزنجية بكل جرأة ووضوح. ولأن كلا الروايتين تحملان قضية حقيقية غريبة وفريدة من نوعها لم تُذكر في الروايات الأخرى على اختلاف أنواعها.

ففي رواية محبوبة نجدها تنفرد بقصة غريبة جداً حدثت في زمن العبودية، وهي قتل الأم سيث لابنتها محبوبة كي لا تعيش في عالم يحكمه العنصر الأبيض، أو أنها قتلتها خوفاً ونجاةً لها من الوقوع في قفص العبودية. إذ كيف لأم أن تقتل ابنتها!، وحينما نتكلم عن الأم نحن نتكلم عن منبع الحنان للإنسان ومصدر العطف والإخلاص للأبناء. أما في رواية العين الأكثر زرقة فتحكي أيضاً قصة حقيقية حدثت في زمن سيطرة البيض على السود، وهي قصة فتاة قبيحة المنظر سوداء سقطت ضحية هوسها بالجمال الذي دفعها إلى البحث عن عيون جميلة زرقاء، تحقق بها جمالها. عيون زرقاء لفتاة سوداء!. هاتان القضيتان المتفردتان بالغرابة دفعتاني إلى اختيارهما للدراسة عن غيرهما من روايات توني موريسون التي تحكي عن حياة الزنوج، لكن ليس بهذه الطريقة العجيبة والغريبة.

ولعلّ هذا ما أثار في نفسي مجموعة من التساؤلات وهي:

- ما هي مكانة توني موريسون الأدبية في المجتمع الأمريكي؟
- وما أهم قضايا المرأة التي طرحتها في روايتيها؟
- هل قدمت موريسون صوراً متميزة عن المرأة الزنجية ؟

وتفرع عن هذه الأسئلة الرئيسية، أسئلة فرعية أخرى منها: ما مدى أثر الحياة الإفريقية في كتابات الكاتبة السوداء توني موريسون؟ ما الدافع وراء امتلاك الكاتبة رؤية خاصة بالمرأة السوداء وتمييزها عن غيرها؟ وإلى أي مدى وُفّقت الكاتبة في عرضها لقضايا المرأة الزنجية؟ وكيف كانت نظرتها إلى المجتمع الأمريكي الأبيض؟

وقد فرضت هذه الأسئلة تقسيم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة. فكان الحديث في المقدمة عن أسباب اختيار الموضوع، وكذا المنهج المتبع في دراسة البحث، وخطة العرض التي اقتضاها هذا المنهج. وتناول التمهيد هجرة الرجل الإفريقي إلى أمريكا، و بداية ظهور

الرواية الزنجية الإفريقية في أمريكا. أمّا الفصل الأول الذي يدور حول "تجربة توني موريسون الأدبية" فهو محاولة للإجابة عن السؤال الأول، حيث يقدّم نبذة عن سيرة الكاتبة ومكانتها الأدبية، مع إبراز أثر الحياة الإفريقية في أعمالها.

وحاولنا في الفصل الثاني، الإجابة عن السؤال الثاني، حيث فيه عرض لصور المرأة الزنجية في روايتي توني موريسون (محل البحث). وقد قُسّمت الصور على حسب القضية التي تعالجها الرواية، حيث تكون المرأة أمّاً وزوجة وعاملة... ومن هنا فقد شمل الفصل المحاور التالية: المرأة الأم، المرأة الزوجة، المرأة العاملة، المرأة المثقفة، المرأة المضطهدة، المرأة المومس، وأخيراً الصورة الجسمية للمرأة الزنجية. وقد وقفتُ عند هذه الصور بشكل مفصّل لبيان أبعادها وأنواعها، وعلاقة هذه الصور بالمجتمع الذي تعيش فيه.

ويسعى الفصل الثالث الموسوم "قضايا المرأة الزنجية في روايتي توني موريسون محبوبة والعين الأكثر زرقة" إلى الإجابة عن السؤال الأخير، ويهدف إلى معرفة أهم القضايا التي عالجتها الكاتبة في روايتيها، والتي تعبر عن قضايا المرأة الزنجية من جهة وقضايا المجتمع الأفرو-أمريكي من جهة أخرى. فكانت محاوره كالتالي: القضايا الاجتماعية، ثم الهوية الثقافية الإفريقية. وقد حاولت في هذا الفصل أيضاً أن أقف عند تلك القضايا بما تسنى من التفصيل، لما لها من أهمية في إتمام مقاصد البحث. أمّا الفصل الأخير" الملامح الفنية في روايتي توني موريسون (محبوبة والعين الأكثر زرقة) " فحاولتُ فيه دراسة بنية الزمن والمكان اللذين اعتمدتهما توني موريسون في معالجة قضايا المرأة الزنجية، ومعاناتها من ظلم واستبداد العنصر الأبيض. مع إبراز التقنيات المستخدمة في لغة الحوار الذي وظفته الكاتبة في تحديد هوية المرأة الزنجية.

وولي هذا الفصل خاتمة تُبين أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال البحث. وقد أتْبعْتُ الخاتمة ببعض الملاحق وبملخص عام للبحث باللغة الأجنبية (الفرنسية)، و بعد ذلك أدرجتُ قائمة المصادر والمراجع التي تضمنت كافة المصادر والمراجع المتعددة التي اعتمدت عليها لإنجاز هذا البحث، وقد شكلت مادة خِصبة له.

وقد بذلت الكثير من الجهد في إعداد هذا البحث قصد توضيح الواقع المُرِّ الذي تعيشه المرأة الزنجية، وعرض الأهداف الرامية التي تسعى الكاتبة من خلال روايتيها إلى تحقيقها؛ وهو إخراج هذه المرأة من سجنها الذي سبّبه اللون، والنهوض بها إلى مصافّ النساء الأخريات. والعمل على إرساء قواعد العدل والمساواة بين الجنسين الأبيض والأسود عامة، وبين الرجل بلونيه والمرأة الزنجية الأفرو–أمريكية.

ومما يضيق على الباحث في هذا المجال بعض الصعوبات والتي تمثلت في عدم وجود دراسات سابقة تخص هذا النوع من المواضيع المتعلقة بـ صورة المرأة الزنجية في الأدب، بالرغم من وجود دراسات حول المرأة العربية والغربية نذكر منها:

"صورة المرأة في روايات سحر خليفة" للباحث وائل علي فالح الصمادي، جامعة آل البيت. وتقوم هذه الدراسة على توضيح صورة المرأة العربية أو بالأحرى المرأة الفلسطينية، وطريقة حياتها ومعاناتها تحت سلطة المجتمع الفلسطيني والمستعمر الصهيوني. أيضاً هناك "صورة المرأة في قصص نجيب الكيلاني" لحنان بنت جابر جامعة أم القرى. لقد عملت هذه الدراسة على عرض صورة المرأة العربية وقضاياها وعلاقتها بالمجتمع. ثم "صورة المرأة المثال ورموزها الدينية عند شعراء المعلقات" لطه غالب عبد الرحيم جامعة النجاح الوطنية وقد درست هذه الرسالة موضوع المرأة العربية في العصر الجاهلي، وكيف صوّرها شعراء المعلقات في أشعارهم وقصائدهم. و"صورة الأم أمينة في ثلاثية نجيب محفوظ الروائية" للباحث الجزائري صالح مفقودة، وقدمتْ هذه الدراسة تحليلاً لصورة المرأة العربية وبالأخص المرأة المصرية، من خلال الأم أمينة في روايات نجيب محفوظ الثلاث. إضافة إلى هذا البحث الذي كان باللغة الفرنسية:

La Femme et ses images dans le roman gabonais.

Par: Chantal Magalie Mbazoo Kassa

ومن بين الصعوبات التي واجهتني –أيضاً– في إنجاز هذا البحث هو عدم وجود كتب تصب في هذا المجال باللغة العربية. فمعظم الكتب هي باللغة الأجنبية مما يصعب على الباحث الوقوف على المعلومة مباشرة إلا بعد وجود مترجمٍ للمعلومات التي يحتاجها وهو أمر ليس

باليسير. إضافة إلى صعوبة الاتصال المباشر مع الأستاذة المشرفة لبُعد المسافة بين ولاية تمنغست (تمنراست) مكان تواجد الباحث، وولاية الجزائر العاصمة مكان تواجد الجامعة المركزية والأستاذة المشرفة. كما أن الشبكة العنكبوتية والهاتف كانا يتوقفان لأسابيع كاملة.

وقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على منهجين اثنين هما : المنهج التاريخي لدراسة حياة الكاتبة توني موريسون، وحياة المرأة الزنجية في أمريكا، وهجرة الرجل الأسود وتهجيره، فكلها تعتمد على المنهج التاريخي الذي يقوم على التأريخ للأحداث. ثانياً المنهج التحليلي الذي يقوم على تحليل المواضيع واستخراج القضايا التي تهم الباحث. وقد اعتمدته قصد تحليل الروايتين واستخراج القضايا المتعلقة بالمرأة الزنجية وتحليلها ودراستها. وكذا استخراج الصور التي تكون عليها المرأة الزنجية في مجتمعها الأفرو–أمريكي.

ويفرض عليّ واجبُ الوفاء والعرفان أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الفاضلة الدكتورة **مليكة بن بوزة**، التي كان لها الفضل الكبير في انجاز هذا البحث، فقد رعته، وتعهّدته وأشرفت عليه إشرافاً علمياً من بدايته إلى نهايته، وتابعته أولاً بأول، وغمرتني بفضلها، وقدّمت لي خلاصة تجربتها العلمية، فوجهتني بملاحظاتها الدقيقة الصائبة، وقدمت لي الكثير وما بخلت علي بمعلوماتها مقدار أنملة. فلها مني كل الشكر والاعتراف بالجميل، كما أشكر جزيل الشكر الدكتور **محمد بكادي** على النصائح والتوجيهات التي قدّمها وكانت دعماً وحافزاً للسير إلى الأمام. وكذلك الشكر موصول للدكتور **رمضان حينوني** على ما قدمه لي طيلة المسار الجامعي، من نصائح ومعلومات قيمة كانت سنداً في إنجاز هذا البحث. وجميل الشكر موصول للأستاذ الفاضل **أحمد بوكار** أستاذ اللغة الفرنسية على دعمه ومساعدته لي في ترجمة بعض النصوص التي اعتمدتُ عليها في إنجاز هذا العمل. ولن أنس معلم اللغة العربية الأستاذ **عبد القادر بوعلاوي** على دعمه وتشجيعه لي –منذ أن كنت تلميذاً صغيراً إلى يومنا هذا– على مواصلة الدراسة والبحث في مجال الأدب. وأخيراً أشكر لجنة المناقشة التي قبلت مناقشة هذا البحث كل باسمه الخاص، فلهم مني كل الشكر والتقدير. وأشكر كل من كان له الفضل في وصول هذا البحث إلى ما هو عليه، وكل من ساهم في خروجه إلى النور. كما أرجو أن يضيف عملي هذا قطرةً في بحر علم الأدب

الإفريقي والأدب بصفة عامة، وأن يكون دعماً وسنداً، ونقطة انطلاقٍ لإنجاز بحوث أخرى، والله من وراء القصد.

هذا وأرجو من الله أن يُجنّبَنا الزّلل، وأن يأخذ بأيدينا إلى طيب العمل. أمّا إن شاب عملي – ذا– قصورٌ أو نقصٌ فحسبي ما بذلتُ من جُهد في هذه السبيل، وإن أصبت فمن الله العلي الجليل. ﴿ وَمَا تَوفِيقِيَ إلّا بِاللهِ عَليهِ توكّلتُ وَإليهِ أُنِيبُ ﴾. **الآية (88) من سورة هود.**

والحمد لله رب العالمين.

✍ الباحث: أدرار (آولف) في: 2015/12/31.

تمهيد

1- هجرة الرجل الإفريقي إلى قارة أمريكا

2- ظهور الرواية الزنجية الأمريكية

3- حياة المرأة الزنجية في أمريكا

4- الـ (لا) التي غيرت من تاريخ أمريكا

5- موضوعات توني موريسون

1- هجرة الرجل الإفريقي إلى قارة أمريكا:

حينما اكتشف الأوروبيون البيض أمريكا، واستوطنوها بعدما قضوا على من فيها من الهنود الحمر، رأوا أن هناك مساحات هائلة من الأراضي الأشد خصوبة في العالم، يتوجب استصلاحها للزراعة، إلا أنها تتطلب الملايين من اليد العاملة التي تعذّر عليهم توفيرها من أوروبا لخدمتها والوقوف عليها لتُعطي ثمارها وتُؤتِي أُكلَها كلّ حين.

فكان لابدّ عليهم من جلب الأيدي العاملة الرخيصة والقوية وتسخيرها لهذه المهمّة، دون أن يُكلفهم الأمر عناءً.

وبعد تفكير جهنمي ذهبت أذهانُهم إلى «أنّ الزنوج الأفارقة هم من أقوى أنواع البشر وأكثرهم جلداً وصبراً وتحملاً للمشقة والأجواء القاسية، ولهذا استقرّ رأي المجرمين على "اصطياد" أكبر عدد منهم !! وهكذا تكالبت الوحوش البيضاء المسعورة على الفريسة المسكينة –أفريقيا– تنهش فلذات أكبادها بلا ذرة من رحمة أو إنسانية»[1]. هكذا كانت البدايات الأولى لهجرة الأفارقة إلى أمريكا عنوة وقوة.

كان ذلك في القرن الخامس عشر عندما أبحرت السفن البرتغالية إلى سواحل غرب إفريقيا عام 1418م، حيث أنشأت الحصون لممارسة تجارة الذهب والعاج والعبيد. وتواصلت عملية تجارة الرقيق حتى القرن السادس عشر الذي بلغ فيه « حجم تجارة الرقيق إلى قرابة 13000 عبداً في العام الواحد يتم شحنهم إلى العالم الجديد. وارتفع الرقم إلى 27000 خلال القرن السابع عشر ثم أصبح 70000 خلال القرن الثامن عشر »[2]. هكذا بدأت تجارة العبيد في الارتفاع، ومنها انتشرت هجرة الأفارقة إلى العالم الجديد أمريكا.

وقد هجّر الأوروبيون الملايين من الأفارقة –عبر الآلاف من السفن– الذين تم خطفهم من ذويهم وترحيلهم وبيعهم كعبيد في أسواق أمريكا وأوروبا. « وطبقاً لبعض المصادر فإن عدد

(1) – حمدي شفيق، الإسلام محرر العبيد (التاريخ الأسود للرق في الغرب)، المنشاوي للدراسات والبحوث، ص 28-29. الموقع: www.minshawi.com

(2) – ب.س. لويد، أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، تر: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 1980، ص 53- 54.

الأفارقة الذين نُقلوا عبر الأطلسي في الفترة من (1650م) وحتى (1850م) يقدر بحوالي تسعة ملايين نسمة تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والخامسة والثلاثين ، ونتيجة سوء المعاملة، وقسوة الرحلة فُقِد نحو مليونين منهم في الطريق»[1]. ولتبرير فعلتهم قالوا بأن كلمة « الزنوج ترادف البشرية المتخلفة أو المنحطة ومن ثم يصير تبرير الاستعمار سهلاً، فهو لغرض وواجب إنساني وهو مسؤولية أخلاقية لابُدّ من القيام بها »[2]. لنقل حضارتهم للآخر.

وفي القرن السابع عشر ازدهرت حركة تجارة العبيد بمشاركة الفرنسيين والبريطانيين إلى جانب البرتغاليين الذين شيدوا « عدداً من الحصون الساحلية مارسوا من خلالها تجارة مربحة في الذهب والعاج، وكذلك العبيد»[3]، وقد كان البريطانيون يستبدلون السلع من الأسلحة والملابس بالعبيد الذين يقدمهم لهم الشيوخ المحليون، ومن ثَمّ يُنقل العبيد في السفن كحمولة ليباعوا عبيداً للزراعة في أمريكا وأوروبا، يستغلونهم في حقول التبغ ومناجم الفحم والسكك الحديدية التي لا يقوى العنصر الأبيض على العمل فيها.

لقد تركت تجارة الرقيق أثراً بالغاً على القارة الإفريقية؛ حتى وإن كانت قد أسهمت في بناء العالم الغربي فإنها أضرت بالقارة الإفريقية أيّما ضرر، حيث هُمّشت القارة ودُمّرت بمن فيها جرّاء همجيّة المستعمر الغاشم، الذي قضى على الكثير من الأفارقة بوحشية لا يزال التاريخ يذكرها وسيذكرها على مرّ العصور والدّهور.

ففي مصادر غربية تؤكد أنه « من بين كل عشرة أفارقة كان يتم أسر واحد فقط واستعباده، بينما يلقى التسعة الآخرون مصرعهم إمّا برصاص الغزاة البيض، وإمّا جوعاً وعطشاً أو انتحاراً من على ظهر السفن التي كانوا يحشرون فيها كالماشية»[4]. هكذا كان يتم تهجير وترحيل الرجل الأسود من أرضه ووطنه الأم إلى أمريكا وأوروبا، في سبيل تحقيق الرفاهية والحياة الرغيدة للمجتمع الغربي، وخدمة اقتصاده على حساب المجتمع الإفريقي المضطهد. الذي نُقل غصباً من

(1) – حمدي عبد الرحمن حسن،سياسات التنافس الدولي في إفريقيا،مجلة قراءات إفريقية، العددالثاني،سبتمبر 2005. الموقع:www.qiraatafrican.com، تاريخ الإطلاع: 2015/11/20.ص 51.
(2) – محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، سلسلة: كتب ثقافية، الكويت، أكتوبر 1980. ص 156.
(3) – حمدي عبد الرحمن حسن، سياسات التنافس الدولي في افريقيا، ص 51.
(4) – حمدي شفيق، الإسلام محرر العبيد،ص29.

بلده تاركاً وراءه إرثه، وعاداته، وتقاليده، ليصبح عبداً مملوكاً للبيض يسهر على خدمتهم وتلبية مطالبهم وتحقيق أحلامهم.

وقد تعددت الأساليب في تعذيب العبيد وقمعهم، حيث كان للمالك الحرية المطلقة في معاقبة العبد إذا صدر منه أي شيء يغضبه، كأن « يقيّده بالسلاسل ويكلّفه مثلاً بحرث الأرض وهو مكبّل بالحديد، أو يجلده بالسياط حتى الموت، أو يُعلقه من يديه في مكان مرتفع عن الأرض بينما يربط أثقالاً برجليه حتى تتفسخ أعضاء جسمه »[1]، والعديد من العقوبات والأمور السيئة التي كان يسلطها الأسياد على العبيد؛ من صلبهم على جذوع الأشجار وتعليقهم حفاة عراة دون أكل أو شرب إلى أن يلقوا حتفهم... وما إلى ذلك من غطرسة وتجبر.لذلك كان من الطبيعي على العبيد أن يقوموا ببعض الثورات احتجاجاً ورفضاً للتصرفات التي يقوم بها الأسياد ضد العبيد، فكانت تجري بينهم حروباً ضارية دامية يموت فيها من يموت وينجو فيها من ينجو. ومنهم من يهرب إلى حيث يظن نفسه أنه في أمان، والبعض منهم هاجر بحثاً عن حياة أقل تشتتاً ومقتاً من الحياة التي كان يعيشها مضطهداً مشرّداً تحت سطوة البيض.

ومن هؤلاء الذين هاجروا و أولائك الذين هُجّروا على مرّ السنين، استوطن الأفارقة في أمريكا وأوروبا، وشكلوا أحياء ومخيمات اتخذوها مساكن لهم. وخلّفوا جيلاً جديداً أُطلق عليه اسم الأفارقة الأمريكيون أو زنوج أمريكا. وقد خرّج هذا الجيل العديد من الكتاب والشعراء* على اختلاف أعمارهم وأجناسهم. دافعوا عن أنفسهم وعن أجدادهم بالكلمة والقلم من خلال إيصال صورتهم إلى العالم في رواياتهم وأشعارهم...

ولعلّ هذا الدفاع عن النفس من طرف زنوج أمريكا هو ما ولّد فيهم النهوض إلى إنشاء حركات فكرية تحررية مناهضة للفكر الأبيض الذي يقوم على مبدأ العبودية، ومن بين هذه الحركات نجد« "النهضة الزنجية" بصفتها تعبيراً ذاتياً عرقياً داخل إطار الثقافة الأمريكية

(1) - حمدي شفيق، الإسلام محرر العبيد، ص 12.

***– مثل سوينكا، أتشيبي، داماس، بالدوين، توني موريسون، سانغور....**

التعددية»[1] التي اهتمت بالقضايا المتعلقة بحياة الزنوج الأمريكيين، وعملت على محاولة الدفاع عنهم من الأسر والعبودية، لتحقق لهم الحرية التي يتطلعون إلى تحقيقها.

ومن بين هؤلاء الكتاب والروائيين الأفرو أمريكيين الذين حملوا على عاتقهم كتابة التاريخ الزنجي، نجد كلٌّ من **أيمي سيزير**، **جيمس بولدوين**، **أليس ووكر**، **بولا مارشال**، والكاتبة الروائية الأفرو أمريكية صاحبة نوبل **توني موريسون** التي دافعت ولا تزال تدافع عن أبناء جنسها في كتاباتها ورواياتها، التي جسّدت فيها مأساة المجتمع الزنجي وما عاناه بصفة عامّة والمرأة الزنجية بصفة خاصّة.

2- ظهور الرواية الزنجية الأمريكية:

لا يختلف اثنان على أن الشعر والرقص والغناء الإفريقي -هذه الأمور الثلاثة-أمور متأصلة في المجتمع الإفريقي الذي يعتمد عليها في حياته اليومية، والتي تمثل إرثه وتاريخه وماضيه، وقد كتب الأفارقة المثقفون ذلك التراث الشفوي المتمثل في الشعر والغناء ومثلوا ذلك الرقص في حياتهم وأدخلوه في أشعارهم. ولعلّ اتصالهم بموسيقى الجاز أكبر دليل على تمسكهم بتراثهم العريق، ولما كانت موسيقى الجاز« لم تعد زنجية خالصة، فلا بد أن يأخذ مكانها شيء آخر. والرواية الزنجية هي هذا الشكل »[2] الذي أخذ مجراه بقوة وفرض نفسه، وحجز لنفسه مكانة بين الفنون الأدبية الأمريكية الأخرى.

ولم تكن الرواية الحديثة، معروفة عند الزنوج ولم يكتشفها المثقفون السود، إلا بعد احتكاكهم بالغرب. إذ يقول الباحث الناقد **أ.ر. داثورني**:« الرواية في أفريقيا هي الشكل الفني الأدبي الوحيد الذي دخل عن طريق الاستعارة الخالصة، وفرض -فوق هذا- على تطور النموذج المحلي »[3] فالشعر إرث قديم وهو جزء لا يتجزأ من حياة الأفارقة. بينما لم يكن ذلك متاحاً للرواية التي عُرفت

(1) - توني موريسون، محبوبة، تر: د. أمين العيوطي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1989، ص 16.
(2) - المصدر نفسه، ص 9.
(3) - على شلش، الأدب الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، مارس 1993، ص 125.

فقط مع مجيء الغرب.ولعلّ ما مرّ به زنوج أمريكا من حياة العبودية عمل وساعد على ظهور فن الرواية الزنجية.

إن طعم الحياة التعيسة القاسية التي مرّ بها الزنوج عبر مرّ العصور والسنين، وما لاقاه أبناء القارة السمراء من قتل وتشريد وتعذيب وتشتيت، وتهجير من الجنوب إلى الشمال. من قِبل البيض الذين قننوا تجارتهم كعبيد وتفنّنوا في إيذائهم كرقيق، يبيعونهم ويشترون ويملكون حق التصرف في حياتهم، كل هذا وذاك جعل طائفة من الزنوج المثقفين تنهض لترفض هذه الحياة التي فرضها عليهم العنصر الأبيض في بلدهم وفي غربتهم.

و مع إعلان الرئيس **أبراهام لنكولن** مبدأ تحرير الرق عام 1863، ظهرت فئات من المجتمع الأسود الأمريكي تناضل وتدافع من أجل زنوج أمريكا بكتاباتهم وأشعارهم، إلى أن ظهرت حركة الزنوجة في الثلاثينيات من القرن الماضي، بقيادة كل من « **ليوبولد سيدار سنغور (1906م)**، و**ليون داماس (1912م)**، و**إيمي سيزير (1913م)**، تهدف إلى إعادة التقدير للإنسان الأسود »[1].الذي أُهين من طرف الإنسان الأبيض، وسُلبت كرامته وحياته، وكل ما يملكه، ليبقى رهين سطوة الرجل الأبيض.

ومع تتابع عمليات تهجير السود من الجنوب إلى الشمال، ظهر الكثير من كتاب الرواية الزنجية الأمريكية التي تعالج قضايا الأمريكيين السود، ولم ينشأ هذا الجيل من فراغ. « فقد كان وراءه ما سمي بنهضة الإفريقيين الأمريكيين في عشرينيات القرن الحالي»[2].بدافع البحث والتعرف عن ماضي جنسهم وعن تاريخ الزنوج الأمريكيين من الأسر والعبودية إلى الحرية التي يلاحقهم فيها الماضي المظلم.

فقد ظهر في ذلك العقد « ما يقارب من أربع وعشرين رواية، بحيث أطلق بعض النقاد على هذه الفترة "النهضة الزنجية" بصفتها تعبيراً ذاتياً عرقياً داخل إطار الثقافة الأمريكية

(1) - دبي الثقافية، في الشعر الإفريقي المعاصر (جيل الرواد نموذجاً)، تر و تق: حسن الغرفي، مجلة دبي الثقافية، ط 1، 2012، ص 16.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 16.

التعددية»[1]. ومن بين أهم الكُتّاب الروائيين **أليس ولكر**(Alice Walker)، **بولا مارشال** Paula (Marshall)، **توني موريسون**(Toni Morrison) وغيرهم من الذين حملوا على عاتقهم إيصال صوت المرأة الزنجية والمجتمع الزنجي إلى الآخر، ونادوا بتحرير العنصر الأسود والعيش إلى جانب العنصر الأبيض في سلام.

وذهب الكثير « من الكُتّاب البيض إلى تبني هذه النهضة، وتحفيز الصحف والمجلات إلى تكريس أعداداً هائلة للأدب الزنجي، وأن ترصد جوائز قيمة لأفضل رواية يكتبها زنجي عن حياة الزنوج الأمريكيين»[2]. فارتفع عدد الكُتب والروايات بالرغم من أن وتيرة الكتابة كانت بطيئة إلا أنه « كما تقول **نيللي مكاي**، فيما بين 1959 – 1964 دفعن إلى المطابع بما لا يقل عن تسع وخمسين رواية، وقد تضاعف هذا العدد منذ ذلك الحين »[3].إلى أن أصبحت إنتاجاتهم كغيرهم من الكتاب الروائيين يكتبون رواياتهم وينشرونها.

ومن أبرز الكتّاب والروائيين الزنوج الذين « ساهموا في تحرير الشعب الإفريقي من العبودية في تلك الحقبة هو **فريديريك دوغلاس** الذي أثّر على الرأي العام عبر تأسيس الجرائد وكتابة المقالات. وأدى نشره لقصة "حياة فريديريك دوغلاس"، العبد الأمريكي إلى حملة تشهير. على الرغم من ذلك، لقي هذا العمل نجاحاً كبيراً وأثّر بعمق على الأدب الأسود في القرن التاسع عشر»[4] وهناك أيضاً الكاتب الزنجي ويليام إدوارد **دوبوا**(**William Edward Dubois**)الروائي المؤرخ وعالم الاجتماع الذي يعد من أهم قادة التحرر في أمريكا ومن الذين حملوا على عاتقهم لواء تحرير السود في أمريكا من العبودية التي هيمنت عليهم، وألّف كتابه (أرواح السود) وفي «عام 1905نظم دوبوا حركة نياغرا التي تواجه التمييز العرقي وأشكالاً أخرى من الظلم. وكان له هواجس كثيرة إزاء الثقافة الإفريقية »[5]. ثم ألف روايته التي نالت شهرة واسعة بعنوان "الزنجي" التي أصبحت شيئاً مقدساً بالنسبة للأفارقة الأمريكيين.لقد حمل على عاتقه قضية تحرير السود من

---

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 16.
(2) - المصدر نفسه، ص 16.
(3) – نفسه، ص 14.
(4) - منيرة أبي زيد، الأدب الأمريكي الأسود.. من العبدة ويتلي إلى جائزة نوبل توني موريسون، شبكة الأمة برس الإخبارية، ص 2. الموقع: http://www.thenationpress.net/news.php?lid=1&cat=157&newsi=1&newsid=8360 تاريخ الإطلاع: 2015/11/23.
(5) - المرجع نفسه، ص2.

الرق والعبودية، من خلال كتاباته المتعددة، كما أنه أبى على نفسه الصمت دون أن يحرك سكناً، ويقول في ذلك: « لا يمكن للمرء أن يهدأ ويصمت ويتبنى نظرة علمية حيادية بينما يُضرب الزنوج ويُقتلون ويُذبحون »[1]أمام مرأى من المجتمع الأبيض الذي لا يعير للزنوج اهتماماً.

ويُعدُّ « **هيوغلان غستون** من أهم رواد نهضة هارلم في العشرينيات، وهي حركة إعادة تجديد الثقافة الأمريكية الإفريقية والأدب الأسود الأمريكي في فترة ما بين الحربين. أنعشت هذه الحركة الأدبية الفنون الفوتوغرافية والموسيقى والرسم (...) فصارت هارلم "العاصمة العالمية للثقافة السوداء" (...) تحولت هارلم إلى مركز ثقافي وفني تكاثر فيه الكتاب والموسيقيون على غرار **ديوك إلينغتون**(Duke Ellington) و **لويس أمسترونغ** (LouisArmstrong). تطورت هذه الحركة الثقافية بفضل الجرائد والمجلات»[2].وازدادت الكتابة في مجال الفن الروائي الزنجي الذي اهتم بقضايا الأفارقة الأمريكيين. بُغية النهوض بهم إلى المستوى اللائق بهم كغيرهم من البيض.

إن هذه الدوافع ساهمت كثيراً في إثراء الثقافة الزنجية الأمريكية، وفي زيادة عدد الروايات المنتمية لأدب الزنوج، والرفع من عدد الكتاب الروائيين. وانتشر بذلك الأمر في جميع أجزاء أمريكا ليشمل مدناً أخرى مثل واشنطن وشيكاغو ولوس أنجلوس وغيرها. في مجال الشعر والفن والرواية، « وانتشرت الصحافة الأدبية الزنجية، فبرزت كثير من أسماء الشعراء والكتاب الذين أسهموا إسهامات رئيسية في "النهضة الزنجية" أو "نهضة هارلم" التي غدت تعبيراً عن ظهور الفنون بين الملونين في طول أمريكا وعرضها »[3]. كما كانت تهدف إلى تحويل التجربة الزنجية الأمريكية بكل ثراها وتنوعها وحدتها وعذابها إلى مادة للفن والأدب.

وهكذا عبر هذه المراحل تطور فن الرواية الزنجية الأمريكية إلى أن وصل إلى ما هو عليه اليوم. بفضل أعلام الأدب الزنجي الأمريكي من أمثال الروائية الفذة توني موريسون صاحبة نوبل للآداب عام 1993. والتي اهتمت بتعرية المجتمع الأمريكي وعرض الحقائق التي كان البيض

(1) - منيرة أبي زيد، الأدب الأمريكي الأسود، ص 2.
(2) – المرجع نفسه، ص 2.
(3) - توني موريسون، محبوبة، ص 16 – 17.

يُخفونها، آخذة في ذلك بعين الاعتبار قضايا المرأة الزنجية الأمريكية. وما تعانيه في حياتها من سطوة الجنس واللون.

3-حياة المرأة الزنجية في أمريكا:

ما من شك في أن ما مرّ به الإنسان الزنجي منذ نقله من وطنه الأم إفريقيا وحتى وصوله إلى وطنه الثاني الجديد أمريكا، عبر عصور التهجير التي خلت في القرون الماضية، من محن واضطهاد واستعباد ليس باليسير.«أنا امرأة، أنا سوداء، إذاً أنا مستضعفة مرّتين..»[1]هكذا تعاني المرأة في أمريكا « التفرقة العنصرية على أساس اللون، والتعصب القبلي ضدّ ذوي البشرة السوداء، حيث يسود ذلك حالة من التوتر »[2]الذي يصيب المرأة الزنجية في حياتها بسبب اللون. وتقرّ موريسون بذلك حينما تستعيد تجربتها الشخصية في تفاوت اللون، في مدينة لورين التي « لم يكن فيها أحياء للسود مطلقاً، وفيها مدرسة ثانوية واحدة. كنا نلعب جميعاً معاً. كنا جميعاً إمّا وافدين من الجنوب وإمّا مهاجرين من أوروبا الشرقية أو من المكسيك. وكان هناك كنيسة واحدة، وأربع مدارس ابتدائية. كنا جميعاً فقراء بل فقراء إلى حد كبير»[3]. وقد حارب أبناء البشرة السوداء ما أمكنهم من أجل استعادة كرامتهم وهيبتهم، بما قاموا به من نهضات وثورات رافضين فيها حياة الذل والهوان التي فرضها عليهم الرجل الأبيض في أمريكا، بحكم أن له حق التصرف في الزنوج الذين اعتُبِروا مُلكاً من أملاك البيض. يبيعهم ويشتريهم كيفما يشاء.

ولعلّ المرأة الزنجية السوداء هي عنصر من هذا المجتمع المضطهد الذي جُرّبت عليه كل أنواع الحقارة والنذالة، « تعلمت أنني لست إنساناً من بلدي، ولا من عائلتي، إنني عبدة في كل شيء: اللغة، الثياب، الآلهة، الرقص، العادات، الزينة، الغناء، كلها كانت ممزوجةً بلون

(1) - منيرة أبي زيد، الأدب الأمريكي الأسود، ص 3.
(2) – باسم محمود، توني موريسون تغازل الواقعية السحرية مجدداً، يوم 07.06.2015. الموقع: www.seoudi-law.com/?p=22666#.Vs15sn3hBkg تاريخ الإطلاع: 2015/11/30.
(3) - أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، جريدة القبس،يوم 29.04.2015، الموقع:www.alqabas.com.kw/Articles.aspx?ArticleID=1047988&CatID=330 تاريخالإطلاع: 2015/11/12.

بشرتي»[1] لقد عانت أكثر مما عانى منه الرجل الزنجي بحكم جنسها وكونها امرأة. فقد عاشت حياتها حياة تعيسة وضيعة فقيرة مقهورة مغلوبة على أمرها، لا تقوى إلا على الرضوخ لأوامر الأسياد وتلبية رغباتهم الخاصة والعامة. فهي في عالم مظلم مليء بالجهل والفقر والشرور. في ظروف معيشية سيئة للغاية تتميز بوحشية المولى والسيد، وتسليط العقوبات المتكررة لأدنى سبب.

وقد كانت المرأة متاعاً يُباع ويُشترى في أسواق النخاسة، وكانت الجارية تقف على حجر ليراها الجميع، وكان بعض أصحاب الأموال المشترين للجواري يطلبون من البائع رؤية الجارية كما هي، ليعرف إذا ما كان بجسدها من عيوب.« وكان هناك فرق كبير في الثمن بين الجارية الحسناء والجارية الدميمة. وكانت الجارية الحسناء تباع بثمن غال، ولهذا انتشر الفساد الخلقي (...) وكان الاتجار بالجواري الجميلات من أسباب الثراء »[2]. وكانت متاعاً جنسياً أيضاً للرجل الأبيض الذي كان يُروِّح بها عن رغباته الجنسية، ويكبح بها رغباته النفسية بالضرب والتعذيب والقمع لأدنى الأسباب، كأن يأمر السيد « أن يقف العبيد حول المائدة صامتين، وكان يعاقب من يسعل منهم أو يعطس بالجلد، واعتادت إحدى السيدات أن "تعضّ" جواريها في نوبات غضبها، وكانت أخريات يأمرن بجلد الجارية إذا لم تحسن تصفيف شعر سيدتها »[3]. كانت الجواري تُجلدن لأتفه الأسباب بالضرب على المؤخرات والعض والجلد على الأرجل. لقد عانت المرأة الزنجية الكثير وتحملت ما لا يتحمله الرجل الأسود من عذاب و اضطهاد وقهر، حولت حياتها إلى حياة لا تعرف فيها سوى المتاعب والآلام والتمييز ضد النساء، في حين أن القانون الدولي يضمن لها حق العيش بحرية وسلام، إذ « يتعين على الدولة القضاء على كل تمييز ضد المرأة وكفالة حقوقها وحقوق الطفل على نحو ما هو منصوص عليه في الإعلانات والاتفاقيات الدولية »[4]. التي تنصّ على نشر قيم الفضيلة والأخلاق، والمساواة بين أفراد المجتمع وطبقاته.

(1) – مصطفى عبدي، الرحمة لـ توني موريسون، منتدى كوباني، المنتدى الثقافي والأدبي، يوم:16.10.2010، الموقع: www.kobanikurd.com/vb/archive/index.php/t-8105.htmlتاريخ الإطلاع: 2015/11/25.

(2) – حمدي شفيق، الإسلام محرر العبيد، ص 11 – 12.

(3) –المرجع نفسه، ص 13.

(4) - الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان، تمت إجازته من قبل مجلس الرؤساء الأفارقة، الدورة العادية رقم 18 في نيروبي (كينيا) يونيو عام 1981، المادة 18.

ومع ظهور الحركات التحررية، بقيادة الأدباء والكتاب الذي خاضوا غمار حرب تحرير الرق الأسود، استطاعت المرأة الزنجية أن تنهض بنفسها وتجد لها مكاناً في المجتمع الأمريكي، من خلال توصيل صوتها إلى العالم الآخر بكتاباتها وإبداعاتها على غرار **أليس ووكر**، **بولا مارشال** و**توني موريسون**، وغيرهن من الكاتبات الزنجيات اللائي حملن على عاتقهن مسؤولية إعادة الاعتبار للعنصر الزنجي عامة و للمرأة الزنجية الأمريكية خاصة.

والكاتبة **توني موريسون**،هي واحدة من الذين حملوا لواء التحرر والدفاع عن المرأة الزنجية وعملت على إظهار كل ملامح الرق بكل بشاعته وتجبره،في رواياتها التي خصصتها جُلّها إن لم نقل جميعها، لطرح القضايا المتعلقة بالمرأة الزنجية التي تعاني الكثير من سلطة اللون والجنس. وكتبت ما رأت أنه يجب أن يُكتب.فصوّرت المرأة الزنجية الأمريكية في مختلف صورها التي عاشتها تحت وطأة المتجبرين؛ أسيادها البغيضين، ومعاملتهم السيئة لها،« لأنها تريد استعادة ثقافة الإفريقي الأمريكي من لغة وأغان ورقص وحكايات... وربطها بثقافة الإفريقي الأمريكي في الثمانينيات من القرن العشرين وكان هدفها رد الاعتبار لأجدادها الذين نزحوا قهرا من موطنهم الأصلي (قارة إفريقيا) وسيقوا عبيدا عند بيض أمريكا، وتخلد معاناتهم والقمع الذي تعرضوا له»[1]. وتميط اللثام عن الأعمال التي قام بها البيض من أجل محو ثقافة السود، حين جرّدوهم من كل شيء، وأخذوا من المرأة هويتها « أخذوا مني رقصي، ثوبي، لغتي، عاداتي... كل شيء كان مخلوطاً بلون جلدي. لقد أخذوني من حقول قصب السكر في قارب إلى الشمال كي أعمل في حقول التبغ »[2]. تحت رحمة البيض، وتُسخَّر جارية لخدمتهم في البيوت. فالمرأة «كانت ضحية الرجل، يتسلط عليها، يحتقرها، يستغلها، يضربها، يغتصبها (ومن غير أن يكون لها مركز أو

(1) – مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا- من التهميش إلى الواجهة. كتاب الأبحاث، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الخامس لكلية الآداب: التعددية الثقافية في اللغة والأدب، جامعة الزيتونة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية و آدابها (17 – 18 – 19 نوفمبر 2015)، الأردن. ص 15.
(2) - جاكلين سلام، رحمة رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، مجلة مصرس، نشر في نقطة ضوء، يوم 2009/08/30، الموقع: www.masress.com/ndawa/85، تاريخ الإطلاع: 2015/12/02.

كتف رجل، من غير دعم أسرة أو محبين)»[1]. هكذا عاشت المرأة الزنجية حياتها حياة الظلم والظلام.

4- الـ (لا) التي غيرت من تاريخ أمريكا:

هي تلك الـ (لا) التي غيرت الكثير من القوانين التي سنّتها أمريكا البيضاء-عنوة- على السود وكانت تطبقها عليهم بعقوباتها وقسوتها دون رحمة أو شفقة.

(لا)... هكذا قالتها المرأة الأمريكية السوداء ذات الأصول الإفريقية بكل جرأة، قالتها بكل ما تحمله من رفض وتصدٍّ. قالتها بكل أنفة وكبرياء، حينما طلب منها أحد البيض الوقوف من مقعدها في الحافلة ليجلس مكانها. هكذا كان ينص قانون الرّكاب في أمريكا. يقف الأسود ليجلس سيده الأبيض مكانه، وإلا عوقب ذاك الأسود بحكم القانون. هذه الواقعة جرت أحداثها في الزمن الذي كانت تعلق فيه اللافتات على المطاعم والمحلات، وقد كتب عليها "يمنع دخول القطط والكلاب والرجل الأسود"، وفي ليلة من ليالي شهر (أيلول) ديسمبر الباردة من عام 1955، وبعد يوم شاق من العمل المضني في محل الخياطة، خرجت **روزا لويس باركس**(Rosa Louise Parks) إلى موقف الحافلات لتستقلّ الحافلة التي تقلّها إلى منزلها... صعدت "روزا" الحافلة التي لم تمتلئ بالركاب بعد، وأخذت مقعدها في الحافلة على أقرب كرسي. وبعد محطتين أو ثلاث... صعد أحد الركاب البيض ولم يجد له مقعداً للجلوس، فاتجه إلى "روزا" طالباً منها الوقوف ليجلس بدلاً منها. حينها قالت "روزا" وبكل ثقة (لاءها) العظيمة الخالدة. صرخ جميع الركاب البيض في وجه **روزا** وأمطروها بوابل من السباب والشتائم، وهددوها، فقالت: (لا). توقف السائق وطالبها بالنهوض فقالت: (لا). بعدها اتجه السائق مباشرة إلى أقرب مركز للشرطة للتحقيق معها.. وعوقبت بغرامة مالية قدرها 15 دولاراً، نتيجة تعديها على حقوق البيض.

(1) – مصطفى عبدي، الرحمة لـ توني موريسون.

هذه الـ (لا) التي غيرت مجرى تاريخ أمريكا، حينما اشتعلت (لاءات) السود في كل أرجاء أمريكا. وتضامناً مع البطلة "روزا" تمت مقاطعة جميع المواصلات الأمريكية، واستمر الغضب وامتد إلى 381 يوماً، إلى أن حكمت إحدى المحاكم لـ **روزا باركس**، وتمّ إلغاء الكثير من القوانين والأعراف العنصرية الأمريكية[1].

لقد عملت هذه الـ (لا) على تغيير أوضاع السود ومنحهم حق التصرف في حياتهم، وحق الجلوس على مقاعدهم في الحافلات وأجهزة المواصلات، لتستمرّ بهذه الـ (لا) حركة الحقوق المدنية للسود،التي توّجت بوصول أحد الزنوج الذين اضطهدوا فيما مضى، إلى مرتبة سيد أمريكا الأول في الحكم، وهو الرئيس الحالي ذو الأصول الأفريقية باراك أوباما.

توفيت "روزا باركس" عام 2005 عن عمر ناهز 92 عاماً، وبقيت (لاءها) قائمة إلى اليوم تدفع بعجلة تقدم الإنسان الزنجي وإثبات حقوقه في الحياة وبين أبناء المجتمع الأمريكي الذي أنكره لعقد من الزمن. وأصبحت بذلك أشهر (لا) في تاريخ أمريكا.

هكذا ساهمت المرأة الزنجية الأفرو أمريكية على مرّ السنين في تغيير حياة السود وأوضاعهم، وإخراجهم من الأحوال المعيشية التعيسة، ومن الاضطهاد والرق والعبودية، إلى حياة كريمة أفضل.فقد كافحت وجاهدت وتحمّلت كل الظروف الصعبة والقهر والذل، وحافظت على تربية ورعاية أبنائها وعملت المستحيل من أجل الحفاظ على ماضيها وتاريخ أجدادها.

(1) – ينظر: يوميات القلم – أشهر (لا) في تاريخ أمريكا، صحيفة البيرق الإلكترونية مرخصة من وزارة الإعلام، يوم 3نوفمبر، 2012، الموقع: http://www.albayrag.com/?p=7419،تاريخ الاطلاع: 2015/11/20.

5- موضوعات توني موريسون:

إن موضوع **توني موريسون** الأساس هو ذلك القهر والذل والاضطهاد الذي تقع تحت طائلته المرأة الزنجية، التي تعاني من عُقدتين اثنين عُقدة اللون وعُقدة الجنس. والمرأة عند موريسون هي ذاك العنصر الكئيب المقهور المغلوب على أمره، الواقع تحت عذاب الذات وعذاب اللون والجنس. وتعتبر مواضيع اللون (العرق) والجنس من المواضيع السائدة والمنتشرة في المجتمع الأمريكي، وهما (أي اللون والجنس) ما يكدرا صفو المرأة الزنجية ويطوقا حياتها بشكل سلبي في مجتمعها الأفرو أمريكي.

ومن هنا فقد أخذت **توني موريسون** على عاتقها مساندة المرأة الزنجية ومعالجة قضاياها التي يسببها العرق والجنس، في مجتمع يستند إلى مبدأ التمييز العرقي. فكانت كتاباتها تحكي الواقع المرير الذي تعيشه المرأة الزنجية تحت سلطة الرجل الأبيض والأسود، وحتى النساء البيض، ومن ثَمّ انفردت موريسون بأعمالها الأدبية من خلال فن الرواية إلى كشف الحُجب عن حياة الأفارقة الأمريكيين أو زنوج أمريكا، التي كان البيض يعملون على إخفائها. وقد تميزت رواياتها بإظهار ذاك التفاوت والفرق الكبير بين ذوي البشرة السوداء والبشرة البيضاء، « وهذا يُظهر تناقض الموضوع السلبي المتمثل في إغواء وخيانة المجتمع الأسود من قبل ثقافة البيض، وأمّا الموضوع الإيجابي فيتمثل في البحث عن الهوية الثقافية للسود من أجل استمرارية الحياة بالنسبة إليهم في أمريكا»[1].وهي حقيقة من الحقائق التي عملت موريسون على كشفها، لإعادة الاعتبار للزنوج، كما « عُرفت بكتاباتها التي تغوص في الأعماق لتحقيق الذات لكل الأمريكيين من أصل إفريقي. بالعودة إلى الجذور»[2]. في محاولة لاسترجاع هيبة ومكانة الأمريكيين الأفارقة، الذين عانوا من العنصرية كثيراً، وقد تأثرت موريسون بأُمّها « كثيراً التي وقفت ضدّ العنصرية. وتقول: توني: كانت أمي تعشق ارتياد المسارح بعد الظهر أيام السبت والجلوس في الأماكن المخصصة للبيض

(1) – خالد صبري محمد سليمان عبد الله،توني موريسون: دراسة الموضوعات وتقنيات أعمالها الروائية المهمة، جامعة صنعاء، كلية اللغات، 2007. منتدى الإيوان 24 مارس 2010. الموقع : http://www.iwan7.com/t1493.html، تاريخ الاطلاع: 2015/12/15.

(2) – شيماء فؤاد، توني موريسون.. الكاتبة التي حاربت العنصرية بقوة الأدب، جريدة الشعب الجديد. الموقع: www.elshaab.org،تاريخ الاطلاع: 2015/11/10.

فقط. وعندما غلقت لافتات على الجدران تهدد السود الذين يجلسون في أماكن البيض بالطرد، كان من دأبها أن تُمزّق هذه اللافتات وتنثرها في جميع أنحاء المكان، وكانت تكاتب الرئيس روزفلت بشأن أوضاع السود »[1] هذا التأثر الذي تأثرت به موريسون من والدتها جعلها تكافح في كتاباتها من أجل تحقيق الحرية لأبناء جنسها من السود. ولهذا نجد موريسون دائماً تركز في رواياتها على أن تكون بطلت الرواية امرأة من الزنوج، تدور حولها وقائع الرواية، لتعبر من خلالها عن وضعية المجتمع الأفريقي الأمريكي، وتعكس من خلالها أيضاً مدى اهتمامها بمحاولة إعادة بناء الثقافة الأفرو أمريكية، وتوضيح تاريخ العبودية الذي مرّ به الزنوج على مدى عهد من الزمن، على يد البيض. فموريسون تدرك كل الإدراك أن معاناة المرأة الزنجية التي تقع تحت طائلة التمييز العرقي والجنسي هي معاناة المجتمع الزنجي بأكمله، فهي صورة عن ذلك المجتمع الذي تمثل جزءاً منه.

فالمرأة عند موريسون في المقدمة، وهي دائماً في رواياتها تكافح من أجل البقاء، ومن أجل حياة أفضل. تقول موريسون : « أنا لا أكتب انتقاماً من العنصرية، بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص الناس، لا أحمل سيفاً، ولا أبتغي رد المظالم، أريد ملء الفراغ بصوت النساء السوداوات»[2].هكذا تتحدث موريسون عن النساء السوداوات أو عن المرأة الزنجية، التي تحتل «دور البطولة في رواياتها، وغالباً ما تحمل شخصيتها الطابع المأسوي، إذ تعمد الكاتبة إلى فهم واستيعاب تصرّف المرأة العادية. وهي عندما ترى العنف والضغط الذي تتعرض له الأميركية – الأفريقية كل يوم، تعي مدى القوة والإرادة التي تملكها وتجعلها قادرة على الاستمرار في الحياة، وهو أمر جدير بالاحترام»[3]. لما تتكبده هذه الأخير من مشقة وعناء من أجل البحث عن حياة بعيدة عن الظلام الذي يفرضه عليها العرق والجنس.

(1) - شيماء فؤاد، توني موريسون.. الكاتبة التي حاربت العنصرية بقوة الأدب.
(2) - ياسمين المساوي، توني موريسون صاحبة نوبل حاربت العنصرية بكتاباتها، مجلة دوت مصر، الخميس 2014/09/18. الموقع: http://old.dotmsr.com/ar/604/1/81890تاريخ الاطلاع: 2015/11/10.
(3) – نجاح القاضي، الروائية توني موريسون: نضال أدبي من أجل زنوج أمريكا، مجلة الحياة، 2004/06/28.الموقع: http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/ A7.html، تاريخ الاطلاع: 2015/11/13.

وتحتلُّ النساء السوداوات مكانة عالية في كتابات موريسون، التي كثيراً ما تعود « إلى الحفر في بئر العبودية المظلم ونبش العذابات من جذورها، انطلاقاً من نقطة بدايات التاريخ الحديث الأمريكي، الرحلة مابين أفريقيا والشمال الأمريكي. تنقّب صفحات تاريخ بدايات ما يسمى اليوم بأميركا »[1]. باحثة عن الحقيقة في التراث الماضي المتعلق بالأمريكيين البيض والسود، لتكشف الغطاء الذي يغطي الماضي الأليم الذي عاشه أجدادها، وآباؤها وعاشته هي أيضاً مع أسرتها التي هاجرت هاربة من الجنوب إلى الشمال، من سطوة البيض.وقد انطلقت موريسون من نفسها في معالجة قضايا المرأة الزنجية، التي تأثرت بها كثيراً في رواياتها.

فهي لم تنس أيام طفولتها التي عاشتها وعانت فيها الكثير، فلم «تنس توني قط ذاك التمييز العنصري الذي عانت منه هي وإخوتها وغيرهم من السود عندما لم يسمح لهم بالسباحة في (بحيرة إيري) خلال فصل الصيف الحار في مدينة لورين، لأنها خُصّصت للأطفال البيض فقط ،الذين كانوا يستمتعون بالسباحة بكل حُرية وفي أي وقت»[2].في حين يُحرم منها أبناء البشرة السوداء، باعتبارهم لا حق لهم في حياة اللعب والترف. كما أن موريسون استرجعت أيام كانت تعمل في بيوت البيض فقد «اشتغلت بعد دوام المدرسة في تنظيف منزل عائلة من البيض والذين عاملوها معاملة سيئة رغم أنها كانت مُجدة في عملها وتقوم لساعات طويلة بعمل شاق ومضن... أحست بإهانة، وبإهدار لكرامتها لكنها لم تتوقف عن العمل، وأخذت بنصيحة والدها الذي قال لها: (يا ابنتي، أنت لا تعيشين هناك. أنت تعيشين هنا لذا، اذهبي وقومي بعملك، واحصلي على نقودك، وتعالي إلى المنزل) »[3].كل هذا وذاك ساعد موريسون على كتابة مواضيعها التي تحمل في ثناياها أصل الهَم الذي يعانيه زنوج أمريكا، وهو استرجاع الهوية الأفرو أمريكية لزنوج أمريكا.

(1) - جاكلين سلام، رحمة رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية.
(2) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 7.
(3) - المرجع نفسه، ص 8.

وسنحاول جاهدين في هذا البحث الوقوف على صورة المرأة الزنجية التي جسدتها الكاتبة الزنجية صاحبة نوبل ذات الجذور الإفريقية توني موريسون للدفاع عن المرأة. في كتاباتها من خلال روايتيها(محبوبة) و (العين الأكثر زرقة). وأيضاً كيف « سخّرت قلمها للدفاع عن قيم العدالة والحق في الحياة الكريمة التي افتقدها سود أمريكا لردح من الزمن »[1] تحت ظل العبودية والشقاء.

(1) – الحوار، رشفة.. توني موريسون، مجلة جزايرس،نشر في الحوار يوم 13.05.2009.
الموقع:http://www.djazairess.com/elhiwar/13854 تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.

الفصل الأول

تجربة توني موريسون الأدبية

1- النشأة والميلاد.

أ- تأثرها بـ جان أوستانJane Austen.

ب- تأثرها بـ ليون تولستوي LeonTolstoï.

2- أثر الحياة الإفريقية في أعمال توني موريسون.

1- النشأة والميلاد:

توني موريسون (Toni Morrison)؛ روائية أمريكية زنجية ذائعة الصيت، أشهر من نار على علم في بلدها أمريكا والعالم الغربي، وهي معروفة بكتاباتها عن تجربة السود عامة والمرأة السوداء خاصة، وتُعدّ أول امرأة سوداء تحوز جائزة نوبل للآداب عام 1993[1]، وهي روائية أفريقية أمريكية، واسمها الحقيقي كلوي أنثوني وفورد "Chloe Anthony Wofford". من مواليد قرية لورين "Lorrain"، ولاية أوهايو "Ohio" الأمريكية، ولدت في الثامن عشر من شهر فبراير عام (1931). من أبوين إفريقيين هما **جورج**"Wofford George" و**رحمة**"Rahmah"[2]. وقد هاجرا من جورجيا في الجنوب إلى لورين في الشمال « أبي المسكين الذّي هرب مع عائلته من الجّنوب العنصري إلى الشّمال..»[3]، بعد أن اشتد العنف و استحالت سبل العيش بين البيض والسود في الجنوب. كما « تؤكد أن أهلها قد عانوا من الاسترقاق، فهربوا من الجنوب حيث كان يعمل أبوها في الزراعة، لكن الحياة ضاقت بهم فنزحوا نحو الشمال بحثا عن الحرية وعن حياة أفضل»[4]. بعد ما اشتدت معاناتهم في الجنوب الأمريكي.

تقول عن نفسها في ذلك:« إنني إفريقيّة أمريكيّة»[5]، و«إنني من مواليد كليفلاند، جذوري تعود إلى الجنوب، هرب أهلي من الاسترقاق في القرن الماضي، كان الصراع بين التكيف مع الواقع الأبيض والحفاظ على الهوية السوداء هاجسي دائماً»[6].ولهذا « أقامت اتصالا واعيا بجذورها العرقية والثقافية... وكان لديها شعور بالاعتزاز»[7]، وتُقرُّ أيضاً بذلك الانتماء حينما

---

(1) – ينظر: Toni Morrison, une fille de l'Ohio, Biographie، www.ens.fr/actualites/dhc/morrison.html، تاريخ الاطلاع: 2014/10/05.

(2) – ينظر: Vladimir Kleyman,Toni Morrison ,Song of Solomon,editionpublished by SparkPublishing, Copyright ©2002 by SparkNotes llc, New York, NY 10011، ص 1، تاريخ الاطلاع: 2014/10/10.

(3) – توني موريسون، الحياة في صندوق أسود (صفحات خاصة)، جريدة الفجر، يومية جزائرية مستقلة، الموقع http://www.paperblog. ترجمة: عبدالغنيبومعزة 27 ديسمبر 2011.
http://www.al-fadjr.com/ar/culture/198572.html، تاريخ الاطلاع: 2015/12/12.

(4) – مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 5.

(5) – توني موريسون، صورة الآخر في الخيال الأدبي، تر: د. محمد مشبال، منشورات: مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة (PROTARS III)، كلية الآداب ظهر المهراز - فاس، ط1، 2009، ص 44.

(6)– Toni MorrisonBibliography، ص 02.

(7) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 5.

تتحدث عن طبيعة عملها باعتبارها «كاتبة إفريقية أمريكية تعيش في عالم يقوم على التمييز الجنسي والعرقي»[1]. عالم يهيمن فيه البيض على السود. فهي كاتبة « أفريقية أمريكية في عالم جنسوي، وذي نزعة عرقية »[2] عالم يقوم على العرق والجنس.

والطفلة موريسون هي الثانية من بين أربعة أشقاء للعائلة الإفريقية ذات البشرة السوداء[3] التي تنتمي للطبقة العاملة الفقيرة، إلا أنها مثقفة. وقد عاشت موريسون ويلات مخلّفات الأزمة الاقتصادية عام (1930)، مما دفع والدها إلى العمل في ثلاث مهنٍ من أجل إعالة العائلة. إلى جانب أمها التي كانت مغنية في إحدى الكنائس[4].

وقد نشأت توني تنشئة سوية مستقيمة غير منحرفة، قالت « إنها لم تتعاط المخدرات في حياتها قط، حتى في مراهقتها حين كان كل من حولها يدخنون: لم أرغب الإحساس بشيء ليس من طبيعتي الأساسية، الهدف النهائي، كما كانوا يقولون، هو أن تشعر بالانتشاء، ولم تكن لدي رغبة في الوصول إلى إحساس مترتب على شيء أتعاطاه، أردت أن يكون لي إحساسي الخاص، حتى لو كان غير مبهج، أيّاً كان ما يعنيه ذلك»[5].فقد كانت توني تدرك حقيقة السيئ والحسن منذ الصغر، كما أنها مليئة بالأحاسيس العميقة الصادقة التي ساعدتها فيما بعد في كتاباتها واعتمدت عليها في تعرية المجتمع الأبيض، وتحرير أبناء بشرتها السوداء الذين كافحت من أجلهم، بكل صدق « لأن كل ما فيك يُعبر عما في داخلك »[6] حقاً.

وقد لوحظ على موريسون ولعاً شديداً بالأدب في الدراسة من خلال حصولها على المراتب الأولى في الصف، ثم تابعت دراستها في جامعة السود بـ هاورد (Howard) بواشنطون أين كانت تقدم دروساً في الأدب[7]. وفي سنة (1957) تحصّلت على شهادة الدكتوراه من جامعة

---

(1)– توني موريسون، صورة الآخر في الخيال الأدبي، ص 37 – 38.
(2) - بيار بورديو يحاور توني موريسون، نرى كما لم نر أبداً، (نص حواري غير منشور) تر:أحمد عثمان، مجلة ثقافات، 2010، الموقع: http://www.uob.edu.bh/uob__files/436/issue23/23_211_217.pdf، تاريخ الاطلاع: 2015/11/30، ص 5.
(3) - ينظر: Vladimir Kleyman Toni Morrison,Song of Solomon, ص 1.
(4)– ينظر: توني موريسون، محبوبة، ص 3.
(5) - إيما بروكز، توني موريسون لا تشعر بالذنب اتجاه أي شيء، صحيفة في المرصاد، صحيفة إلكترونية مستقلة، عمان، 12.06.2012، الموقع: www.filmirsad.com/content، تاريخ الاطلاع: 2015/11/23.
(6) – المرجع نفسه.
(7) - ينظر: Vladimir Kleyman Toni Morrison,Song of Solomon, ص 1.

كورنيل(Cornell). وحصلت بعدها على وظيفة كمُدرسة للغة الإنجليزية في جامعة تكساس (Texas) وجامعة هوستون (Houston)، وعملت كناقدة وألقت العديد من المحاضرات العامة المتخصصة في الأدب الإفريقي الأمريكي. وعملت كمحررة في مؤسسة راندوم[1] للنشر (Random House).

وفي عام (1958) تزوجت المهندس المعماري الجمايكي الشهير **هارولد موريسون** (Harold Morrison)، الذي أخذت منه لقب (موريسون) وأنجبت منه ولدين قبل أن يقع بينهما الطلاق في عام (1964)[2].

وفي عام (1968) رحلت **موريسون** إلى نيويورك، أين تابعت عملها في مجال النشر في مؤسسة راندوم للنشر، وأصبحت بذلك المرأة الإفريقية الأمريكية السوداء الوحيدة التي حصلت على هذا المنصب في تلك المؤسسة، « حيث ساهمت في تسيير أعمال الكتاب السود ومنهم على سبيل المثال توني كيد بامبارا إلى الصفوف الأولى، و أصبحت واحدة من أشهر الأسماء في دار راندوم»[3] وعملت « محررة رئيسية لأعمال الكثير من الأمريكان السود ومنهم **هوي نيوتن** و**أنجيلا** و**أنجيلا ديفيز** اللذين كانا يعملان في حركة (الفهود السود) كما أشرفت على تحرير أحد الأعمال التي نشرها (محمد علي كلاي) وقد واظبت على العمل التحريري بكلّ جدية »[4]ما ساعدها على الولوج إلى عالم السود من جهة ونشر بعض مقالاتها المتعلقة بأدب السود الأمريكيين الأفارقة من جهة أخرى. إلا أنها سرعان ما اكتشفت الحقيقة المرّة التي تأسّفت لها توني كثيراً وهي أن «تاريخ وثقافة وأدب الأوربيين والأمريكيين البيض كانت تدرس في الصفوف الدراسية أكثر من أعمال السود سواء في الجامعات المخصصة للبيض أو السود على حد سواء بينما هُمّشت ثقافة الزنوج، ولم يولها المسئولون التربويون أي اعتبار»[5]. وهو أمر تراه **موريسون** ليس بالسَّويّ لما له من

---

(1) - ينظر: رواية محبوبة، ص 4.
(2) – المصدر نفسه، ص 4.
(3) – توني موريسون.. أكتب للسود، وما علي الاعتذار، تر: ابتسام عبد الله، عن الغارديان، جريدة المدى، الموقع: http://www.almadapaper.net/ar/news/488931 تاريخ الاطلاع: 2015/11/11.
(4) – لطيفة الدليمي، توني موريسون.. عن الحب والفقدان والحداثة، جريدة المدى، يوم 01.10.2014، الموقع: www.almadapaper.net تاريخ الاطلاع: 2015/11/10.
(5) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 9.

تأثير على أدب السود الذي لم يكن ينقصه من التهميش ما هو فيه. وبهذا السلوك يبقى الأدب الزنجي رهين الرفوف والخزائن، إلى أن يؤول إلى الإتلاف والتمزيق، وربما كان هذا ما يسعى أنصار الأدب الأمريكي الأبيض إلى الوصول إليه.

إلا أن هذا لم يُحبط من عزيمة كاتبتنا التي رأت في هذا السلوك دافعاً قوياً إلى إعادة إحياء الأدب الزنجي من خلال إحياء تراثهم بالكتابة عنه وعن ماضيهم الغابر العريق. ولعلّ ما زاد من همة جوهرة الأدب السوداء هو الوقوف على « غزارة ثقافة الزنوج وتنوعها، وعمقها ودخلت عالمها المتفرد المليء بالأشباح والخرافات. كما لمست معاناة أجدادها من خلال مسيرة تاريخهم المجيد الذي يزخر بالانتصارات والانكسارات»[1]. ما كان حافزاً لها على الغوص في ثنايا الثقافة الزنجية والتراث الأفرو أمريكي الذي خاضت غماره بعد أن وجدت نفسها –دون انتظار– «فضولية وحذرة تجاه الأدب الأسود، مما مكنني من اكتشاف الكنوز حتى المجهولة، ليس الروايات، وإنما حكايات العبيد أو العبيد القدماء. الأدب يتضمن في نظري هذه الكمية اللامعقولة من الحكايات المكتوبة من قبل أناس عاشوا الرّقّ ودخلوا إلى عالم الحرية»[2]، بعد عناء كلّفهم حياتهم التي قدّموها قرباناً مقابل أن يعيش ما تبقى منهم وأبنائهم في حرية وسلام، في عالم يسوده الصفاء والهناء والمحبة والإخاء.

كانت حياة **موريسون** مليئة بالفولكلور، والموسيقى، والطقوس و الأساطير الشعبية الأفريقية الأمريكية، وأثّر ذلك في حياتها كثيراً. تقول عنها عائلتها: «إنّ موريسون انغمست كثيراً في عالم ما وراء الطبيعة»[3] لأنها كانت كثيراً ما تستخدم الخيال والغناء في التنبؤ بالمستقبل؛ ذلك لأن القصص والحكايات الشعبية الإفريقية كانت تحتل جانباً مهمّا في حياة عائلة "وفورد" بالنسبة للصغار والكبار على حدّ السواء.

وقد كانت موريسون في بداياتها الأولى تستحضر ذكرياتها أيام الطفولة، لتساعدها على الكتابة، حيث تعمد إلى إدراج واقع حياتها اليومية في قصصها وكتاباتها لتنفرد بأسلوب روائي

(1) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 9.
(2) – المرجع نفسه، ص 9.
(3)- Toni Morrison Bibliography،ص 03.

خاص صوّرت فيه حياة العنصر الأسود. « وقد عُرفت بكتاباتها التي تغوص في الأعماق لتحقيق الذات لكل الأمريكيين من أصل إفريقي، بالعودة إلى الجذور. إنها أدبية من الطراز الأول»[1]. تحاول التنقيب والحفر في بئر العبودية المظلم، والبحث في أعماق التاريخ الزنجي المُرّ انطلاقاً من بداية التاريخ الأمريكي الحديث.

وكانت موريسون في أيام دراستها الأولى الطفلة الوحيدة السوداء بين الأطفال البيض، وفي المرحلة الجامعية انضمت إلى مجموعة من الطلاب، وقامت معهم بجولة في مناطق السود أين وقفت عن قرب ورصدت حياتهم القاسية، تلك الحياة التي فرّ والدها بسببها بحثاً عن حياة العزّ والشرف.

بدأت موريسون كتاباتها الأولى حينما كانت بجامعة هاورد، حيث كتبت بعض القصص والمقالات، إلاّ أنها ما لبثت أن تخلّت عن القصة، لتبدأ رحلتها في عالم الرواية بعد أن طالعت وقرأت أعمال أكبر الروائيين من أمثال الروائية البريطانية **جين أوستين**Jane Austen (1775-1817)، والروسي **ليو تولتسوي**Leon Tolstoi (1828-1910)، والفرنسي **قوسطاف سفلوبرت**Gustave Flaubert(1821-1880)[2] وانتهجت نهجهم في نقل صورة المجتمع الأسود، وإسماع صوت المرأة ذات البشرة السوداء من الأفارقة الأمريكيين إلى الآخر. كما أن صاحبة نوبل «تأثرت ببعض الروائيين الأمريكيين السود وكذلك بعض الشعراء الأفارقة السود الذين أثروا فيها أكثر من الشعراء السود الأمريكيين الذين قالت إنهم يتجهون بشعرهم إلى الجمهور الأبيض»[3]. دون أن يعيروا اهتمامهم للإنسان الإفريقي الأسود الذي هو أصل الإنسان الأمريكي الأسود أو ما يسموا بـ زنوج أمريكا.

وقد « اشتهرت بكتاباتها للمجتمع الأسود والتجربة الأمريكية السوداء، تميز أسلوبها الأدبي بتوظيفها لعناصر الأسطورة والتركيز على الملاحظة الحاذقة واستثمار عواطف الشفقة بلغة شعرية

(1) – شيماء فؤاد، توني موريسون .. الكاتبة التي حاربت العنصرية بقوة الأدب، ص 3.
(2) - ينظر : Toni Morrison Bibliography، ص 03.
(3) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 6.

شفافة»[1]، كل هذا وذاك ساعدها على ولوج عالم الرواية بقوة، بعد أن بدأت الكتابة في بداياتها الأولى بعالم القصة.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن جوهرة أمريكا قد« تفجرت موهبتها الأدبية في سنٍّ متأخرة وهي على أبواب الأربعين من عمرها فجاءت أعمالها ناضجة وعرفت كيف تتحكم في خيوط الصنعة الأدبية وعملية الكتابة. دخلت إلى عالم الكتابة الأدبية من خلال فن القصة إلا أنها سرعان ما تخلت عنها لتتحول إلى الكتابة الروائية»[2]، ليكون أول ظهور روائي لها في عام (1970) حين نشرت روايتها الأولى بعنوان"العين الأكثر زرقة" (The Bluest Eye). وهي «قصة سمعتها من فتاة سوداء أخرى ظلت تصلي وتصلي كي تُمنح عينين زرقاوين »[3]هذه الرواية هي « إسقاط على ما واجهته موريسون نفسها حين أفضت زميلة لها بالمدرسة عن الحلم نفسِه، أن تصبح بعيون زرقاء، مما أصابها وهي في الثانية عشرة من عمرها بصدمة الإحساس الغريب بكراهية الذات، تذكرته قائلة: أردت معرفة كيف وصلت الفتاة إلى ذلك المدى ؟»[4]سؤال وجيه تطرحه موريسون وإحساس غريب تعيشه زميلتها التي كانت تبحث عن الجمال في عينيها.وقد كانت موريسون تعمل حينذاك كأستاذ اللغة الإنجليزية في جامعة هاورد. « وفيها تحكي عن فتاة سوداء بالغة تقع ضحية فكرة هوسها بمعايير الجمال طبقاً لمواصفات المجتمع الأبيض إلى حد قضت فيه حياتها وهي تتوق لامتلاك عينين زرقاوين »[5].وقد أثارت هذه الرواية اهتمام النقاد والجماهير من القرّاء والمهتمين بالأدب، لما فيها من حسٍّ ملحمي، وتصوير شاعري دقيق لحياة المرأة السوداء، والمجتمع الإفريقي الأمريكي الأسود الذي تنتمي إليه توني.

---

(1) – توني موريسون،جاز، الموقع:http://ktb.io/books/588. تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.
(2) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 6.
(3) – ابتسام عبد الله، توني موريسون.. جوهرة الأدب الأمريكي السوداء، المدى الثقافي: عن الأوبزرفر، ص 2. الموقع: www.almadapaper.net، http://www.yemeniamerican.com/show.php?yid=87
تاريخ الاطلاع 2015/11/23.
(4) – إيما بروكز، توني موريسون لا تشعر بالذنب اتجاه أي شيء، ص 2.
(5)- نقوس المهدي، العين الأكثر زرقة، توني موريسون، منتدى مطر،ص 5،الموقع: http://www.matarmatar.net/threads/8216/ ،تاريخ الاطلاع: 2015/11/29.

تقول **موريسون** في إحدى تصريحاتها:«أنا لا أكتب انتقاماً من العنصرية، بل لتغيير اللغة إلى لغة لا تنتقص الناس، لا أحمل سيفاً، ولا أبتغي ردّ المظالم، أريد ملء الفراغ بصوت النساء السوداوات»[1].بهذا الأسلوب تعبّر الكاتبة الأفرو أمريكية عن نفسها وعن الأفارقة الأمريكان الذين قابلوا العديد من الهجمات العنصرية ضدهم، « وبهذا اعتبرها العالم الأديبة الأولى التي تغوص في جذور الأمريكان الأفارقة لتحقيق ذاتهم، وتدرك بذلك معنى الحرية والهم الإنساني»[2].وتسعى جاهدة إلى تغيير الواقع المرير الذي يعيشه أبناء جنسها.

وفي عام (1973) صدرت روايتها الثانية "سولا" (Sula) التي تميزت بالخيال و رسم المعاناة والاضطهاد العنصري الذي عاناه الكثير من الزنوج الأمريكيين من أصول إفريقية، وقد صوّرت موريسون تلك المعاناة من خلال بطلة الرواية "صولا" الفتاة الزنجية التي تعمل فلاحة في حقول البيض.

وبين عامي (1976) و(1977) صدرت للكاتبة روايتها الثالثة بعنوان "نشيد سليمان" أو "أغنية سليمان" (Song of Solomon)، التي وصفت فيها موريسون عالم السود كما هو في الواقع، محاولةً منها في تحقيق الذات لكل الأمريكيين من أصل إفريقي، بالعودة إلى أغاني الطفولة والعودة إلى الجذور. وقد «لاقت هذه الرواية شعبية كبيرة، وترحيب واسع من النقاد والقرّاء»[3]. الذين استحسنوها ودرسوها بعمق، لما فيها من حقائق عايشها المجتمع الزنجي، الذي سلّط عليه البيض كل أشكال العبودية والرق والاستغلال الوحشي اللاإنساني، المخالفة والمنافية للقيم والأخلاق البشرية؛ فقتل منهم المئات وشرّد الآلاف وقضى على تاريخهم وثقافتهم.

وقد واصلت موريسون فن الكتابة في مجال الرواية بعدما حققت نجاحاً باهراً في رواياتها الأولى، فأنتجت روايتها الرابعة بعنوان "طفل القطران" (Tar Baby) التي نشرتها عام (1981)، وتحُثُّ فيها موريسون السود على ضرورة التضامن بين أفراد الجنسين (بين المرأة والرجل) في مواجهة العنصرية.

---

(1)- ياسمين المساوي، توني موريسون "صاحبة نوبل حاربت العنصرية بكتابتها".
(2) المرجع نفسه.
(3)- ينظر:.Vladimir Kleyman Toni Morrison ,Song of Solomon، ص 2.

في عام (1983) رحلت **موريسون** عن دار النشر "راندوم" بعدما قضت فيها حوالي عشرين عاما تقريبا من العمل والعطاء. ثم عملت أستاذة لمادة الإنسانيات بجامعة نيويورك. إلى عام 1987 أين صدرت روايتها الخامسة "محبوبة" (Beloved) «التي حازت بفضلها على أكبر الجوائز الأمريكية جائزة بوليترز (Pulitzer Prize) »[1]. التي تسلم للأعمال الخالدة.

وتتميز هذه الرواية بعرضها للوقائع التاريخية قبل زمن تحرير العبيد، وتروي فيها الكاتبة بكل جرأة حادثة حقيقية، « وهي جريمة قتل قامت بها العبدة مارغريت غارنير لدى هروبها من سيدها. من قتلت؟ ابنتها " لا لن تكون طفلتي عبدة مثلي" تعبير مأساوي عن كره النفس »[2]تعبير بليغ عن قسوة ذاك الزمن الذي كان الزنجي –تحت رحمة الأبيض– يُخيّر بين العبودية والموت فيختار الموت.

وبطلة الرواية هي الطفلة (محبوبة) التي كانت قريبة جدّاً إلى قلب أمها، لكن الأم فضّلت قتلها خوفاً ونجاة لها من العبودية المؤلمة.

ثم صدر لها عام (1992) رواية "جاز" (Jazz)، التي تحصلت بها عن الجائزة الأسمى في الأدب. وتدور أحداثها حول العجوز الزنجي الذي يقتل فتاة صغيرة من فرط غرامه بها، وتبدأ زوجته رحلة البحث عن الفقيدة. وهي أيضاً كسابقتها من روايات موريسون تنهل من معين الحياة الزنجية للأمريكيين السود، وأخذت موسيقى الجاز وعاءً لها.

في عام (1997) كانت رواية "فردوس" (Paradis) كمواصلة لسلسلة الروايات الموريسونية التي احتلت مكانة كبيرة في قلوب القرّاء والمهتمين.« ففي مطلع الرواية تتحدث الكاتبة عن مشهد الأم "ميفيس" التي تركت طفليها التوأمين في سيارة من نوع كاديلاك قديمة خلال نهار قائظ والنوافذ مغلقة، وولت الأدبار،فمات الطفلان اختناقاً »[3]. وتتحدث فيها عن الفردوس المفقود –عن حياة السعادة والسلام– الذي يبحث عنه الزنوج بعيدا عن عالم البيض.عن فردوس لم يستطع

---

(1)- Toni Morrison Bibliography، ص 04.
(2) – منيرة أبي زيد، الأدب الإمريكي الأسود.. من العبدة ويتلي إلى جائزة نوبل توني موريسون،ص3.
(3) - جاد الحاج، توني موريسون في "فردوس". الأنانية تلوث مأتي عام من الألم والانتصار في لحظة المكابرة، 1998/02/25. الموقع: http://daharchives.alhayat.com/issue_archive، تاريخ الاطلاع: 2010/11/15.

السود أن يحققوه في عالمهم الخالي من البيض، ذلك الفردوس الذي يقوم على علاقة نقية سوية بين أفراد المجتمع الأسود، أي أننا «عندما ننتصر على علاقة مغلوطة نقيم مكانها علاقة مغلوطة أخرى، فنداوي الغلط بالغلط.. وهذه هي الحماقة البشرية المتأصلة التي تطوف الكاتبة أرجاءها.. والتي تجعل الفردوس حلماً»[1]، فكان الفردوس المفقود.

وجاءت رواية "حُب" (Love) وهي الثامنة للروائية توني موريسون التي نُشرت عام (2003). لتأتي بعدها رواية "رحمة" أو "ألف رحمة" (A Mercy)« رواية عنيفة وقاسية ومتشعبة. متعددة الطبقات والأصوات، تدع القارئ في حيرة وخاصة في صفحاتها الأولى، ثم تبدأ تدريجاً في الكشف عن أعماق الشخصيات والأحداث في حياة كل فرد، بالعودة إلى بدايات القرن السابع عشر، بداية الهجرة »[2]. التي كانت باستقدام العبيد إلى أمريكا. وقد دارت أحداثها في ولاية ماريلاند الأمريكية. وقد نالت شهرة واسعة نتيجة الطريقة الجريئة والمتميزة التي كتبتها بها موريسون من جهة، وقيمة الموضوع و الأسلوب الجذاب من جهة أخرى.

بهذا الكم الهائل من الروايات وبهذه التواريخ المتلاحقة المتعاقبة، أنتجت موريسون ملحمة أمريكية محت بها أيام العبودية ومآسيها، وقد عدّ النقاد توني موريسون الكاتبة الأمريكية الأكثر إنتاجا في هذا العصر، ما أكسبها شهرة كبيرة دفعت النّقاد إلى البحث طويلاً في مادة الأدب الإفريقي الأمريكي.

هذا الأدب الذي به أعلت من شأن الإنسان الزنجي وحررت به القيود التي سيطرت عليه فترة من الزمن، بإظهارها لمعاناة و اضطهاد المجتمع الأسود داخل المجتمع الأمريكي الأبيض بشكل عام، من حيث التمييز العنصري المبني على اللون والجنس، بصفة عامة. وقد جاء هذا من نظرة فاحصة شاملة، كانت حينما « أدركت موريسون – وفي سن مبكرة– أن معضلة الهوية الإفريقية في أمريكا تحتاج إلى مبادرة جادة في الساحة الفكرية والإيديولوجية لمجابهة التوجهات التي ترسخت في ذهن الرجل الأبيض. فهي صاحبة نظرة ثاقبة واستشرافية حيث تتبنى آراء تؤمن

(1) - توني موريسون، فردوس،الموقع: http://ktb.io/1091 تاريخ الاطلاع: 2015/11/20.
(2) – جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية.

بها أشد الإيمان فوضعت يدها على المسكوت عنه »[1] المتمثل في ذاك التمييز المزدوج الذي تقع تحت وطأته المرأة السوداء من حيث تمييزها في المجتمع الأبيض، وكذلك معاناتها تحت سيطرة وغطرسة الرجل الأسود في حدّ ذاته. ومن هنا ركزت توني في أعمالها على كشف المستور وإزاحة اللبس الذي كان يسعى العنصر الأبيض على إخفائه، لهذا السبب وغيره « فقد وضعت قوتها في رواياتها التي تكلمت ... وفضحت ... ونددت بكل أشكال التمييز العنصري الذي سلب حقوق الإنسان الزنجي، ولم ينصفه، بل وضعه في خانة الهامش»[2] من باب أن الزنجي مجرد آلة ناطقة لا تصلح إلا لخدمة الرجل الأبيض. وتكشف صاحبة نوبل عن بداية تفكيرها في كتابة مواضيعها على الزنوج، عندما احتكت بهم عن قرب وتعايشت معهم في أجوائهم « ويبدو أنه من شدة تأثرها بوضعيتهم غير الإنسانية ولدت فكرة الاهتمام بثقافتهم، وهذا ما اعترفت به عندما اشتهرت، وعرف الناس توني موريسون الكاتبة: (أنا بدأت أفكر بثقافة السود كموضوع، وكفكرة، وكفرع من فروع الدراسة. وقد كانت من قبل على مستوى شخصي فقط – عائلي)»[3]. فكتابات موريسون –جلها– إن لم نقل كلها نابعة من عمق المجتمع الزنجي الذي تنتمي إليه وأثرت فيها حياتهم البائسة ومعاناتهم اليومية القاسية.وكل هذا بأسلوب« شاعري هجين مترف شعبي ومعقد، سردها المكثف يميل إلى التناغم مع التقليد الشفاهي »[4]،الذي جسّدته موريسون بوضع شخصياتها في سياق تبحث فيه عن هوية ومكان في الواقع الأمريكي الذي ينكر عليها حقوقها الإنسانية الكاملة.

وتُعدّ **موريسون** كاتبة روائية لها تجربة أدبية فريدة من نوعها، لما قدّمته للأدب العالمي والأمريكي على السواء، فقد كتبت العديد من المقالات وألفت الكثير من القصص، كما ألقت العديد من المحاضرات في مختلف الجامعات الأمريكية. وهي لا تكلّ ولا تملّ من تقديم المزيد عن الأدب الزنجي الذي هُمّش لأكثر من ربع قرن من الزمن. ولعلّ من أهم محاضراتها، تلك التي ألقتها «في

(1) -مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 7.
(2) –المرجع نفسه، ص 7.
(3) –نفسه، ص 8.
(4) - ابتسام عبد الله، توني موريسون.. جوهرة الأدب الأمريكي السوداء، ص 1.

جامعة برنستون بعنوان (الظلال إلى رومانس) من المحاضرات المهمة التي لقيت صدى عالميا فقد طرحت إشكالية الأدب الأفرو–أمريكي وعلاقته بالأدب الأمريكي »[1].إذ أنها لاحظت أن الأدب الأمريكي يقصد به أدب الرجل الأمريكي الأبيض دون غيره من الزنوج. وبالتالي فالأدب الزنجي في هذه الحالة مُهمّش ومضروب به عرض الحائط، وهو ما رفضته موريسون وسعت من خلال هذه المحاضرة إلى التعريف بهوية ومكانة الأدب الزنجي في بناء الثقافة الأمريكية المزدوجة بين البيض والسود، فهم في نهاية الأمر أمريكيون.

إن هدف موريسون من الكتابة التي « تقرّ بأنها تكتب فجراً لأنها تكون أكثر ذكاءً »[2] هو ليس الوصول إلى ما وصلت إليه فقط؛ وإنما هو كذلك منح « الحياة لجانب هام من الواقع الأمريكي، هو بالطبع واقع السود المضطهدين »[3]. فهي كما تقول: « أنا أكتب للناس السود (...) ولذا لا يتوجب علي الاعتذار أو أعتقد أني محدودة النطاق، لأنني لا أكتب للناس البيض»[4]. فالملاحظ هنا أن موريسون كان همها الأول والأخير هو مجتمع السود، وأنها كما تقول: « أعتقد أنني كنت مهتمة بقراءة كتاب معين لم أستطع أن أجده. لم أنظر إلى الأمر بهذا الشكل في البداية، لكن أصبح مثيراً جداً أن أكتبه ثم أقرأه، وأدركتُ وأنا أكتبه أنني قد أخطأته، لقد فاتتني حقيقة أنه لم يكن موجوداً من قبل بطريقة ما يمكن قراءته بها. كنت قانعة حتى ذلك الوقت لأنني كنت أظن بأن كل ما كنت أريد أن أقرأه قد كتب، وأنني سأجده، لكن ذلك لم يكن صحيحاً»[5]. فالهدف عند موريسون نبيل وهو الشهرة والوصول إلى العالمية، والغاية من كتاباتها أسمى وهذا ما يجب أن يكون عليه كاتب بحجم توني موريسون. وما كانت تحلم به « مثل جميع الكتاب. أحلم أن أكون كاتبة من طراز خاص، عبقرية ومبدعة لكي أكون خارج أي مقارنة. لكننا قرأنا كثيراً، أحببنا ألا نعرف مؤثراتنا. ومع ذلك أنا واعية لكوني موسومة من بين كثير من الكتاب

(1) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 13.
(2) –كمال الرياحي، أصوات الرواية.. كبار الروائيين يكشفون طقوس الإبداع، الخميس 18.06.2015، الموقع: http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/6/18، ص 1.تاريخ الاطلاع: 2016/03/01،
(3) - المرجع نفسه، ص 4.
(4) - ابتسام عبد الله، توني موريسون.. أكتب للسود، وما علي الاعتذار، ص 1.
(5) - لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، ص 4.

الأمريكيين، من الكتاب السود والبيض »[1]. فهي تدرك قيمة المكانة التي وصلت إليها وهي واعية بما يجب أن تفعله أيضاً. وقد نجحت صاحبة نوبل في توضيح ملامح الأدب الزنجي الذي همّش لسنين، ونجحت أيضاً في رسم الصورة الحقيقية التي قدّمت فيها المجتمع الزنجي، من خلال عرضها لصورة المرأة الزنجية في المجتمع الأمريكي الأبيض. وهي اليوم ترى في الكتابة المتنفس الذي تلجأ لترتاح فيه، بعدما تقدّم بها الزمن «فراغ وشيخوخة يفسحان مدى رحباً للتأمل في ماض ماثل في ذاكرتها، ويحيلانها إلى تذكر كل الإساءات التي لحقت بها. هذا ما يزيد من ألمها»[2] وبالتالي فإن الكتابة هي الملجأ الوحيد الذي تلجأ إليه جوهرة الأدب الأمريكي وتأنس به « إنها المكان الذي أعيش فيه، وأملك زمام أموري فيه، حيث لا أحد يملي علي ما يجب أن أفعله، لا أكترث لما يدور في العالم أو في جسدي أو في أي مكان عندما أكتب »[3]. فالكتابة هي مكان موريسون التي خُلقت لتملأه، وخُلق لها لتعيش فيه.

ولقد كُلّلت مسيرة الروائية الزنجية الأفرو أمريكية توني موريسون بالعديد من الجوائز والانتصارات، نتيجة ما قدّمته للأدب الذي كان أسير النسيان والتهميش وهو الأدب الأمريكي الأسود أو الأدب الزنجي، ولعلّ أهم الجوائز التي توّجت بها هي ما يلي:

جائزة الكتاب الوطنية عام 1975 عن روايتها سولا.

وجائزة حلقة نقاد الكتاب الوطني عام 1977 عن روايتها أنشودة سليمان.

ثم جائزة بوليتزرعام 1987 عن روايتها محبوبة.

وأيضاً فازت بجائزة نوبل في الأدب عام 1993 عن مُجمل أعمالها الأدبية.

ثممُنحت ميدالية المساهمة المتميزة في الآداب الأمريكية عام 1996 من مؤسسة الكتاب الوطنية.

(1) - بيار بورديو يحاور توني موريسون، نرى كما لم نر أبداً، ص 4.
(2) - أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، ص 3.
(3) – المرجع نفسه، ص 3.

وقد رُشّحت رواية محبوبة عام 2006 كأفضل رواية أمريكية نشرت خلال الخمس وعشرين سنة الماضية. هذه الرواية التي قالت عنها موريسون: « حاولت أن أجعل منها روايتي "محبوبة" رواية تاريخية »[1] لما فيها من ثورة كبيرة عن تاريخ السود.

وقد قلدها الرئيس باراك أوباما مؤخراً وسام الحرية الأمريكي، وهو أعلى تقدير يمكن أن يحصل عليه فرد من الأمريكيين من غير العسكريين.

وقد تُرجمت أعمالها إلى مختلف لُغات العالم، ومن بينها العربية. وتُعد موريسون من كبار الروائيين الأمريكيين الأحياء، الذين أضافوا الكثير للرواية الأمريكية والعالمية، وقدّموا للأدب عُصارة وخلاصة تجاربهم وأفكارهم الفذّة.

(1) - بيار بورديو يحاور توني موريسون، نرى كما لم نر أبداً، ص 4.

أ- تأثرها بـ "جاين أوستان" Jane Austen(1775-1817)[*]:

وكغيرها من الكُتاب والروائيين فقد تأثرت موريسون ببعض الكتاب الذين تركوا بصمتهم على الساحة الأدبية العالمية، وذاع صيتهم عبر تاريخ الإنسانية. ومن بين أولائك الكتاب الذين تأثرت بهم موريسون تأثراً مباشراً نجد عملاقة الفن الروائي البريطانية "جين أوستين".

تميزت روايات جاين بأسلوب السّخرية من القواعد الاجتماعية والأخلاقيات غير السوية بين طبقات المجتمع الواحد،«وقدمت أوستن هذه الأخلاقيات ليس باعتبارها مجرد تكيُّف ضروري مع الظروف الصعبة فحسب، ولكن باعتبارها أسمى من الغرور والكبرياء المقيتين اللذين يتسم بهما الأغنياء وأصحاب الألقاب الذين تسخر منهم في كثير من الأحيان»[1].

كما تميزت « بنظرتها الأخلاقية الثاقبة؛ فهي تستطيع النفاذ إلى أعماق البشر والوصول إلى سماتهم الأخلاقية، ثم تكشف النقاب عن حماقاتهم وعيوبهم وخداعهم لذواتهم وتحلل كل ذلك بمنتهى الدقة»[2]. وكانت كتاباتها أيضاً عن النساء اللواتي يبحثن عن الزواج وكيف كن يقعن في حب الرجل. كانت تصور هذه الحياة بأسلوب بارع تعرض فيه الواقع المعاش آنذاك.

واشتهرت رواياتها بأنها مليئة بصور الناس الذين يعتبرون أنفسهم أفضل مما هم عليه وأفضل من الآخرين. فهي تتحدث في رواياتها عن الحبّ، وفي الوقت ذاته تتكلم عن المنزلة الاجتماعية، والمشكلات اليومية للطبقة الوسطى في ذاك العصر.وبذلك « تُعَدُّ رواياتها مسرحيات تتناول موضوعات أخلاقية عميقة وجادة للغاية. إنها تربية أخلاقية تتنكَّر في صورة ترفيه»[3].

(*)- ولدت جان أوستان في السادس عشر ديسمبر من عام 1775 بمدينة ستيفنتن (Steventon) البريطانية، وهي الابنة الثامنة والأخيرة بين أشقائها. بدأت الكتابة في عام 1787، فكتبت بعض القصص والمسرحيات والقصائد، وفي عام 1795 بدأت في كتابة روايتها الأولى "الحس والإحساس"، وفي عام 1796 كتبت روايتها "الكبرياء والتحيّز". كتبت جاين العديد من الروايات والقصص، ولم يزل ذاك دأبها إلى أن وافتها المنية في الثامن عشر من شهر جويلية عام 1817، عن
André Durand،Jane AUSTEN(Angleterre)Comptoirlittéraireالموقع:
www.comptoirlitteraire.com، تاريخ الاطلاع: 2014/10/23.
(1) - توماس رودام، قراءة أعمال جين أوستن من منظور فلسفة الأخلاق، تر: أحمد شكل، مجلة هنداوي، 2013/09/29، الموقع: http://www.hindawi.org/safahat/53749097/، تاريخ الاطلاع: 2016/02/25.
(2)- المرجع نفسه.
(3) – نفسه.

ولعلّ روايتها الأولى(كبرياء وتحامل)–التي تُعدّ الرواية الحديثة الأولى بالإنجليزية– كانت من أوائل الكتب التي عالجت حياة النساء في أوائل القرن التاسع عشر.

إن المُتتبع لهذه الميزات التي تميّزت بها جاين أوستان في رواياتها (الأسلوب، الطبقية (الأسياد والعبيد)، المرأة، الحب، الزواج، العنف ضد المرأة، الحياة الاجتماعية والمشكلات اليومية) من جهة، والمُطّلع على روايات توني موريسون من جهة أخرى، سيقف دون شكّ على نقاط التداخل والاشتراك بين الروائيتين، وهي في ذاتها نقاط التأثير والتأثر، فقد تأثرت موريسون كثيراً بروايات جاين رغم اختلاف المكان والزمان واللون؛ ذلك لِما وَجدت فيها من نظرة مشتركة بينهما للمواضيع التي عالجتها جاين وتعالجها موريسون.

وقد نجحت موريسون إلى حدّ بعيد في اقتفاء أثر الروائية جين أوستان، من خلال طرقها للمواضيع الإنسانية التي تخص المجتمع بصفة عامة، والمرأة بصفة خاصة. و أيضاً من خلال دعوة المجتمع الأبيض والأسود إلى الحب والتمسك بالأخلاق الفاضلة ونبذ الرفض والعنصرية والتفرقة بين المجتمعين اللذيْن تعتبرهما موريسون مجتمعاً واحداً يخضع لمبادئ الأخلاق والقيم الفاضلة والكرامة. وهو ما نادت به أوستان في أغلب رواياتها.ونجحت موريسون أيضاً في تصوير الحياة الاجتماعية للمجتمع الزنجي الأمريكي، وفي عرض القضايا التي دارت حولها رواياتها العالمية؛ من خلال عنصر المرأة الزنجية ذات الأصل الإفريقي، كرمز وكمثال تدور حوله أحداث الرواية.

ب- تأثرها بـ "ليون تولستوي"Leon Tolstoi(1828-1910)[1]:

ومن الذين قرأت لهم الروائية موريسون كذلك، الروائي والفيلسوف الشهير، المصلح الاجتماعي الروسي **ليو تولستوي**، الذي يُعدّ من كبار الروائيين الروس ومن أعمدة الأدب العالمي في القرن التاسع عشر.

إن ما يميز هذا الروائي العظيم في أعماله هو معالجته المواضيع الاجتماعية، التي سادت في ذاك العصر كموضوع الصراع بين الفلاحين من العبيد والطبقة الحاكمة ومعالجته قضايا المرأة الزوجة والعاملة، ومحاربته للطبقية وشرورها التي كانت سائدة في المجتمع الروسي الارستقراطي، داعياً إلى المساواة بين الناس، باحثاً في إنشاء عالم جديد خال من الشر والمرض والبؤس، يعيش فيه الناس جميعاً إخوة سعداء.

كان يتكلم عن الأسر السعيدة ويصور حياة الأسر التعيسة، ويكشف اللثام عن حقيقة الإنسان الوجودية التي هو عليها، والروحية التي يجب أن يكون عليها بين الخير والشر. كما جاء في روايته "الحرب والسلام" التي تدور أحداثها حول التسلسل التاريخي للأسر الروسية، ومراحل الحياة والتجارب الإنسانية المختلفة.

عاش تولستوي من أجل الحرية والمساواة والعدالة، والوقوف في وجه الظلم رافضاً كل التصرفات والمعاملات السيئة ضد الطبقة الكادحة، داعياً إلى مجتمع مثاليٍّ طاهرٍ من كل ما يشوبه ويُشينه.

---

(1)- ولد الروائي تولستوي في التاسع من شهر سبتمبر عام 1828 بقرية "ياسنايا بوليانا" (YasnayaPolyana) بالقرب من مدينة موسكو، من عائلة أرستقراطية، كتب العديد من القصص والمذكرات، ويعدّ النقاد روايته الأولى "الحرب والسلام" التي كتبها عام 1869 من أشهر أعماله.

توفي ليو تولستوي في العشرين من نوفمبر عام 1910 (1)، متأثراً بالالتهاب الرئوي، عن عمر ناهز 82 عاما.

- ينظر:

The Library of America • Story of the Week

Reprinted from *The Lincoln Anthology: Great Writers on His Life and Legacy from 1860 to Now* (The Library of America, 2009), pages 386–391.

© Copyright 2009 Literary Classics of the U.S., Inc.

First appeared in the February 7, 1909, issue of the New York World.

ولعلّ هذا ما أثّر في نفسية كاتبتنا توني موريسون، فانعكس ذلك على أعمالها الأدبية، إذ لا نكاد نجد فروقاً شاسعة في أسلوب الكتابة ونوع المواضيع بينها وبين الروائي تولستوي؛ فقد سعت موريسون في أكثر من رواية إلى الدعوة إلى الحرية والتحرر من قيود العبودية والطبقية، ومن هيمنة البيض على مجتمع السود.

كما دعت إلى دفع الظلم وضرورة الاعتراف بالعنصر الزنجي الأفرو أمريكي، الذي يجب أن يتمتع بكل حقوقه في الحياة والعيش إلى جوار الرجل الأبيض جنباً إلى جنبٍ، في جو من الأخوة والتسامح والمساواة.

إن توني موريسون استطاعت بكل ثقة أن تصل إلى هدفها المرجو، ونجحت نجاحا مبهراً في تصوير صورة المرأة الزنجية الإفريقية الأمريكية خاصة، والمجتمع الزنجي عامة، بطريقة مؤثرة ومعبرة، استحسنها القراء والنقاد وأصحاب الرأي، على مختلف الأصعدة.

2- أثر الحياة الإفريقية في أعمال توني موريسون:

لم تخرج الكاتبة الأفرو أمريكية موريسون في كتاباتها عن محيطها الإفريقي، الذي يمثله المجتمع الزنجي بكل عاداته وتقاليده ومعتقداته، تقول موريسون: «عندما لا يكون بمقدوري أن أبتكر أو أن أركز على شيء يمكنني تخيله أو ابتكاره، أعمد إلى استعادة شريط حياتي »[1] لذا نرى أثر الحياة الإفريقية يظهر جليًّا في روايات موريسون ابنة الجنوب وقد : « كان الصراع بين التكيف مع الواقع الأبيض والحفاظ على الهوية السوداء »[2]. هاجسها الدائم. فالحياة الإفريقية جزء لا يتجزأ من شخصيتها وكتاباتها.

فهي « نشأت ... وسط عائلة تكن حُباً لا حدود له لثقافة السود، وقد شكلت القصص المروية شفاهيا مع الأغاني والحكايات الفلكلورية المعين الثري الذي نهلت منه موريسون معظم خبرتها الطفولية »[3]، وها هي تقول:«كانت جدّتي تلعب معي اللوتو، تطلب مني أن أحكي لها

(1) - أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، جريدة القبس، ص 2.
(2)– Toni Morrison Bibliography، ص 02.
(3) – مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 6.

عن أحلامي، وكنا نترجّل القصص، نتخيّل مغامرات التّنانين، نكت، فوازير عاطفيّة (...) كنا نستمع لها بإعجاب، كانت تحبّ الكلمات،تحبّها كثيرا (...) هذه كانت بداياتي مع الكلمات، بدايات تخيّلاتي لعالم جديد لا اعرفه بعد، أظن أنها كانت خطواتي الأولى في عالم الحكي، أصنعها بكلّ الأفكار التّي تخطر على بالي، حكايات خياليّة، شخصيات خرافيّة، إنها طفولة تسبح في السّحر. تلك هي بداياتي الأولى في الكتابة »[1]. كما كان والدها يقوم« بسرد قصصه المختلفة والممتعة عن مجتمعات السودُ لها ولإخوتها ولأسلوبه الشيق الفضل الكبير في ولعها بالكتب والأدب بشكل خاص »[2]. كل هذا وذاك مكنها من الوصول إلى ما وصلت إليه.

هكذا تعود موريسون بذاكرتها إلى الماضي الإفريقي الأليم لتستحضره في رواياتها، وتكتب عن تلك الجوانب الكثيرة التي لا يحب السود أن يعرفوها عن أنفسهم، وهي وثيقة الصّلة بماضيهم وبالعذاب والاضطهاد والقمع والقتل الذي عانى منه الزنوج كثيراً. فهي « تنخرط في تعرية المجتمع بكل طبقاته، رجاله ونسائه، أفراده السود والبيض، والملونين. يختلط بين سطورها العنف بالكره، بالحب وبالأمل »[3]. لتنسج مزيجاً من الحقيقة والخيال في الرواية.

ففي رواياتها يقف القارئ أمام حسٍّ تاريخي يضرب بجذوره في أعماق التاريخ، بل يضرب في أعماق ثقافة وحكمة إفريقيتين. ويكمن هذا في قول سوزان ويليس[*]:« لا أحد يستطيع أن يقرأ رواية كتبتها توني موريسون أو أليس ووكر أو بولا مارشال دون أن يواجه التاريخ ويشعر بتأثيره ويمر بتجربة التغيرات التي فعلها التاريخ »[4]. وبالتالي فإن الحس التاريخي متأصّل في رواياتهن، مكرّسٌ لاستعادة الثقافة الإفريقية الأمريكية المتمثلة في اللغة والغناء والرقص والحكايات، وكل الممارسات والطقوس التي شكلت، و تشكل حياة الزنوج اليومية التي ترعرعت فيها موريسون.

---

(1)– توني موريسون، الحياة في صندوق أسود.

(2) - لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، قسم الترجمة في منظمة صوت العقل، يوم 2013/07/24، الموقع: http://thevoiceofreason.de/mobile_site/ar/article/5774، ص 3، تاريخ الاطلاع: 2016/03/01،

(3) - جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، ص 3.

(*) - ينظر: توني موريسون، محبوبة، ص 14.

(4) - توني موريسون، محبوبة، ص 14 – 15.

ولم تزل موريسون تكتب عن الماضي الأليم– الذي يريد الأفارقة نسيانه–لما يزيد عن ربع قرن، واضعة شخصياتها السوداء في سياق تبحث فيه عن هوية ومكان في الواقع الأمريكي الذي يسيطر عليها، ويملك حق التصرف، وينكر عليها حقوقها الإنسانية الكاملة.

يقول عنها في هذا الشأن الكاتب الأفرو أمريكي الأسود الكبير جيمس بالدوين(*):« إن هناك جوانب كثيرة لا نحب نحن السود أن نعرفها عن أنفسنا، وهذه الجوانب وثيقة الصلة بماضينا وبالعذاب والاضطهاد والقمع والقتل الذي تعرضنا له وعانينا منه كثيرا.وكتبت توني موريسون عن هذه الجوانب التي لا يريد السود أن يعرفوها عن ماضيهم، أو ما يريدون نسيانه »[1]. فهي لم تنس قط « قصة فرار جدتها بمفردها من الجنوب الأمريكي وهي تصطحب معها سبعة من أبنائها هروبا من الأحوال المعيشية التعيسة، ومن الاضطهاد والرق وبحثا عن حياة أفضل في الشمال الأمريكي»[2] ولم تنس أيضاً المأساة التي عانتها عائلة « أمها (ويليس) من الظلم والقهر حيث طُردت شرّ طردةٍ من أراضيها الفلاحية التي كانت تعمل بها. فانتقلت إلى أوهايو بعد أن استولت مجموعة من الجنوبيين البيض عليها »[3]. كل هذا كان حاضراً في روايات صاحبة نوبل التي تُنقّب في ثنايا تاريخ أجدادها بعمق، لتقف على الحقائق المُرة التي لا يريد السود استرجاع ذكراها.

لقد عالجت موريسون في رواياتها موضوع العنصرية، والعلاقة بين أبناء الجنسين الأبيض والأسود، وصورت ملامح الحياة الإفريقية بطريقة قص فائقة وبفنية فذة رائعة، ولعلّ ما يَهمُّ موريسون في هذا هو آثار تلك الظروف والعواقب على عقول وقلوب الفئة السوداء من أبناء الجنسين.

وفي روايات موريسون أيضاً يتضح أثر الحياة الإفريقية في أعمالها، من خلال توظيفها لأشباح ودمى سحرية، وأكياس تتدلى من السقف مليئة بعظام بشرية، وأجساد مصلوبة على

(*)– جيمس بالدوين، أو جيمس بولدوين James Baldwin روائي ومسرحي وكاتب مقالات من أهمّ الكتّاب الأمريكيين من أصل إفريقي. ولد في حي هارلم Harlem بنيويورك عام 1924، وتوفي بفرنسا عام 1987.

(1) – مراد بن منصور، (مقال) في أروقة جنون الثقافية، الروايات العالمية، يوم 2010/10/06 ، الموقع: (http://gn0o0n.com/vb/showthread.php?t=5059) ، تاريخ الاطلاع: 2015/10/10.

(2) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 11.

(3) - المرجع نفسه، ص 11.

الشجر، وأرواح للأجداد والأسلاف...الخ. كل هذا وغيره ما هو إلا قطعة تراثية متأصلة في العالم الإفريقي الأسود، العالم الذي تنحدر منه موريسون.

وهو عالم يبدأ من الوسط العائلي الذي نشأت فيه موريسون، والذي « مكّنها من استيعاب التراث الزنجي في مجال الموسيقى والخرافات والأساطير والمناخ الثقافي لعائلتها. كان جدها يعزف الكمان، وأمها تغني في جوقة المرتلين بالكنيسة وتفك رموز الأحلام »[1]. أضف إلى تبادل الحكايات الذي كان « أمراً مشتركاً يتبادله رجال الأسرة ونساؤها، خاصة حكايات الأشباح والأرواح»[2]. فكان لهذا المناخ الأسري الأثر الكبير، وكان عاملاً مُهمّاً في تكوين وتنمية الرصيد الثقافي و المعرفي لدى موريسون. إلى جانب تأثرها بالأدب الروسي والأوروبي كما ذكرنا سالفاً.

ولعلّ هذا المناخ الأسري الذي نشأت فيه سيدة الرواية الزنجية، قد أثر فيها فحاولت المحافظة عليه، إلى جانب أنها استغلته كأرضية لأعمالها، « ولقد حز في نفسها أن يهمش الموروث الثقافي الإفريقي. فإذا كانت صدور أجدادها قد حملت – ولعقود من الزمن هذه الثقافة– وحافظوا عليها وورّثوها لأبنائهم مثلما ورّثوهم العبودية فإن توني موريسون قد جندت قلمها لرد الاعتبار للتراث الزنجي وتخليده حتى لا يندثر بموت أصحابه، وحتى يعرف "الآخر" قيمته »[3].فيلقى اهتماماً من أصحاب الرأي وأهل الاختصاص، ويرقى إلى مكانته التي يجب أن يكون عليها، وهذا ما تطمح إليه موريسون وتسعى جاهدة إلى تحقيقه، لتخرج بأدب أمتها من الظلمات إلى النور.

ومن هنا فإن موريسون ترى أن ما يجب أن تكتبه، وتكتب عنه هو ذاك العالم الواقعي الذي يعيشه السود تحت هيمنة أسيادهم. عالم يحكمه اللون، مليء بالرعب والعبودية، ويؤمن في الوقت ذاته بالمعجزات والسحر والخرافات والأساطير «إن هذا ما يجب أن أكتب عنه، أن أحكي عنه، لماذا اكتب روايات واقعيّة؟ أليس تاريخنا الواقعي مقرون ومرتبط بالرّجل الأبيض؟ أسيادنا البغيضين، ليست هذه أحلامنا، كنا نعيش في فضاء آخر مسكون بالأشباح، الحكايات، النّبوءات

(1)- توني موريسون، محبوبة، ص 3.
(2)- المصدر نفسه، ص 3.
(3) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 11.

والآلهة.عوالم حيث الأطفال السّود يحلمون بعيون زرقاء حتّى لو كان الرّاديكاليون ينظرون لهذه الأفكار بعين الرّفض والسّخرية، الحياة كانت ومازالت دائما أكبر من الحياة ذاتها»[1].فالكتابة عند موريسون تعتمد في نهاية الأمر شكلاً تراثياً شعبياً في سرد حكاياتها، وعرض فنياتها. فهي تكتب كما قالت ذات يوم : « كي أبدع النظام والجمال والحياة انطلاقاً مما يحيطني، على الرغم من أن محيطي هذا ليس سوى سديماً وبؤساً وموتاً »[2].

هكذا دافعت وتدافع موريسون عن أصلها وعن أبناء جلدتها، بعرضها للحياة الحقيقية التي يعيشونها في مجتمعهم الأسود، بأسلوب روائي مميز تمتزج فيه الحكاية والأسطورة والقصة الشعبية والخرافة، لتخلق منه إبداعاً أدبياً مميزاً يعكس حقيقة ما يعاني منه السود في أمريكا تحت وطأة الرجل الأبيض.

لقد كافحت موريسون وعملت جاهدة على تسخير كل ما هو متاح وما هو ممكن من أجل حجز مكانة لها بين الأماكن الأدبية، وبالتالي تحجز مكانة لأدبها، الذي يمثل أدب أبناء جنسها الذي من خلاله تسعى إلى تحقيق أهدافهم، ولذا فقد « استغلت موريسون كل السبل المتاحة لتحقيق هدفها المنشود الذي سيرفع من ذاتها، ومن احترامها لنفسها. فألقت المحاضرات في الجامعات، وكتبت المقالات النقدية في مختلف الصحف والمجلات، وأجرت حوارات أدبية ومقابلات تلفزيونية متعددة، وأصدرت أعمالا نقدية وروائية ... ومازالت إلى اليوم وهي في العقد الثامن من عمرها تكتب، دون كلل، وبنفس حماسها المعهود عن قضيتها... دون الالتفات إلى أشباح الماضي. بل هي عندما تنبش – بذكاء– ذاكرة الفرد الإفريقي الأمريكي فإنها تُحضّر للمستقبل »[3]. المستقبل الذي لم تزل موريسون تكتب له وتستمده من تراث الماضي المؤلم، الذي لم تتردد يوماً في التخلي عنه، حتى وهي تناهز عقدها الثامن؛ لأنها تدرك حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها، وما ينتظر منها أبناء جلدتها أن تقدمه كعربون تقدير واحترام لهم ولأجدادها الذين صعدت روحهم إلى السماء. كما أنها تدرك حق الإدراك أن المكانة التي وصلت إليها اليوم –عن

(1) – توني موريسون، الحياة في صندوق أسود.
(2) – لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، ص2.
(3) - مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا، ص 11.

جدارة– ما كانت لتتخلى عنها بسهولة، وهي اليوم تُعدّ هرماً في الأدب الأمريكي الحديث، وأيقونة من أيقونات الأدب الزنجي الأسود الذي أضحت رمزاً كبيراً له، لا يُذكر إلا وذُكرت معه موريسون.

الفصل الثاني

النماذج النسائية للمرأة الزنجية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة"

1- المرأة الأم

2- المرأة الزوجة

3- المرأة العاملة

4- المرأة المثقفة

5- المرأة المضطهدة

6- المرأة المومس

7- الصورة الجسمية للمرأة الزنجية

لم يعان المجتمع الذكري على اختلاف طبقاته العمرية،ما عانته المرأة عبر مرّ العصور،فهي التي عانت معاناة جعلت حياتها عذاباً ومأساة،أفقدتها كرامتها وحطّت من قيمتها. وقد «اعتُبرت المرأة منذ فجر الحضارات كائناً ثانوياً مُلاماً دوماً دون الرجل، تُستهلك جميع محاسنها، والتي تُعتبر في نظرهم نادرة كندرة الشمس في المناطق القطبية، أي الجمال، القوة، الإنجاب، ثم تطرح أو تبدل بالتي هي أفضل وأحسن للإنتاج. كانت المتهمة الأولى والوحيدة في جريمة الإغراء لإسقاط الرجل، متناسين دور الرجل في ضبط نفسه »[1].والمرأة في روايات موريسون عنصر مغلوب على أمره، يعيش تحت سلطتين: سلطة اللون وسلطة الجنس، وبالتالي فإن « صورة المرأة الإفريقية في الغالب، هي صورة للمرأة المقهورة الخاضعة الصّامتة، التي قبلت قدرها دون مقاومة»[2]. تحت سيطرة الجنس والعرق.

لقد قدمت توني موريسون في رواياتها مجموعة من الشخصيات النسوية التي دارت حولها أحداث الرواية، كنماذج لصورة المرأة الزنجية التي حاولت موريسون أن تعرضها للقارئ كما هي في واقعها الذي تعيشه، وقد كان لكل شخصية من الشخصيات صورتها وقضيتها الخاصة بها على حسب الدور الذي تؤديه هذه الشخصية.

فقد عرضت لنا صاحبة نوبل الصورة الجسمية للمرأة الزنجية من جهة، وصورة للمرأة الأم، وصورة للمرأة الزوجة، وصورة للمرأة المربية، وصورة للمرأة العاملة في بيوت البيض من جهة أخرى.وقد صورت أغلب هذه الصور – السّالفة الذكر– في رواية العين الأكثر زرقة في شخصية واحدة، هي الشخصية الغالبة التي تدور حولها أغلب وقائع الرواية؛شخصية السيدة بريدلوف (بولين) أمّ الطفلة بيكولا الشخصية البطلة صاحبة العيون الزرقاء.فهي مرة أمّا ومرة زوجة ومرة عاملة... إلى غير ذلك من الصور.

(1) - أفرام سليمان متى (القس)، المرأة عبر التاريخ، قناة عشتار الفضائية، الموقع:http://www.ishtartv.com/book,81,books.html ، د. ط، ص 4. تاريخ الاطلاع: 2016/03/01.

(2) - Jean-Michel Kalmbach,La femme Africaine dans Les honneurs perdus de CalixtheBeyala, mémoire de licence, université de Jyväskylä, Institut de langues modernes.et classiques ,VanamoKuosmanen

ومثلت صورة للمرأة المثقفة وصورة للمرأة المتوحشة ، وصورة للمرأة المومس من خلال الشخصيات النسائية التي أدرجتها في الرواية ذاتها.

أما في روايتها محبوبة فقد صورت لنا هذه الصور من خلال شخصياتها الرئيسية في الرواية.

وسنرى كيف عالجت موريسون من خلال هذه النماذج قضايا المرأة الزنجية ومشاكلها، بأسلوبها السردي المتميز.

1- صورة المرأة الأم:

تحظى الأم منذ القديم بمنزلة كبيرة في المجتمع الذي تكون فيه، إذ هي النواة التي تقوم عليها الأسرة والمجتمع. ومع مجيء الإسلام أعطى للأم كل حقوقها وخصها بمكانة رفيعة، وفرض طاعتها على الأبناء وحفظ مقامها، وقد حفظ الإسلام للأم مكانتها ودعا إلى الإحسان إليها قال تعالى: « وقضى ربّك ألاّ تعبدوا إلاّ إياه وبالوالدين إحساناً، إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً، واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيراً »[1]. وقال أيضاً: « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهنٍ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير »[2]. فمكانة الأم موجودة منذ زمن بعيد وقد عزّزها الإسلام، ورسّخها في النفوس، ودافع عنها لتبقى الأم في تلك المنزلة التي خلقها الله من أجلها.

و« الأم هي محور الأسرة وسرّ استمرارها»[3] وقد لعبت دوراً بارزاً في المجتمع الإفريقي والمجتمعات الأخرى منذ القدم، فهي رمز الحنان والمحبة والشفقة، وهي رمز التضحية والجهاد. وتظل صورة الأم وعلاقتها بزوجها، وبالأولاد وبالجيران وبالمجتمع عموماً، تشغل حيزاً هاماً جداً

(1)- سورة الإسراء، الآية 23 - 24.
(2)- سورة لقمان، الآية 14.
(3)- وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، د.ت، ص 71.

انطلاقاً من موقعها ورؤية الآخر إليها، وانطلاقاً من وظائفها في المجتمع، فقد كانت وستظل العماد الأساس وحجر الزاوية في الأسرة الإفريقية وغيرها.

وقد شغلت صورة الأم حيزاً كبيراً في روايات توني موريسون، وقدمت لها نماذج متعددة، ولم تقف عند الصورة النمطية العادية للأم التي تمثل التضحية والحنان والصبر والعطاء، بل تعدتها إلى صورها الأخرى كالصورة السلبية.

فمثلاً صورة " أم جين " في رواية " العين الأكثر زرقة " تمثل صورة المرأة الأم الصالحة السعيدة مع عائلتها تلاطف عيالها وتغمرهم بالمحبة، فهي المرأة الأم التي تملأ بيتها بالسعادة والحنان «أنظر إلى الأم. الأم لطيفة جداً »[1]، وصورة السيدة "بريدلوف " فهي تمثل مرة الصورة النمطية للأم الحنون، ومرة الصورة السلبية لها. ويأتي هذا التنوع في الصورة على حسب التنوع في الدور الذي تفرضه الرواية على شخصياتها. إلا أن تلك الصورة السلبية للأم ليست صورة سلبية إلى درجة عدم الاهتمام بالأطفال والأولاد، ولكنها صورة تعكس قلة الاعتناء والاهتمام بالأطفال. وهي صورة نجدها في الكثير من البيوت. ولعلّ ظروف القهر والعذاب التي تعيشها المرأة الزنجية تحيلها دون الاهتمام بأبنائها وأسرتها. إذ أن ما تعانيه من متاعب طوال اليوم يجعلها في حالة نفسية غير سوية وفي حالة غضب وثوران، ولا مجال لها للتفريج عن همومها إلا بإطلاق صيحاتها وصراخها على عيالها، لتملأ البيت ضجيجاً وصراخاً فتحس أخيراً باسترجاع أنفاسها وهدوئها.

ونجد صورة الأم النمطية للسيدة "بريدلوف " تتمثل في السهر على رعاية بناتها طول الليل، وحمايتهن من الآلام والأوجاع، وقسوة الطبيعة الباردة في الليل، كما تصف ذلك ابنتها كلوديا «وفي الليل، عندما أصبح سعالي جافاً وقوياً، دخلت الغرفة أقدام بخطى خافتة. زرّرت أيد الفانيلة، وعدّلت اللحاف، ثم استقرّت، للحظة، على جبيني »[2]. وفي صورة أخرى للأم النمطية، ودائماً ممثلة في السيدة بريدلوف في بيتها وبين أسرتها أين كانت السيدة "بريدلوف " تتابع تحركات بناتها

(1) -توني موريسون، العين الأكثر زرقة، تر: فاضل السلطاني، دار الطليعة الجديدة، سوريا – دمشق، ط 1، 1997، ص5.
(2)–المصدر نفسه، ص10.

وتراقبهما بين الفينة والأخرى وتستمتع بهن وهن يلعبن« كانت عينا ماما تراقبان برقّة حركة أيدينا وهي تتجول على جسم السيد هنري »[1]. هكذا تقوم السيدة "بريدلوف " بدورها الكامل تجاه بناتها من أجل أن تمنحهم السعادة والسكينة والهناء. برغم كل ما تعيشه من مأساة ومعاناة في بيوت البيض من أجل الحصول على لقمة عيش تعيل بها بناتها، وبرغم معاملة زوجها لها أحياناً معاملة سيئة حين يقابلها بالضرب والشتم والسباب من أجل أن يحطّ من غضبه، و يقلل من روعه. فينهال عليها ضرباً وشتماً وسبّاً. وهي لا تزال تتحمل كل ذلك من أجل إسعاد أبنائها وإعالتهم والسهر على تربيتهم.

وقدمت الرواية صورة أخرى للأم الحنون، مثلتها أيضاً السيدة "بريدلوف " التي عطفت على بناتها حتى عند الغضب حيث « وقفت تنظر إليهما، ثم سحبتهما كلاهما باتجاهها واحتضنتهما. كانت عيناها مليئتين بالأسف: " حسناً، حسناً. والآن توقفا عن البكاء »[2]. كانت دائما ترى نفسها أمّاً حتى عندما تثور، و « كانت تشعر أنها تقوم بدورها كأمّ وفق ما يمليه عليها ضميرها »[3]. كانت تسعى جاهدة لإرضاء بناتها و بالتالي إرضائها لنفسها. فتجاهد وتكابد رغم الصعاب من أجل أن تكون أمّاً صالحة محافظة على حياة أبنائها وسعادتهم، حتى في أحلك ظروفها وأصعبها.

أمّا في رواية " محبوبة " فقد قدمت لنا صاحبة نوبل صورة الأم من خلال بطلة الرواية "سيث"التي تتحدث عن أطفالها وكيف كانت تنقذهم وتخشى عليهم من كل مكروه وتسارع لحمايتهم ولإنقاذهم من كل المخاطر التي تحدق بهم وتدور من حولهم، وهاهي تسارع لإنقاذ ابنها « كان يحتمل أن أفقده مرات كثيرة جداً. ذات مرة وصل إلى أعلى البئر، فوقه تماماً. طرت. اختطفته في الوقت المناسب تماماً »[4]. فقد أنجبتهم وسهرت عليهم وعانت عند ولادتها لهم، إذ لم يكن إنجابها لهم من محض الصدفة، وإنما كان بمحض إرادتها « وصلنا. كل واحد من أطفالي وأنا أيضاً. ولدتهم وأخرجتهم ولم تكن صدفة »[5]. وكيف تقرّ بالأمومة و العطف عليهم، وكيف كانت تحن

(1)–توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص13.
(2) –المصدرنفسه، ص 27.
(3)–نفسه، ص 106.
(4) -توني موريسون، محبوبة،ص 279.
(5)- المصدر نفسه، ص 281.

عليهم وتحتضنهم بين ذراعيها حماية لهم من كل ما يمكن أن يصيبهم، وتصف كيف كانت بقدر كبير من الرحابة وسعة الصدر والمحبة الكبيرة التي تكنها لأطفالها« عندما كنت أفرد ذراعي على اتساعهما وعمقهما كان بوسع أطفالي كلهم أن يدخلوا بينهما. كنت بهذا القدر من الرحابة. يبدو أنني أحببتهم أكثر...»[1]. وتُبرز موريسون في هذه الصورة أروع اللحظات العاطفية للمرأة الأم التي تحافظ على بيتها وعيالها وترعى أطفالها، وكيف تحاول أن تعطي لكل واحد منهم مكانته الخاصة به، وكيف جمعتهم تحت جناحها في لمّة واحدة تُعبر على الحب والعطف على الأبناء والخوف عليهم من المساوئ.لمّا « طارت تنتزع أطفالها كأنها صقر يحوم؛ كيف انعقف وجهها، كيف عملت يداها كأنها مخالب، كيف جمعتهم بكل الطرق، واحدا على كتفها، وواحدا تحت ذراعها، وواحدا تمسك به من يده، والآخر تصيح به أن يتقدم إلى الأمام...»[2]. بهذه الفنية تعرض لنا الكاتبة صورة من صور الأم النمطية العادية التي يجب أن تكون عليها الأم في حالتها العادية. الأم التي تحمي بيتها وتحافظ على أبنائها.

وقدمت الرواية صوراً أخرى عن صورة المرأة الأم التي تخاف على أطفالها في صورتها النمطية على لسان " سيث " : « قالت، وهي تحدق في المكان الذي كان السّور قائماً فيه أوقفتُه، أخذت أطفالي ووضعتهم حيث يكونون في أمان »[3]. تعرض لنا الكاتبة موريسون في هذا الموقف وقفة من وقفات الأم التي تسعى جاهدة إلى توفير كل ما يمكن من الأمان لأطفالها، وحفظهم من كل ما هو رهيب ومخيف، ومن كل ما يمكن أن يُلحق بأطفالها الأذى. وهي مهمّة من المهام التي ترى الأم " سيث " أن عليها توفيرها لأطفالها، « مهمتي أن أعرف ما هو كائن وأن أحفظهم مما أعرف أنه رهيب »[4]. وتقف على حمايتهم وتحرص على رعايتهم « سوف أرعاها كما لم ترع أمٌ طفلاً، ابنةً أبداً »[5].أن توفّر كل وقتها لأجلهم ولخدمتهم، وأن تسهر عليهم وتحميهم، وتسخّر كل الوسائل وتستخدم كل الأساليب من أجل تربيتهم ورعايتهم وحمايتهم، لأنهم فلذات كبدها وقرة

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 282.
(2) -المصدر نفسه، ص 275.
(3)- نفسه، ص 285.
(4) - نفسه، ص 286.
(5) - نفسه، ص 342.

عينها. فلا شيء أعظم على الأم من فقد أحد أولادها أو موته أو أخذه عنها عنوة وقوة. فهي لا تتوانى في حمايتهم ولا تتردد قيد أنملة في الدفاع عنهم وحمايتهم لأن فقدان الولد عند الأم خطب عظيم.

بهذا السرد الجيد تقدم جوهرة الأدب الأمريكي في روايتيها الصورة النمطية العادية للأم الحنون التي تربي أبناءها وتحافظ عليهم وترعاهم وتعتني بهم، وتوفر لهم كل متطلبات الحياة التي يمكنها أن توفرها لهم، بالرغم من الحالة البائسة التي هي عليها. وهذه هي الصورة التي يجب أن تكون عليها الأم.

ثم تناولت الكاتبة موريسون في روايتيها صورة أخرى للأم، وهي الصورة السلبية للأم وهي في أصلها صورة للأم التي لا تهتم كثيراً بأبنائها، فهي أقل اهتماماً من الأم العادية، وقد يدفع الأم عادة لأن تكون على هذه الصورة ما تمر به من متاعب الحياة اليومية وما تقع تحته من معاناة ومن سطوة الأيام والزمن والأسياد. فهذه " كلوديا " تصف حالها و إخوتها في بيتهم مع آبائهم، وكيف أن الكبار لا يهتمون لأمرهم «يتعاملون مع أمراضنا باحتقار، بلّدوا عقولنا بالنّقوع وزيت الخِروع »[1]. أمّا عندما « نتعثر ونسقط يلقون نظرة عجلى علينا، وعندما نجرح أو نخدش أنفسنا يسألوننا عمّا إذا كنا مجانيين، وعندما نصاب بالزكام يهزّون رؤوسهم مشمئزين من عدم مراعاتنا لمشاعرهم»[2]. إذ يجب علينا برغم أوجاعنا أن نراعي مشاعر آبائنا وأمهاتنا.

فاحتقار الأبناء يُظهر جليا في هذه الصورة سلبية الأم والأب على السواء.وتواصل موريسون تقديم الصورة السلبية للأم من خلال " أم كلوديا " التي تصرخ في وجه ابنتها بالشتائم«كم أخبرتك يا حمقاء أن تضعي شيئاً فوق رأسك؟ لا توجد في كل المدينة فتاة بلهاء مثلك »[3]

ثم تتحدث " أم كلوديا " عن تصرفات ابنتها وكيف أنّها تُهمل ملابسها ولا تحافظ عليها وهي تصرخ داخلة وخارجة في حالة من الغضب والتوتر والصياح على ما فعلته ابنتها من تصرّف

(1) -توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 8.
(2) -المصدر نفسه، ص 8.
(3) - نفسه، ص 8.

غير لائق « انظري الآن ماذا فعلت هل تعتقدين أن لا شغل عندي سوى غسل قذارتك؟ »[1]. فهي تخشى على ابنتها من كل ما يضرها وترعى ابنتها «لكنها رعاية قسرية خالية من أي ملمس أمومي حنون »[2].في معاملة سيئة للأطفال والتمييز بينهم في اللون. وهي صورة عن المرأة الأم في صورتها السلبية التي تعامل الأولاد –رغم رعايتها لهم– بقساوة تعادل قساوة الحياة التي يعيشونها، وتعكس أيضاً قساوة ظروفهم المعيشية والصحية.

وتصف لنا الكاتبة موريسون ظاهرة سيئة وفعل إجرامي،يدفع بالأطفال إلى أن ينشئوا مشردين متصعلكين متسكعين في الشوارع، لا شغل لديهم سوى الأفعال التي لا تمت للتربية بشيء، هذه الظاهرة هي ظاهرة القذف في العراء، التي تقوم بها بعض الأمهات، إذ «أحياناً ترمي الأمهات أبناءهن في العراء »[3] تلك صورة سلبية للأم تفرضها عليها قساوة الظروف التي تحيط بها، وإلا كيف بالأم أن تلقي بابنها في العراء. تماماً كما فُعِل بـ " كولي " الذي « تركته أمه على كومة نفايات، ورفضه أبوه من أجل لعبة قمار »[4]. هكذا نشأ " كولي " في العراء مشرّداً كغيره من الأطفال المشرّدين دون أبوين ودون مأوى. فالعراء هو المنتهى الذي ينتهي إليه الأطفال، عندما لا يجد الأولياء سبيلاً لإعالة أبنائهم. أو عندما تضطرهم الظروف إلى رمي أبنائهم كمنجاة لهم من العبودية والقهر وسلطة الرجل الأبيض، أو من أن يعيشوا حياة البؤس والشقاء التي عاشها الآباء تحت رحمة السياط والحبال والسلاسل وغيرها من أساليب القمع والتعذيب.

وها هي السيدة (بولين) " بريدلوف" تجسّد الصورة السّلبية العنيفة للأم حين قفزت فوق ابنتها " بيكولا "وأوسعتها ضرباً « وبطحتها على الأرض وهي تضربها بظهر يدها (...) وشتمتنا ضمناً " حمقاء مجنونة... الأرض... القذارة... " »[5]. في سلسلة من الشتائم والسباب والصراخ وهي في حالة الغضب والثوران جرّاء التصرف السيئ الذي قامت به ابنتها عندما كسرت الجرة وتسببت في تلطيخ الأرضية وتوسيخها. وهي صورة للأم في حالة تعكس طريقة تربية غير سوية

(1) –توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 9.
(2) – أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، ص 1.
(3)- توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 14.
(4) –المصدر نفسه، ص 134.
(5) - نفسه، ص 10.

وتصرف غير متوازن مع ابنتها التي أخطأت التصرف عن غير قصد، فالأم هنا في حالة ثوران كسيل عارم أو واد جارف، أو ثور ثائر.

أمّا في روايتها " محبوبة " فقد قدمت الكاتبة أبشع الصور للأم المتوحشة التي تقوم بأعمال لا يمكن للعقل أن يتقبلها ولا الفكر لأن يطبقها، وهي قضية قتل الأطفال ودفنهم دون أدنى رحمة أو شفقة. حتى وإن كان الأمر محتّم ذاك الذي دفع بالأم إلى قتل ابنتها، فإن قتل الأبناء من قبل الأمهات والآباء خطب عظيم. وقد عرضتها توني موريسون في شخصية "سيث" التي « غادرت المكان إلى سقيفة الخشب لتقتل أطفالها »[1]. ولأنها ذاقت ويلات الاضطهاد و العبودية تحت طائلة العنف والتعذيب، ورفقاً –كما ترى هي– بابنتها حتى لا تعيش المعاناة التي عاشتها بدورها في عالم يسيطر عليه البيض، فتقدم هذه الأخيرة على ذبح ابنتها " محبوبة " على حدّ قولها : «كيف أنني إذا لم أقتلها لماتت وهو شيء لم أكن أحتمل أن يحدث لها »[2]. تعرض لنا موريسون في هذا الموقف صورة للأم التي اضطرتها الظروف الصعبة البائسة التي يعيشها السود في أمريكا البيضاء إلى ذبح ابنتها، على أن تعيش حياة الذل والعبودية والحرمان.ومن هنا فإن ظروف الحياة القاسية قد حولت المرأة "سيث" من أم حنون إلى أم متوحشة لترأف بابنتها من خلال قتلتها وحمايتها وإنقاذا لها من حياة العبودية والقهر.

وهذا « ما يميز موريسون أنها لم تكتف بتأمل العنف الواقع على السود في أمريكا في النصف الأول من القرن العشرين، بل تطرّقت أيضاً للعنف داخل المجتمع الأفرو–أمريكي »[3]. من خلال كشف المستور وعرض الحقائق المُرة، التي كانت ظلت مخفيةً لمدة من الزمن.

إن هذه الصور المتعددة للأم والتي طرحتها الكاتبة قد فرضتها أحداث الرواية وسياقها الاجتماعي. وفرضها المجتمع الذي تعيش فيه صاحبة نوبل والذي تنحدر منه، وهو مجتمع يقوم على التفرقة العنصرية وعلى العرق والجنس، ولأن هدف الجوهرة السوداء هو إبراز تلك الخصائص

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 276.
(2) –المصدر نفسه، ص 342.
(3) – توني موريسون: رواية عن الطفلة الأقل سمرة، نيويورك. مجلة العربي الجديد، 4 ديسمبر 2014. الموقع: www.alaraby.co.uk/culture/2014/12/4، تاريخ الاطلاع: 2015/11/24.

السيئة والميزات الفاسدة التي يتصف بها البيض من جهة، ومحاولة تعرية المجتمع الأبيض وكشف الحقيقة المُرّة التي طالما تستّر عنها البيض ولم يريدوا كشفها موهمين الآخرين أن المجتمع الأمريكي الأبيض مجتمع نزيه تحكمه الشفافية والمساواة.

2- صورة المرأة الزوجة:

حازت الزوجة في المجتمع البشري منذ القديم بمنزلة خاصة عند الرجل، فهي غرسه وزرعه ومحل حرثه ومنبت أولاده. ومستقر سره ومستودع حياته. وقد أقرّ الإسلام ذلك مع مجيئه بأن جعلها سكناً للرجل وأقرّ لها حقوقاً وفرض عليها واجبات. قال تعالى: « وَمِن آياتِهِ أنْ خلقَ لكُمْ منَ أنفُسِكُمُ أزواجاً لِتسْكُنوا إليْها وَجعَل بيْنكُم مَودّةً ورَحْمةً إنّ في ذلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يتَفكّرون »[1]. وقال أيضاً: «واللهُ جعَل لَكمْ منَ أنفُسكِم أزواجاً وجعَل لكُم من أزواجكُم بَنينَ و حفدةً ورزَقكُم منَ الطّيبات أفبالبَاطِلِ يومِنون وبنعمةِ اللهِ هم يَكفُرونَ »[2].

فالزوجة هي العنصر الوحيد الذي يضمن الاستمرارية وتتابع الأجيال، جيلاً بعد جيل. وهي التي تُلقى إليها وعليها مسؤوليات جسام وتكاليف ثقال « فإذا ما انتقلت المرأة من بيت أبيها إلى بيت زوجها فقد شهدت بيتاً آخر جديداً، تقيم فيه عمرها، وتغرس آمالها، وتصل حياتها بزوجها، تبثه أمانيها، وتشكو إليه آمالها، بل تمتزج بهذا الزوج عواطفها، فتجاوبه ويجاوبها، هو رجلها، وهو حاميها وعائلها، ووالد بنيها، فهي إذا تحبه ويسعدها أن يحبها، وقد تسلك في تحببها إليه أن تتبعل له، وأن تنجب، وأن تتذرع بجمالها وحسن خلقها »[3]. فيسعدها أن تكون زوجة وفية مخلصة له، تقاسمه أفراحه وأتراحه، وأتعابه وآلامه، و ساعات العسرة واليسر.

وقد قدمت جوهرة الأدب الأمريكي السوداء توني موريسون صورة للمرأة الزوجة، في روايتها العين الأكثر زرقة، وهي شخصية "ديللا " زوجة " هنري واشنطن " تلك المرأة التي كانت دائما تحافظ على نظافة جسمها وبيتها، وكانت امرأة طيبة ورعة، تختلف عن كثير من صديقاتها..

(1) –سورة الروم، الآية 21.
(2) –سورة النحل، الآية 72.
(3) - إبراهيم قادة،صورة المرأة في الشعر المغربي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة باتنة، الجزائر، 2008. ص 293.

«كانت ديللا، كما تعرفون، تحافظ دائماً على نظافة بيتها (...) كانت نظيفة أكثر مما ينبغي»[1]. فهي صورة للمرأة الزوجة الصالحة التي تقوم على شؤون بيتها وزوجها بكل تفانٍ. تحافظ على نظافة بيتها ونظافة جسدها لزوجها، وتعمل على إسعاده والتودد إليه، وحسن معاملته والإحسان إليه، من أجل استمرار زواجهما والحفاظ على روابط المحبة والوفاء لتحيا حياة رغيدة سعيدة هنيئة إلى جوار زوجها. وهي صورة للمرأة الزوجة الناجحة التي تحافظ على بيتها وحياة زوجها.

وهناك أيضاً صورة أخرى للمرأة الزوجة تمثلها شخصية " بولين " التي تنتظر عودة زوجها بفارغ الصبر لتلجأ إليه رغبة للترفيه عن نفسها، بعد الانتهاء من عمل البيت الذي لم يكن كافياً لملء فراغها. فهي تنهي عملها بكل ما أمكنها من سرعة لتستقبل زوجها في أحسن حلة وفي أحسن استقبال، لتحافظ على سكينته ومزاجه وسعادته، وهي في ذلك تحس بقمة السعادة حينما تلبي طلبات زوجها، وتشعر بأنها في مأمن وطمأنينة بجوار زوجها ومعه. فهو راحتها وهو ملاذها ومتنفسها من أشغال وأتعاب البيت. وتملأ بوجوده فراغها.

ففي « وحدتها كانت تلجأ لزوجها طلباً للطمأنينة، والترفيه عن نفسها ولأشياء أخرى تملأ فراغها. لم يكن عمل البيت كافياً لملء الفراغ فهناك غرفتان فقط، ولا يوجد فناء لتعنى به أو تتمشى فيه »[2]. وهي نموذج يضاف إلى غيره من صور المرأة الزوجة الصالحة المحبة لزوجها والمحافظة على أسرتها وبيتها.

وتدرج الرواية أيضاً شخصية " فيلما " التي كانت تحب الحياة كثيراً، في صورة للمرأة الزوجة الفاشلة التي ينتهي زواجها بعد شهرين، من زوجها " ألهيو " بالانفصال. حيث تركته ببساطة حينما اكتشفت أنه يعاني من سوداوية عصيّة على العلاج، جعلته هذه السوداوية يرغب في « تحويل سعادتها إلى غم أكاديمي (...) تركته ببساطة »[3]. لينتهي الزواج بالفشل. فهو زواج فاشل لم يكتب له الاستمرار، وهو صورة عن المرأة الفاشلة التي فشلت في المحافظة على

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 90.
(2) - المصدر نفسه، ص 97.
(3) –نفسه، ص 143.

بيتها وعلى تسيير شؤون البيت والزوج، فانتهى بها المطاف إلى الانفصال عن زوجها وإسقاط ذاك الزواج الفاشل، الذي لم يُبْنَ على ركيزة صحيحة.

وهناك صورة في الرواية ذاتها، للمرأة الزوجة الفاشلة أيضاً تلك التي اعتنت بقطّها أكثر من اعتنائها بأسرتها، فشخصية "جيرالدين" تمثل صورة الزوجة الفاشلة التي لم تعتن يوماً بزوجها وابنها « لم تكن "جيرالدين" تتحدث معه، أو تناغيه، أو تدلّله»[1] بينما كانت دائماً تداعب قطها وتدلله، يلعبان معاً و« قد ينامان معاً قليلاً، حتى الساعة الرابعة »[2] أو إلى أن يعود زوجها من عمله قلقاً لأنه يعلم أن القطّ دائماً هو المفضل لديها. وأن لا مكان له مع القط، فقد أخذ القط كل وقت زوجته، بل وأخذ مكان الرجل أيضاً، فكان الزواج فاشلاً.

فـ "جيرالدين" هي نموذج من نماذج صور المرأة الزوجة في المجتمع الزنجي البائس.

أمّا في رواية محبوبة فقد قدمت الكاتبة موريسون صورة للمرأة الزوجة الصالحة من خلال شخصية " سيث " المرأة التي كانت طيبة مع زوجها " هال " الذي كان طيباً معها كذلك، وكان يعمل في كل مكان لسداد الدين، وكانت هي توفر له جوَّ الهدوء والسكينة حينما يعود من عمله، فلا تزعجه ولا ترتكب الحماقات لتعكر عنه صفوه « وعندما كان يفكر في الحصول على قليل من النوم، لم أكن أريد أن أزعجه بكل ذلك »[3]. كانت زوجة مطيعة خجولة مجنونة بالعمل مثل زوجها، وهي صورة لزوجة مثالية تحافظ على بيتها وزوجها وعلى استمرار أسرتها. تبحث عن الأمان، تتكلم عن الحب، تتطلع إلى مستقبل مستقرّ يعيشه أبناؤها، كأبناء البِيض، بعيداً عن حياة البؤس والشقاء.

فالزوجة عند موريسون هي المحرك الأساس في العائلة، وهي من تدير شؤون الأسرة، وتحافظ على تماسكها واستمرارها، فبصلاحها يكون صلاح الأسرة، وبفسادها يكون فسادها. وهي تختلف من شخصية لأخرى، وبذلك نجد أن الكاتبة قد قدمت صوراً مختلفة للمرأة الزوجة، وفي

(1) –توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص72.
(2) - المصدر نفسه، 72.
(3) - توني موريسون، محبوبة، ص 279.

سياقات مختلفة، عكست فيها صورة ووضع المرأة الزنجية في بيتها وبين أهلها، وفي مجتمعها الأفرو أمريكي.

3- صورة المرأة العاملة:

عمل المرأة يُكسبها هيبة ومكانة عظيمة في أسرتها وبين أهلها، هذا طبعاً إذا كان العمل شريفاً نظيفاً، ويُكسبها العمل ذلاً و حقارة عند من تعمل عنده إن كان العمل تحت رحمة الذل والحرمان، والغطرسة كما هو الحال بين البيض والسود، إذ تعمل المرأة الزنجية في بيوت البيض وحقولهم ومناجمهم ذلاً وقهراً، وربما دونما أي راتب تتقاضاه مقابل ما تقوم به من أشغال متعبة وقاهرة. كما هو الحال بالنسبة للشخصيات التي تدور حولها أحداث الرواية عند موريسون.

إن ظروف الحياة القاسية التي تعيشها المرأة الزنجية تحت سطوة الرجُليْن الأسود والأبيض، جعلها مضطرة إلى العمل في البيوت والحقول، سواء بإرادتها طمعاً في لقمة عيشٍ، أو قهراً تحت غطرسة البيض. هذا الأمر وذاك جعل موريسون تقدم لنا صوراً ونماذج عن المرأة الزنجية العاملة.

وهناك مجموعة من العوامل تدفع المرأة إلى العمل منها الفقر والحرمان والتشرد، وإهمال الزوج لمسؤولياته، وكذا موت الزوج أحيانا، ومنها البحث عن لقمة العيش للأطفال، ولعلّ ما يُميز روايات موريسون هو عمل المرأة الزنجية تحت سطوة وغطرسة الرجل الأبيض، الذي يسيطر على حياة السود.

ففي رواية العين الأكثر زرقة، تعرض لنا الكاتبة صوراً مختلفة للمرأة الزنجية العاملة، فهناك "كلوديا" وأختها نموذج للمرأة الزنجية العاملة، التي تعمل لدى أسيادها البيض في الحقول وفي خطوط السكك الحديدية، حيث يأخذونهم « في المساء إلى خطوط السكك الحديدية حيث نملأ أكياس الخيش بقطع الفحم الصغيرة المتناثرة هنا وهناك»[1]. فهما يعملان عملا شاقاً رغم صغر سنّهما، وهي صورة للغطرسة والمعاناة التي تعيشها المرأة الزنجية تحت رحمة الرجل

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 7.

الأبيض، الذي لا يفرق بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف، والرجل والمرأة الكبيرة أو الصغيرة، في قضاء مصالحه وتلبية حاجياته.

وهناك الفتيات اللواتي « يلتحقن بالكليات الزراعية، ودور المعلمين الابتدائية كي يخدمن الرجل الأبيض بكل دماثة: الاقتصاد البيتي: لإعداد طعامه »[1]. ويقفن على مراقبة وتربية الأطفال السود كي يقوموا بخدمة أسيادهم، فهؤلاء الفتيات هنّ من يُعلّم « الأطفال السود الطاعة، والموسيقى: للترفيه عن السيد المتعب، وتهدئة روحه المكلومة»[2]. هذا النموذج يختلف عن النموذج الأول الذي يقوم بالأعمال الشّاقة، فهو يقوم بتربية السود من أجل خدمة البيض، وهن يمثلن الفئة المثقفة من النساء الزنجيات أيضاً.

وقدمت ابنة آل وفورد توني موريسون أيضاً صورة للمرأة العاملة في بيوت البيض، مثلتها بالسيدة وليمز التي عملت « منظفة وطباخة عند وزير أبيض يسكن في الجانب الآخر من المدينة»[3]. كانت وليمز تعمل من أجل كسب قوتها وقوت عيالها. هو عمل شريف في مظهره، سيء في مخبئه، إذ تعاني وليمز الأمرين في عملها لدى البيض من سطوتهم عليها وتجبرهم وإرهاقها دون أدنى احترام لكبرها أو لضعفها.

وهناك نموذج آخر للمرأة الزنجية العاملة في البيوت، وهي صورة بولين التي اضطرها إهمال زوجها لها، والشجار معها كلما طلبت نقوداً لشراء أغراضها، إلى البحث عن عمل في أحد بيوت البيض، فكانت تقوم بشؤون البيت، حيث كانت « تقوم بإصلاح السياج، وتنصب الأوتاد المُسنّنة التي تربط فيها أسلاكاً كهربائية، وتجمع البَيْض، وتكنس، وتطبخ، وتغسل، وتهتم بالطفلين الصغيرين »[4]. وهكذا فقد دفعتها ظروف الحياة التي تعيشها إلى العمل مرغمة غير راغبة، من أجل تأمين قوت عيالها والمحافظة على أسرتها من التشرد والضياع والإهمال.

(1)–توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 69.
(2)–المصدر نفسه، ص 69.
(3) - نفسه، ص 93.
(4) - نفسه، ص 93.

ولم تزل "بولين" تعمل وتبحث عن عمل حتى « وجدت لحسن حظها، عملاً ثابتاً في منزل عائلة ثرية أفرادها عطوفون، متفهمون وكرماء »[1]. كانت تعمل بولين بكل جد وكد وجهد، وأحبت عملها، وأصبحت محببة لدى أسيادها حتى أصبحت ما يسمونه بالخادمة المثالية. لأنها لا تترك شيئا إلا وأعادته إلى مكانه «إنها لا تترك المطبخ حتى يكون كل شيء في مكانه حقاً، إنها الخادمة المثالية»[2]. كل هذا كانت تقوم به من أجل أسرتها فهي تعمل من أجلهم طوال اليوم. ومن أجل الحفاظ على استمرار أسرتها وزواجها.

أما في روايتها محبوبة فقد قدمت لنا توني موريسون نماذج متعددة لصورة المرأة الزنجية العاملة في البيوت والمطاعم و الحقول. فالحياة التي تعيشها "سيث" من قهر وحرمان وفقدٍ للزوج، دفعتها إلى العمل في المطاعم من أجل إعالة أطفالها كما تقول:« أقوم بالطبخ في مطعم في البلدة. وأحيك الثياب قليلاً في السّر »[3] حتى تؤمّن قوت أطفالها الذين تركهم لها زوجها بعد أن غاب عنها. فظروف الحياة دفعتها إلى أن تكون خادمة في المطاعم والبيوت تحت رحمة البيض.

وهناك "ايمي" المرأة التي تدفعها غطرسة البيض إلى العمل تحت رحمتهم لأجل أن تسدد أجر رحلة أمّها بعد ما توفيت، ولم تكمل تسديد الدَّين الذي عليها« قالوا إن علي أن أعمل لديهم لأسدد الدين »[4]. فقد اضطرت ايمي إلى العمل لتسديد دين ليس عليها وزره، ولكن تجبّر البيض أرغمها على العمل من أجل ذلك.

وقدمت الكاتبة صورة للمرأة العاملة من خلال شخصية "دنفر" بنت " سيث" التي كانت تبحث عن عمل « أنا أبحث عن عمل»[5]، لأجل معالجة أمّها والاعتناء بها في مرضها. فهي صورة للمرأة الزنجية التي دفعتها الحاجة إلى العمل بدلا وعوضاً عن أمها لأجل الحصول على بعض الدنانير علها تعالج بها والدتها التي أرغمها المرض على ملازمة الفراش.

(1) –توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 105.
(2) –المصدر نفسه، ص 106.
(3) - توني موريسون، محبوبة، ص 36.
(4) –المصدر نفسه، ص 74.
(5) –نفسه، ص 422.

إن هذه الصور التي قدّمتها موريسون للمرأة الزنجية العاملة، قد فرضتها أحداث الرواية لتعبّر عن حجم المعاناة، والمأساة التي تعاني منها المرأة الزنجية تحت سيطرة غريمها الأبيض، سواء من أجل خدمته، أو من أجل لقمة العيش، أو سداد الدين...

4- صورة المرأة المثقفة:

قدمت الروائية موريسون نماذج متعددة ومختلفة للمرأة المثقفة من خلال الشخصيات التي أوردتها في أعمالها الإبداعية، ففي روايتها "العين الأكثر زرقة" قدمت الروائية موريسون شخصية الآنسة "دونيون" المرأة النظيفة المثقفة التي تعتني ببيتها وبنفسها كثيراً، ولا تترك أثراً للأوساخ والقذارة « يقولون: الآنسة "دونيون" تعتني كثيراً ببيتها ولا هُنُدباء برية واحدة في أي مكان»[1]. فهي نموذج للمرأة المثقفة المتعلمة التي تعرف قيمة ما يجب أن تكون عليه من النظافة، وماذا يعني أن تكون نظيفاً.

وقدمت موريسون صورة أخرى للمرأة المثقفة في صورة مجموعة من النساء اللواتي يدعوهن بـ "النساء المسيحيات الملونات الطيبات" هن « النساء اللواتي كانت سمعتهن بلا شائبة، اللواتي يرعين عوائلهن، ولا يشربن أو يدخنّ أو يجرين هنا وهناك »[2] هؤلاء النسوة من المجتمع الزنجي يمثلن الفئة المثقفة من النساء الزنجيات، فهن متعلمات ومثقفات بما يكفي لأن يحافظن على عائلاتهن وأنفسهن.

وفي الرواية أيضا صورة للمرأة المثقفة وهي الآنسة "مورين بيل" الفتاة التي قدمت من جهة أخرى، لتدرس في مدرستها الجديدة مع رفقائها. كانت "بيل" على قمّة من الجمال والأناقة والرشاقة، بشعرها البني المجدول إلى جديلتين تتدليان على ظهرها، « كانت غنية، حسب مقاييسنا على الأقل، غنية مثل أغنى الفتيات البيض، وتبدو عليها الراحة والسعادة...»[3] كانت "مورين"

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 40.
(2) – المصدر نفسه، ص 48-49.
(3) – نفسه، ص 52.

من المتفوقين في الصّف، وكانت على درجة عالية من الثقافة والدراسة، ما جعلها محطّ أنظار كل من في المدرسة من معلمين و أطفال... وهي نموذج للمرأة الزنجية المثقفة.

وهناك صورة أخرى للمرأة المثقفة جسّدتها المعلمة "فورستر" . فهي معلمة في المدرسة تمارس مهنة التعليم، وتقوم بتدريس الأطفال، وبذلك فهي تنتمي إلى الطبقة المثقفة في المجتمع الأسود. فهي تعمل على تعليم الأطفال الزنوج ليرتقوا إلى مراتب أمثالهم من أبناء البيض.

وصورة الآنسة "بيرثا" صاحبة حانوت الحلوى الصغير، هذه الآنسة التي تجلس إلى طاولتها « تقرأ الإنجيل تحت خيط شعاع من الشمس»[1] وقت النهار، تنمي ذاكرتها بقراءتها الإنجيل ودراسته، وتغذي ملكتها الذهنية. لتكون قدوة لمن يأتي بعدها من النساء الزنجيات، فهي بذلك نموذج للمرأة الزنجية المثقفة.

وهناك صورة أخرى للمرأة المثقفة تمثلها تلك الفتيات السمراوات القادمات من موبيل، إنهن « يمشين في الشوارع دون أن يثرن أية ضجة (...) يغتسلن بصابون "لايف بوي" ذي اللون البرتقالي، (...) وينظفن أسنانهن بقطعة قماش مغموسة بالملح (...) رائحتهن مثل رائحة الغابات، والصحف (...) إنهن لا يشربن، أو يدخّن، أو يشتمن أحداً »[2] هؤلاء الفتيات السمراوات اللواتي «يقبضن على ثيابهن من الخلف خشية أن يرفعها الهواء، وعندما يضعن أحمر الشفاه، فإنهن لا يغطّين به الفم كله مخافة أن تبدو الشفاه مكتنزة، وهن قلقات، قلقات، قلقات دائماً على أطراف شعورهن»[3] يمثلن الطبقة الراقية في المجتمع الزنجي، وهن طبقته المثقفة، التي تحمل في كنهها الصورة الناضجة للمجتمع الزنجي.

و في رواية محبوبة أيضاً قدّمت موريسون صورة للمرأة المثقفة في شخصية السيدة "ليدي جونز"، المعلمة التي كانت تدرس الأطفال السّود وتعلمهم القراءة والحساب، كانت "ليدي جونز"

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 64.
(2) – المصدر نفسه، ص 69.
(3) – نفسه، ص 70.

«تجلس في مقعد له ظهر معتدل؛ بينما يجلس عدة أطفال متربعين على الأرض أمامها»[1] وهي وضعية المدرس مع تلاميذه، كما هو الحال في المدارس التقليدية.

وكانت "ليدي جونز" « تمسك كتابا، وكان الأطفال يمسكون بلوح أردواز. كانت "ليدي جونز" تقول أشياء بصوت خافت لا تسمعه "دنفر". وكان الأطفال يرددونه وراءها.»[2] هكذا كانت "ليدي جونز تدرس الأطفال في مدرستها المتواضعة، المتمثلة في ردهة بيتها، يتلقون القراءة والحساب و الحروف، و « الجمل العميقة الحزن من الكتاب المقدس الذي كانت "ليدي جونز" تستخدمه ككتاب مدرسي »[3]. لقد أنشأت "ليدي جونز" في ردهة بيتها مدرسة دينية نظامية، وفعلت « ما كان البيض يظنونه غير ضروري أو غير قانوني»[4] لأنهم لا يريدون للأطفال السود أن يكونوا على درجة من العلم والثقافة و المعرفة.

وبالتالي فإن "ليدي جونز" تمثل نموذجاً للمرأة الزنجية المثقفة، التي تعمل على نشر نور العلم والمعرفة على أبناء جلدتها، ليخرجوا من ظلمات الجهل والاستبداد الأبيض إلى أنوار العلم والحرية المطلقة.

لقد قدمت توني موريسون في روايتيها صورة للمرأة الزنجية المثقفة التي عملت على تعليم الثقافة السوداء، للأطفال السود والتي تعبر عن تاريخهم وماضيهم الأليم، ومن أجل النهوض بعالمهم الأسود إلى مصاف عالم غريمهم الأبيض. فكانت نماذج هادفة أدت دلالتها ودورها في الرواية، من خلال الشخصيات التي وضعت فيها.

5- صورة المرأة المضطهدة:

لم تعان امرأة في تاريخ البشرية –إن صحّ القول– ما عانته المرأة الزنجية عبر العصور وعلى مر الزمن، فهي التي شُرّدت وقُتلت ونُكّل بها، وبيعت في الأسواق والمعارض وهُجّرت عنوة

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 188.
(2) – المصدر نفسه، ص 188.
(3) - نفسه، ص 189.
(4) – نفسه، ص 188.

وسُلبت كرامتها واعتُدي عليها واغتُصبت وأُلقيت عليها كل متاعب الحياة من أجل خدمة الرجل الأبيض بكل دماثة، لا لشيء إلا لأنها امرأة ولأنها امرأة زنجية سوداء.

وقد وظفت موريسون صورة المرأة الزنجية المضطهدة في رواياتها في عدة مناسبات من خلال الشخصيات التي لعبت دورها في تجسيد هذه الصورة التي تنم عن معاناة المرأة الزنجية السوداء، التي عانت ويلات القهر والتعذيب والتشريد.

وتهدف روايات توني موريسون في مجملها إلى إظهار معاناة واضطهاد المجتمع الأسود داخل المجتمع الأبيض بشكل عام في مجمله، من حيث التمييز العنصري المبني على (العرق) اللون والجنس من جهة، ومن جهة أخرى وبشكل خاص التمييز المزدوج الذي تقع تحت طائلته المرأة السوداء، من حيث تمييزها واستغلالها في المجتمع الأبيض، و سيطرت الرجل الأسود.

ففي روايات موريسون يظهر لنا – بجلاء– ذلك الماضي المظلم الذي تعيشه المرأة السوداء، « ماض نجد فيه جميع النساء وهن يلعبن أتعس الأدوار، لأنهن ضحايا مزدوجات: ضحايا الجنس وضحايا العرق »[1]. فالمرأة عند موريسون مضطهدة أين ما كانت، وكيف ما كانت صفتها وطبيعتها. فرواية العين الأكثر زرقة تعرض لنا صورة عن المرأة " كلوديا" المضطهدة التي تعيش في بيت قديم تنعدم فيه ضروريات ومتطلبات الحياة، بيت لا نور فيه ولا متاع « بيتنا قديم، بارد وأخضر. في الليل يُضيء مصباح الكيروسين غرفة كبيرة واحدة، ويلف الظلام الغرف الأخرى المسكونة بالصراصير والفئران.»[2] فلم تجد لا "كلوديا" و لا غيرها من النساء السود أدنى مأوى تأوين إليه من العراء، فهي في بيت أقرب منه إلى الكوخ من البيت.

وهناك صورة أخرى للمرأة المضطهدة تمثلت في شخصية بطلة الرواية "بيكولا"التي تُقابَل بالرفض الكامن في عيني الرجل الكبير الأبيض صاحب دكان الحلوى، هذا النفور الذي رأته في عيني ذاك الرجل الأبيض، قد « رأته كامناً في عيون كل البيض. لابد أن هذا النفور موجه لها، لسوادها. كل الأشياء داخلها في حال تغير دائم، ولكن سوادها سكونيّ ومفزع. السواد هو المسؤول

(1) – توني موريسون، فردوس، تر: علي باشا، راجعه عن الأصل حنا عبود، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية- دمشق، ط1، 1999، ص 6.

(2) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 8.

عن ذلك، وهو الذي يخلق ذلك الفراغ المشبّع بالنفور في عيون البيض.»[1] فـ "بيكولا" تقرّ بذلك الرفض الكامن في عيون البيض، وهو رفض لا يتوانى البيض في إخفائه عن عيون المرأة السوداء، متى ما سمحت الفرصة بذلك.

وقدمت الرواية صورة أخرى للمرأة الزنجية المضطهدة من طرف الملونين فهذه "جيرالدين" تطرد "بيكولا" من بيتها بكل عنف واستحقار « أخرجي؛ قالت بصوت هادئ أيتها الكلبة السوداء الصغيرة القذرة. أخرجي من بيتي »[2] لتخرج "بيكولا" مقهورة صاغرة مُحتقَرة. بسبب سواد لون بشرتها فهي تراه (السواد) المسؤول الوحيد عن كل ما تواجه من متاعب ومن رفض في حياتها من طرف الآخرين. فلم يكن ليتقبلها أحد من البيض بسبب هذا السواد الداكن الذي يغطي بشرتها.

وفي روايتها "محبوبة" قدمت صاحبة نوبل صوراً للمرأة الزنجية المضطهدة من طرف البيض، وقد مثلت موريسون هذه الصورة في شخصية "بيبي سجز" التي تعرّضت للسطو والاغتصاب، حيث اغتصب البيض أولادها الثمانية بلا رحمة، أخذوهم جميعاً « أربعة اختطفوهم وأربعة اصطادوهم »[3] فلم يترك البيض لـ "بيبي سجز" من الثمانية طفلا واحداً.

وهاهي "سيث" المرأة التي تهرب من مالكها الأبيض وهي حامل بابنتها، حيث اضطرها تجبّر مالكها الأبيض عليها إلى الهرب، لتُكمل مسيرة حياتها هاربة مضطهدة « لم أكن أظنك ستفلحين في أن تهربي وأنت حامل (...) كان علي أن أفعل ذلك. لم أستطع الاستمرار في الانتظار »[4]فمعاناة "سيث" من قبل الرجال، جعلها تكافح وتصارع من أجل البقاء، ومن أجل أن تستمر الحياة.فهربت ناجية بحياتها من سطوة البيض الذين أخذوا كل ما معها.

وتواصل صاحبة نوبل في عرض صورة المرأة المضطهدة في شخصية "سيث" التي عاشت مسيرة الرواية «هاربة»[5] مضطهدة من مالكها الأبيض، لتسقط في أيدي أولئك الأولاد

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 41.
(2) – المصدر نفسه، ص 78.
(3) - توني موريسون، محبوبة، ص 27.
(4) – المصدر نفسه،ص 32.
(5) – نفسه، ص 73.

الذين طرحوها أرضاً واغتصبوا لبنها بعد ما ضربوها بالسوط « استخدموا معك سوطاً من ذيل البقر؟

"واغتصبوا لبني".

جلدوك وأنت حامل؟

"واغتصبوا لبني! " »[1]

هذه المعاملة البشعة التي عوملت بها "سيث" من قِبل البيض تعكس لنا حقيقة ما يعاني منه السّود في أمريكا، وخاصة ما تعاني منه المرأة السوداء من اضطهاد وتمزق في الحياة.

ولعلّ آخر ما كان من هرب "سيث" هو إلقاء القبض عليها وأخذها في هدوء إلى الحبس، كغيرها من العبيد « سوف يكون علي أن آخذك إلى الحبس الآن (...) تعالي في هدوء، تسمعين، ولن أضطرّ إلى أن أوثقك.»[2] قال سيدها. بهذا الشكل من المعاناة تعيش المرأة السوداء مضطهدة هاربة في المجتمع الأبيض. فشخصية "سيث" وغيرها من الشخصيات الأخرى هي نماذج لصورة المرأة المضطهدة في الرواية. والتي تعكس حقيقة المجتمعَيْن الأبيض والأسود.

لقد قدمت موريسون في روايتيها صورة عن المرأة الزنجية المضطهدة في المجتمع الأبيض، هذه المرأة التي تعيش ويلات الفقر والبؤس والحرمان، وهي ضحية مزدوجة : ضحية الجنس وضحية العرق.

6- صورة المرأة المومس:

المرأة « المومس في الروايات تستخدم للتعبير عن قضية اجتماعية، يُعري فيها الكاتب المجتمع ويكشف مواطن الخلل فيه »[3] وقد قدمت موريسون في روايتيها صوراً للمرأة المومس التي تتبع الجنس وذلك من خلال الشخصيات النسوية التي أوردتها في الرواية.

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 48.
(2) – المصدر نفسه، ص 266.
(3) -وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 114.

فشخصية "بيجي" تمثل دور المرأة الزنجية المومس بعدما هربت مع ذاك العجوز الزنجي "هنري واشنطن" الذي ترك زوجته طمعاً فيها، « لقد هرب مع تلك التافهة "بيجي" من إليريا »[1]، وهي « واحدة من فتيات العجوز "سلاك بيسي" »[2] التي تتاجر بأعراض الفتيات.فالمرأة الزنجية ضحية الجنس –كما سبق الذكر– سواء دفعتها الظروف إلى الانحراف والسقوط في أحضان الدعارة– إن أمكن هذا القول–فتبيع جسدها من أجل أن تعيل نفسها وعيالها من جهة، أو كانت ضحية سطوة الرجُلين الأبيض والأسود على السواء من أجل إشباع رغباتهم ونزواتهم من جهة أخرى.

وهناك أيضاً صورة للمرأة المومس تمثلت في فتيات العائلة الغجرية اللواتي كن يتبادلن الجلوس على نوافذ البناية –التي اتخذنها كقاعدة لعملياتهن–بين الستائر « ينظرن إلى الخارج، ويبتسمن من حين لآخر، أو يغمزن بعيونهن أو يومئن بأيديهن (...) وغالباً ما كن يبدون بملابسهن الفضفاضة ذات الأكمام الطويلة والتنانير الفضفاضة، خافيات العُري الكامن في عيونهن »[3]. هؤلاء الفتيات المومسات هن من بنات الهوى اللواتي يقضين أوقاتهن في مغازلة الفتيان والتربص بهم، بُغية إسقاطهم في قفص الانحراف والهوى.

وهن نموذج واضح لصورة المرأة المومس، التي تعرّضت لها موريسون في روايتها، توضح من خلاله (النموذج) حياة البؤس والمعاناة التي تعيشها المرأة الزنجية جرّاء الاضطهاد والتمييز الذيْن تقع تحت طائلتهما هاته المرأة المغلوبة على أمرها.

وقدمت موريسون صورة أخرى للمرأة الزنجية المومس في شخصية العاهرات الثلاث " تشاينا" و"بولند" والآنسة "ماريا" اللواتي كن يقطنّ في الشقة التي فوق بيت السيدة "بريدلوف" «عاشت ثلاث عاهرات في الشقة التي فوق بيت بريدلوف."تشاينا" و"بولند" والآنسة "ماريا"»[4] هؤلاء النسوة الثلاث هن من بائعات الهوى، وقد كن ودودات، مستعدات دائماً لكنهن بطيئات في

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 10.
(2) - المصدر نفسه، ص 10.
(3) - نفسه، ص 29.
(4) –نفسه، ص 43.

المبادرة بالكلام، « كن عاهرات في ملابس عاهرات، عاهرات لم يكن شابات قط، ولم يعرفن كلمة البراءة»[1]، مرحات شكسات «يُسلين أنفسهن بتذكر زمن الجهل الذي مضى عليه وقت طويل»[2] عندما كن قادرات على إسعاد الرجل المناسب، وكن صالحات لأشياء أفضل.

وتعرض لنا موريسون صورة أخرى للمرأة الزنجية المومس، في صورة المرأتين اللتين كانتا مع السيد "هنري"، الذي بدا وكأنه يداعب طفلاً صغيراً لمّا كان « يمُصّ أصابع إحدى المرأتين التي كانت ضحكاتها تجلجل في ذلك الحيّز الصغير. أمّا المرأة الأخرى فكانت تزرّر سترتها (...) هؤلاء هن بنات الهوى »[3] وقد كن مستمتعات جداً بصحبة السيد هنري وهما تغادران البيت « لا يمكننا أن نبقى هنا نتسكع طوال النهار. سيأتي أهل البيت قريباً »[4].

وهذه شخصية "دارلين" في صورة أخرى للمرأة الزنجية المومس عندما كانت تداعب أضلاع كولي بأصابع يديها وتحرك يديها بين ثيابه بشكل لولبي... « داعبت أضلاعه بأطراف أصابعها (...) حرّكت يديها بين ثيابه بشكل لولبي، وبادلها الحركة(...) وقبّلت هي وجهه ثم فمه. كان طعم شفتيها مذهلاً كطعم عنب الجنوب (...) ثم خلعت سروالها »[5] إن هذه الصورة لـ "دارلين" تُعدّ نموذجاً للمرأة الزنجية المومس، تُضاف إلى سابقاتها من النساء الزنجيات المومسات اللواتي يعرضن أنفسهن على رجال غير رجالهن.وهن في الوقت نفسه ينتمين لهذا المجتمع الزنجي الذي يعشن فيه.

وفي رواية محبوبة قدمت موريسون صورة للمرأة الزنجية المومس في شخصية "سيث" بطلة الرواية التي كانت تمارس الجنس مع "بول د. كل يوم تقريباً، و « في مساء اليوم التالي فعلها ثم فعلها مرة أخرى. كان معتاداً على الجنس مع "سيث" كل يوم تقريباً »[6]. بالرغم من أنه ليس زوجها الحقيقي. فهما يمارسان الجنس والهوى في غير محله لأنه ليس زوجها، وبالتالي تكون "سيث" في هذه الحالة من النساء الزنجيات المومسات بائعات الهوى.

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 49.
(2) - المصدر نفسه، ص 47.
(3) - نفسه، ص 65.
(4) - نفسه، ص 66.
(5) – نفسه، ص 124.
(6) - توني موريسون، محبوبة، ص 209.

وهناك صورة أخرى تقدمها موريسون في شخصية "محبوبة" التي كانت تراود بول د. على أن يقع بها « أريدك أن تلمسني في الجزء الداخلي وأن تناديني باسمي »[1]، وعندما لم يستجيب لها بول د. اقتربت و « أسقطت "محبوبة" تنورتها (...) ووقفت خلفه تماماً »[2]. في صورة لامرأة تدفعها غريزتها وشهوتها إلى الفعل المُخل بالحياء، وإلى عرض نفسها دونما أي تردد على الرجال السود.

بهذه النماذج المختلفة تقدم لنا توني موريسون في روايتيها صوراً عن المرأة الزنجية المومس التي سلكت طريق الانحراف والضياع، نتيجة الحياة – إن سمّيناها كذلك – التي تعيشها تحت رحمة المعاناة والاضطهاد، وسيطر الرجل – بنوعيه – على جسد المرأة الزنجية السوداء القابعة في عالم الهوى.

7- الصورة الجسمية للمرأة الزنجية:

تختلف المرأة كثيراً في تركيبتها المورفولوجية عن الرجل، تبعاً لطبيعة جنسها فهي من جنس أنثى غير جنسه. وتختلف المرأة الزنجية عن غيرها من نساء المعمورة على حسب الطبيعة التي تنتمي إليها هذه المرأة. فالمرأة الزنجية تنتمي لطبيعة قاسية وصلبة وجافة، وفيها من المتاعب والمآزق والصعاب ما لا تقدر عليه إلا امرأة زنجية تعيش في ذاك الوسط وتنحدر منه. ومن ثَمّ فإن المرأة الزنجية تتمتع ببنية قوية صلبة تكاد تماثل بنية الرجل إن لم نقل تشبهه. وقد صورت لنا موريسون هذه البنية في رواياتها من خلال "محبوبة" والعين الأكثر زرقة".

فلم تنس الروائية موريسون وصاحبة نوبل – في روايتيها – أن تعرض لنا الصورة الجسمية للمرأة الزنجية من خلال تصويرها بأدق التفاصيل من حيث الشكل الذي يتميز به الزنوج عن غيرهم من بني البشر تبعا للطبيعة الإفريقية التي ينتمون إليها.

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 211.
(2) – المصدر نفسه، ص 212.

ففي رواية "العين الأكثر زرقة" صورت لنا جسم المرأة الزنجية على أنها ضخمة البُنية من خلال وصف يدَي أمّ كلوديا ذات اليدين الكبيرتين « تأتي أمي بعد ساعة أو ساعتين. يداها كبيرتان وخشنتان »[1] دلالة على الجسم الكبير الذي تتمتع به هذه المرأة "أم كلوديا". وقدمت موريسون صورة أخرى عن جسم المرأة الضخم في الرواية ذاتها على لسان ماريا « أنا لم أكبر أبداً. لقد سمنت فقط»[2]. فهي تملك بنية وتركيبة سمينة كبيرة.

وفي صورة أخرى لماريا تقول فريدا: « في شرفة الطابق الثاني، ذات الدرابزون القديم المهترئ، كانت تجلس الماجينو لاين نفسها. نظرنا إليها ملياً: جبل من اللحم. كانت متمددة، أكثر من كونها جالسة، على كرسي هزّاز »[3].وتواصل موريسون في عرض التفاصيل الجسمية للمرأة الزنجية بأدق التفاصيل؛ « أصابع صغيرة، كأصابع طفل، في أعلى القدمين الغليظتين، كاحلان منتفخان بدا عليهما الجلد ناعماً ومشدوداً في آن، رِجْلان ضخمتان تنفرجان، بشكل واسع، عند الركبتين مثل جَدعَة شجرة ... »[4]. في صورة للمرأة الزنجية الكبيرة الخشنة.

ثم تسترسل في القول:« وضعت ماجينو لاين يداً غليظة على بطنها»[5] هكذا تصور الكاتبة جسم المرأة الزنجية في رواية "العين الأكثر زرقة" جزءاً بجزء آخذة التركيبة الفيزيولوجية للمرأة الإفريقية بعين الاعتبار.

وفي روايتها "محبوبة"، قدمت لنا الكاتبة توني موريسون تفاصيل عن جسم المرأة الزنجية لا تكاد تقل دقّة عن تلك التي قدمتها في روايتها الأولى. فهذه دنفر ابنة سيث الشخصية التي تدور حولها أحداث الرواية تصورها موريسون على أنها « كانت ممتلئة الجسم سمراء لها وجه دمية يقظة »[6].

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة،ص 08.
(2) - المصدر نفسه، ص 44.
(3) - نفسه، ص 84.
(4)- نفسه،ص 84.
(5)- نفسه، ص 85.
(6) - توني موريسون، محبوبة، ص 38.

أمّا الفتاة ايمي فقد كان لها « ذراعان مثل أعواد القصب وشعر يكفي أربعة أو خمسة رؤوس. عينان تتحركان ببطء»[1] و « ذراعاها اللتان تشبهان أعواد القصب قويتان كالحديد»[2]، وهنا نرى أن موريسون قد ركزت في وصفها على ذراعيها اللتين تتصفان بالطول والقوة، وهي ميزة من ميزات المرأة الزنجية السوداء.

بهذه الطريقة تقدم لنا الروائية موريسون الصورة الجسمية للمرأة الزنجية، مستندة في ذلك على عناصر الطبيعة الإفريقية التي تستمد منها موريسون قوتها في عرض الوقائع، وتنفرد بأسلوبها المتميز عن غيرها من الروائيين. حيث أنها وصفت كل شخصياتها النسوية وصفاً دقيقاً معتمدة على الطبيعة في إفريقيا، فأعطت لكل جزء أو عضو من أعضاء المرأة الزنجية شبهاً من الطبيعة، أجسام كالجبال وأرجل كجذوع الشجر وأطراف كأعواد القصب، وما إلى ذلك من تشبيهات ذات وصف دقيق، يدل على قرب الكاتبة من شخصياتها التي وظفتها في الرواية من جهة، ويدل أيضاً على الحضور الكامل للطبيعة الإفريقية في ذهن الكاتبة التي ما فتئت تذكر وتوظف عناصر الحياة الإفريقية في رواياتها من جهة أخرى، وهي الحياة التي ترعرعت فيها موريسون وغيرها من الزنجيات السوداوات. حياة الأجداد والآباء. التي تركت بصمتها في نفسية الجوهرة السوداء، فأثرت فيها كل التأثير. وكان توظيف الحياة الإفريقية جلياً في رواياتها، وهو ما رأيناه في الفصل الأول في عنصر أثر الحياة الإفريقية في كتابات توني موريسون.

فالمرأة الزنجية عند موريسون تتميز عن غيرها من النساء ببنيتها الضخمة كجذوع الأشجار، والجسم الممتلئ كالجبال، والأذرع الطويلة القوية كأعواد القصب... الخ. وهي صورة مفصلة عن جسم وبنية المرأة الزنجية السوداء.

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 72.
(2)- المصدر نفسه، ص 72.

الفصل الثالث

قضايا المرأة الزنجية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة"

I. القضايا الاجتماعية:

1. قضية تحقيق الذات.
2. قضية عمل المرأة.
3. قضية ضرب المرأة والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض.
4. قضية استرقاق واستعباد الزنوج.

II. الهوية الثقافية الإفريقية:

1. توظيف التراث الزنجي(الغناء والرقص واللباس) للحفاظ على الهوية الإفريقية.
2. اللون، الطبيعة والخرافة (السحر والأشباح) وطقوس الموت كرموز إفريقية.
3. رفض العبودية ومحاربة العنصر الأبيض.

تهتم توني موريسون في كتاباتها بموضوع المجتمع الزنجي عامة، إلا أنها كثيراً ما تركز على موضوع المرأة الزنجية ومعاناتها في المجتمع الأمريكي « والمرأة في الرواية تحتل نصيباً أوفى وأوفر، وكذا الشأن في الدراسات الأدبية والاجتماعية. (...) فالدراسات السالفة الذكر تتناول مشكلة خضوع المرأة واضطهادها وتشير إلى الجهود التي تحاول تحطيم ذلك الاضطهاد »[1]. وهذا ما تشير إليه توني موريسون. منطلقة كما تقول من السؤال الذي أرّقها كثيراً « لِمَ أجد الناس – والنساء تحديداً– غارقين في التعاسة في مقتبل العمر؟ »[2] ومن هنا فهي تجنح دائماً إلى التركيز على المرأة في إظهار معاناة واضطهاد المجتمع الأسود داخل المجتمع الأمريكي الأبيض، من خلال التمييز في اللون والعرق بين البيض والسود. فتذهب موريسون في كتاباتها إلى تعرية المجتمع الأبيض وكشف حقيقته، وإظهار كل الهفوات والمتناقضات التي يقع فيها البيض عندما يناشدون بالمساواة والسلام.

وقد طرحت قضايا المرأة الزنجية المختلفة في رواياتها، ودافعت عن حقها في الحياة والعيش بكرامة، وعدم الاعتداء عليها بالضرب والإيذاء الجسدي أو النفسي، وعدم التعدي على حقها في الكرامة الإنسانية. ومن أهم هذه القضايا التي عرضتها الكاتبة موريسون في روايتيها (محبوبة والعين الأكثر زرقة) هي : تحقيق الذات، والقضايا الاجتماعية، والقضايا الوطنية. فالمرأة تعاني من سلطتين مزدوجتين هما سلطة العنصر الأبيض (الرجل أو المرأة)، وسلطة الرجل الأسود.

- **القضايا الاجتماعية:**

قدمت الكاتبة توني موريسون قضايا المرأة الاجتماعية المختلفة وطرحتها بكل جرأة وشفافية، حيث بيّنت كيف أن المرأة الزنجية مقهورة ومضطهدة، لا تملك الحق في أن تمارس حياتها كأنثى. ثم تصوِّر موريسون العلاقة الثلاثية غير السّويّة القائمة بين المرأة الزنجية والرجل

(1) - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط 2، 2009، ص 9.
(2) - كمال الرياحي، أصوات الرواية.. كبار الروائيين يكشفون طقوس الإبداع، ص 2.

الأسود والعنصر الأبيض. وطرحت بكل صراحة أحداث الواقع المرير الذي تعيشه هذه المرأة تحت سيطرت التمييز القائم على اللون والجنس.

ومن أهم القضايا التي طرحتها الكاتبة، قضية تحقيق الذات، وقضية عمل المرأة، وحاولت مناقشتهما من خلال مجموعة الشخصيات التي تدور حولها أحداث الرواية، مثل شخصية "بولين" و"وليمز"و "كلوديا وأختها" في رواية العين الأكثر زرقة، و شخصيات "سيث" و"دنفر" و"ايمي" في رواية محبوبة. وقضية ضرب المرأة والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض، والتعدي عليها بالأذى الجسدي والنفسي، كما حدث مع "بريدلوف" في رواية العين الأكثر زرقة، و"سيث" في رواية محبوبة. وعرضت كذلك قضية استرقاق واستعباد الرجل الأسود والمرأة الزنجية، من خلال صيد العبيد وبيعهم والعمل بهم في المزارع والحقول والسكك الحديدية وغيرها من أماكن العمل.

وسنحاول دراسة هذه القضايا بما تيسر من التفصيل فيما يلي.

1. قضية تحقيق الذات:

يُقصد بتحقيق الذات الحرية المطلقة للفرد التي تُعنى «بتحرر المرأة من الضوابط الاجتماعية، والدينية، والاقتصادية، القائمة على المعايير المزدوجة».[1] وقد عملت موريسون جاهدة على إظهار هذه الحرية للمرأة الزنجية التي تعاني من سيطرة السلطة المزدوجة.

والحرية عند "هيجل" هي: « الحقيقة الوحيدة للروح في وعيها بذاتها، فليس لها وجود خارج ذاتها »[2]. فالحرية هي الإحساس والوعي الداخلي للروح بذاتها، وفي ذاتها.

فـ « النساء هن الأكثر والأكثر حضوراً في الفضاء الأدبي وهذا لتحريك الضمائر والمناداة بتحرير الجنس النسوي »[3]، وقد عبّرت موريسون عن هذه الحرية للمرأة الزنجية –والتي تدافع

(1) - وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 18.
(2) – المرجع نفسه، ص 18.
(1) - Julie Nguetsé, Femme en afrique (CRASC) et l'image de la femme dans le roman feminine francophone camerounais, p1.

عنها الكاتبة– من خلال الشخصيات التي أوردتها في الرواية.فمثلاً في رواية العين الأكثر زرقة نجدها متمثلة في شخصية الطفلة بيكولا التي ظلت « تحاول من خلال الرواية أن تجد مكاناً لها في المجتمع»[1] تعبّر فيه عن حريتها الكامنة في امتلاكها للعيون الزرقاء، فهي حرّة في أن تختار العيون التي تناسبها في نظرها.

فربما بهاته العيون تصبح أكثر تحرراً من ذي قبل « عيون جميلة. عيون زرقاء جميلة. عيون واسعة زرقاء جميلة (...) عيون بزرقة السماء. زرقاء مثل بلوزة "مستر فورست". زرقاء مثل نجمة الصباح »[2]. عيون تكمن فيها السعادة ومرح الحياة. تجعلها حرّة في أن تلبس ما تشاء «كيف تلبس هي سروالاً قصيراً بينما نرتدي نحن تلك السراويل الطويلة القديمة الموضة؟ أتمنى أن أموت كلما لبستها »[3].

وتحاول بيكولا أن يكون لها أطفالا وأسرة وأن يحبها أحدهم.

2. قضية عمل المرأة:

عمل المرأة يساعدها على التحرر و التمتع بالحياة هذا إذا كان عملاً نبيلاً، فتعيل به نفسها وأسرتها، أمّا إن كان العمل بالقوة والقهر والاستعباد عند البيض، فإنها لن تجني منه سوى البؤس والشقاء ونكد العيش « لقد أخذوني من حقول قصب السكر في قارب إلى الشمال كي أعمل في حقول التبغ. وقبل العمل كان يجب أن يعاشروني جنسياً »[4]، وقد دافعت موريسون عن هذه القضية (عمل المرأة) بكل شجاعة، داعية إلى إعطاء الحق للمرأة الزنجية في العمل النبيل إلى جانب مثيلاتها من النساء البيض، وعدم التعرض لشرفهن.

كما هو الحال في رواية العين الأكثر زرقة، عند القاصرتان " كلوديا" وأختها "فريدا" الشخصيتان اللتان كانتا تعملان في معامل أسيادهما البيض « يأخذوننا في المساء إلى خطوط

(1) - Jean-Michel Kalmbach,La femme africaine dans Les honneurs perdus, p 8.
(2) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 39.
(3) – المصدر نفسه، ص 57.
(4) - جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، ص 3.

السكك الحديدية حيث نملأ أكياس الخيش بقطع الفحم الصغيرة المتناثرة هناك »[1] ويستمر العمل في السكك الحديدية المساء كله، إلى أن يرخيَ الليل سدوله. إن هذا العمل هو عمل شاق يفوق قدرة تحمل الفتاتين، وبالتالي فهو إلى العذاب أقرب منه إلى العمل. وهي قضية اجتماعية تُعنى بالحفاظ على الفتيان والفتيات القصّر وعدم استغلالهم في العمل الشاق الذي يفوق طاقاتهم، ويقضي على مستقبلهم.

وهناك أيضاً شخصية السيدة "بولين" التي رأت أنه لا جدوى من استمرار الحياة الزوجية مع زوجها إلا بالعمل، بعدما « بدأ كولي يتشاجر معها كلما طلبت نقوداً »[2]. وحفاظاً على استقرار زواجهما، راحت "بولين" تعمل خادمة في بيوت البيض. هذا العمل حرر "بولين" كثيراً، فبدلا من بقائها ماكثة في بيتها، أصبحت تخرج كغيرها من النساء للعمل والكسب، وأصبحت تدّخر نقودها لشراء الملابس والأغراض المنزلية.فبالرغم من أنها عملت في بيوت البيض، إلاّ أن معاملة العائلة المالكة لها معاملة جيدة جعلتها تحب عملها وتؤديه بكل تفانٍ وإتقان. وجعلتها تشعر بأنها حرّة كما لم تشعر من ذي قبل.

فشخصية "بولين" شخصية حرّة ومستقلة في ذاتها بالرغم من طبيعة عملها عند البيض، لأنها أصبحت حرّة معيشياً واقتصادياً، فهي لا تنتظر من الرجل أن ينفق عليها وعلى أسرتها، بل على العكس تماماً، هي التي تنفق على الأسرة، وتلبي لها حاجياتها.

وفي رواية محبوبة طرحت الكاتبة قضية عمل المرأة في شخصية "سيث" المرأة المقهورة التي تبحث عن عمل من أجل إعالة أولادها، بعدما غاب الأب (زوجها) عن البيت ولم تعرف له أثراً. فاضطرت للعمل في المطاعم والبيوت لدى البيض لجلب قوت عيالها. فعمل "سيث" هنا قضية اجتماعية تطرحها موريسون من أجل رفع الغبن عن المرأة الزنجية المستعمَرة، وضمِّها إلى جانب مثيلتها من البيض، فتعمل معززة مكرمة. وترفع من مستواها المادي والاقتصادي، وبالتالي مستواها المعيشي. فتُحدث بذلك تحرراً متكاملاً على المستوى الشخصي والعائلي.

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 7.
(2) – المصدر نفسه، ص 97.

3. قضية ضرب المرأة والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض:

ضرب المرأة الزنجية والتعرض لها بالأذى الجسدي، والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض هو أمر شائع في المجتمع الأسود أين « كانوا يضربون النساء »[1]، ذلك أن المرأة الزنجية تعيش دائماً تحت سلطتين؛ سلطة الزوج الأسود وسلطة السيد الأبيض. فهي تُعامل بقسوة وعنف إن لم تستجب لأدنى طلب منهما.

وقد قدمت الكاتبة موريسون هذه القضية في روايتها العين الأكثر زرقة من خلال شخصية "بولين" التي تتعرض للضرب والتعدي الجنسي من طرف زوجها "كولي" الذي كان يجرها ويضربها بعنف كأنه يتقاتل مع رجل مثله، « كان يريد أن يتشاجر معي طوال الوقت. أعطيته كل ما أحصل عليه كنت مضطرة لذلك »[2] فكان يصب عليها كل غضبه « إذ لم تكن حاجة "كولي" إليها أقل. إنها بالنسبة له، واحدة من الأشياء البغيضة القليلة التي يستطيع أن يلمسها وبالتالي يؤذيها. لقد صبّ عليها كل عنفه الغامض ورغباته المجهضة »[3]. معتديا على زوجته بالضرب والشتم والسباب، ويجرّها في الأرض جراً.

لقد كان هذا العنف سببًا في خروج الابن "سامي" من البيت وهروبه إلى الشارع أكثر من سبعٍ وعشرين مرةً، في حين كانت البنت "بيكولا" تجرّب كل أساليب التحمل، لمّا كان شبابها وجنسها يُقيدانها من الهرب والخروج من البيت.

وطرحت موريسون قضية التعدي الجنسي على المرأة، ومضايقتها والتحرش بها. بكل صدق وواقعية وحقيقة، كما تعيشه المرأة الزنجية. لتدافع عنها وتنصفها حقها المشروع، في امتلاك حياتها وجسدها كغيرها من النساء. وتحميها من أمثال "السيد هنري" الذي كان يضايق "فريدا" « إنه.. ضايقني (...) لقد لمسني. هنا وهنا. وأشارت إلى النهدين الصغيرين»[4]. لقد اعتدى "السيد هنري" على فريدا، كما يعتدي كل رجل أسود زنجي على امرأة زنجية سوداء.

---

(1)– توني موريسون، محبوبة، ص 199.
(2) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 98.
(3) – المصدر نفسه، ص 35.
(4)- نفسه، ص 80-81.

أمّا في رواية "محبوبة"فقد طرحت موريسون هذه القضية بكل تفاصيلها بداية من البحارة؛ حيث « أخبرت سيث أنها هي وأمها، كلاهما اعتدى عليهما البحارة أكثر من مرّة »[1] وحتى «النساء الزنجيات يغتصبهن البحارة »[2] على متن القوارب التي كانت تُقلهن إلى الحقول ومعامل الفحم وبيوت البيض. وقد جسّدت هذه القضايا في شخصية "سيث" التي تعرّضت للضرب المبرح والذل والقهر « لقد أصابني قدر من جلد السياط (...) كان لمستر بَدْى يد شريرة تماماً (...) يجلدك لنظرك إليه مباشرة. (...) نظرت إليه مباشرة ذات مرّة، فجذب مُحرّك النار وقذفني به»[3]. وتعرّضتْ أيضاً للاعتداء الجنسي من طرف الرجال البيض الذين عاملوها بقسوة « جاء أولئك الأولاد هناك واغتصبوا لبني. كان ذلك ما جاءوا من أجله. طرحوني أرضاً وأخذوه غصباً »[4]. ولمّا علموا أنها أبلغت عنهم سيدها شقوا ظهرها بالضرب المبرح بسوط البقر، وتركوا الجراح تشكل شجرة على ظهر "سيث" « جعلهم المدرس يشقون ظهري، ولمّا التأم الجرح كانت الشجرة »[5].

في هذه المقاطع تصور لنا موريسون أبشع صور التعذيب والتعدي على جسد المرأة الزنجية من قِبل غريمها الأبيض.

« " استخدموا معك سوطاً من ذيل البقر؟"

"واغتصبوا لبني"

"جلدوك وأنت حامل؟"

"واغتصبوا لبني" »[6]. و« جلد مستر بَدْى مؤخرتي»[7]، معاناة ما بعدها معاناة، وأسوأ المعاناة أن يكون في جسدك تشوّه وأنت لا تراه، يقولون لك عنه وفقط.« لدي شجرة على ظهري»[8]،من أثر العذاب « أنا لم أرها مطلقاً ولن أراها أبداً. لكنها قالت: إنها تشبه شجرة. شجرة

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 122.
(2) - المصدر نفسه، ص 307.
(3) - نفسه، ص 150.
(4) – نفسه، ص 47.
(5) – نفسه، ص 48.
(6) - نفسه، ص 48.
(7) – نفسه، ص 152.
(8) – نفسه، ص 45.

شجرة كرز بري. الجذع، والأغصان، بل حتى الأوراق »[1]. لقد أثّرت هذه الحياة (حياة البؤس) على نفسية "سيث" ولم يعد يخطر ببالها شيئاً سوى « صورة الرجال وهم يأتون ليرضعوا من ثدييها صورة لا حياة فيها»[2]. لقد كان بإمكانهم أن يزلزلوا كيانها في أي لحظة، وأن يستنزفوا لبن الأم فيها، كما فعلوا سابقاً، « من ولدين ذوي أسنان مطحلية، أحدهما يرضع من صدري والآخر يثبتني إلى الأرض. ومعلم القراءة يراقب هذا ويكتبه »[3]. وأن يشقّوا ظهرها كما فعلوا أيضاً، أن يطردوها إلى الغابة وهي منتفخة البطن، كما فعلوا ذلك كله. وذلك كله إجرام في إجرام.

بهذه الطريقة تسرد لنا الكاتبة موريسون قضية ضرب المرأة، والتعدي عليها نفسياً وجسدياً سواءً كان ذلك من قبل الرجل الأسود (الزوج)، أو من قبل الرجل الأبيض خاصة فإن « أي أبيض كان بإمكانه أن يأخذ حياتك كلها مقابل أي شيء يخطر على باله. لا مجرّد أن يستخدمك أو يقتلك أو يشوهك بل أن يوسخك. أن يوسخك بشكل سيء حتى لا يمكنكِ أن تكوّني نفسك بعدها»[4]. لتبقى المرأة دائماً تحت سطوتين سطوة الجنس وسطوة اللون. وقد دافعت موريسون عنها بقوة وبكل جدية، داعية إلى إنشاء مجتمع خالٍ من الرق والعبودية، واستنزاف كيان المرأة السوداء.وهنا تتجلى لنا « أبرز ملامح عبقرية هذه الروائية هو في أن رؤيتها نابعة من خيالها. وبالفعل من الممكن حين ندرك هذه الحقيقة عن أدبها وأسلوبها أن نلمح تأثير فوكنر هنا، وبصمة بعض كُتاب الواقعية السحرية هناك، لكننا دائماً أمام خيال موريسون نفسها، حيال نسيجها الروائي المتفرد بواقعيته أحياناً ورمزيته أحياناً أخرى، بل وغلاظته أحياناً في استخدامها للصور القوية حد الحزن والألم »[5].

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص46.
(2) – المصدر نفسه، ص 28.
(3) – نفسه، ص 135.
(4) - نفسه، ص 419.
(5) – لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، ص 4.

4. قضية استرقاق واستعباد الزنوج :

لقد عانى الإنسان الأسود منذ أربعة قرون من القهر والعبودية في ظل الاستعمار، وما زال يعاني من الآثار الجسيمة المتبقية التي خلفها الاستعمار وراءه. فمن تجارة الرق والعبيد وتهجيرهم، إلى استعبادهم واستغلالهم وقمعهم، وحتى قتلهم ورميهم في البحار والمحيطات، « لقد أغرقوا منا أكثر ممن عاش منهم جميعاً من بدء الزمن »[1] حدث الكثير مما لا يمكن للذاكرة الزنجية نسيانه وتجاهله؛ ففي « عام 1874 مدن بأسرها مُحيمنها الزنوج؛ سبعٌ وثمانون عملية إعدام بدون محاكمة قانونية في عام واحد فقط في كنتاكي؛ إحراق أربع مدارس للملونين وإبادتها من الوجود»[2]. وما يمكن قوله أن « الرق أكبر إساءة، وهو آخر مراحل الاستبداد. وهو أكبر إفراط في العنف يمكن أن يدعيه الإنسان على نظيره الإنسان، في ظروف لا يمكنه فيها المقاومة »[3]. وقد عالجت موريسون قضية استرقاق واستعباد الزنوج ودافعت عن تحريرهم في كل رواياتها من أغلال البيض الذين رأوا أن « الزنجي قرين للتخلف، والبدائية، والانحطاط والقدرة العقلية المحدودة»[4] وأن عليهم الرفع من مستواه الإنساني ليرتقي إلى الدرجة البشرية، وهو تعبير فصيح لغرض قبيح، وهو استعباد هذا العنصر الذي لا حق له في الحياة – على حدّ زعمهم – إلا أن يعيش مقهوراً مذلولاً.« وتروي موريسون: كان أبي حاداً جداً في كراهيته للناس البيض (...) شاهد والدي وهو لا يزال طفلاً إعدام رجلين في شارعه في كارترزفيل، جورجيا، وأعتقد أن رؤية رجلين سوداوين – من رجال الأعمال لا من المتشردين– يتدليان من الشجرة، هو مشهد مروّع للطفل الذي كانه»[5].

ففي رواية العين الأكثر زرقة صوّرت لنا موريسون حياة العبودية التي تعيشها النساء الزنجيات اللواتي« تلقين الأوامر من كل شخص في هذه الدنيا، قالت لهن النساء البيض: افعلن

---

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 407.
(2) - المصدر نفسه، ص 307.
(3) - Néba Fabrice Yale, La Violence dans l'esclavage des colonies Francaises au XVIIIe Siècle, , mémoire de master1 science humaines et sociales, Université Pierre Mendés- France, 2008-2009. P 5.
(4) – محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، ص 156.
(5) - أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، ص 2.

هذا. وقال لهن الأطفال البيض: ناولنني هذا. وقال الرجال البيض: تعالين إلى هنا. وقال الرجال السود: اضطجعن. (...) يدرن شؤون بيوت الناس البيض»[1]. هكذا تقدم موريسون المرأة الزنجية على أنها كائن مقهور ووضيع، مغلوب على أمره.

وتصور لنا رواية محبوبة حياة الرق البشعة التي تبدأ باصطياد العبيد وبيعهم، من الرجال السود والنساء السوداوات، « كان لي ثمانية رحلوا عني جميعاً. أربعة اختطفوهم وأربعة اصطادوهم»[2]. والكثير منهم مات برصاص الأسياد البغيضين. بيوت دمّرت وأكواخ أحرقت، وعائلات شتتت، ونساء بيعت كالسّلع في المتاجر من أجل تسديد الديون « باعت أخاه، وهي تبكي مثل طفل، لتسدد الديون التي طفت إلى السطح »[3]. نجاة من العقاب.

ونساء بيعت لقاء الحرية كما حدث مع بيبي سجز التي « اشتراها هال مقابل أن يعمل أيام الآحاد لمدة خمس سنوات »[4]. بعد أن أصبحت لا تصلح لشيء تفعله لصالح البيض. وقد اضطر المدرس إلى بيع أحد الزنوج لمّا هرب بعضهم من قبضته « سيكون مضطراً إلى بيع هذا الزنجي لقاء 900 دولار إذا استطاع الحصول عليها. (...) وبالنقود التي يحصل عليها لقاء هذا العبد هنا بإمكانه أن يحصل على عبدين صغيرين في الثانية عشرة أو الخامسة عشرة»[5] من أجل استغلالهم في الزراعة وفي حقول التبغ و مناجم الفحم.

وقدمت موريسون صورة عن سجن العبيد« الستة والأربعون جميعاً يُجذبون من السلسلة التي كانت تربطهم ولا يعلم أحد من كان ليُقتل أو كم عدد القتلى منهم (...) كان رفع السلاسل بطيئاً »[6] وبعد يوم شاق من العمل، يُحبس الجميع في الصناديق الموضوعة في الخندق المملوء بـ « ماء عكر، ناموا فوقه، وتبوّلوا فيه »[7] معاناة ليست بالهينة فـ « لم يكن بول.د قد ارتجف منذ منذ 1856 وعند ذاك لمدة ثلاثة وثمانين يوماً متصلة. لم يكن بوسعه أن يدخّن أو حتى أن يحك

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص115.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 27.
(3) – المصدر نفسه، ص 34.
(4) – نفسه، ص 37.
(5) - نفسه، ص 383.
(6) – نفسه، ص 200 – 201.
(7) - نفسه، ص 201.

جلده كما ينبغي، وهو محبوس مقيد بالأغلال »[1]. تضيف إليها موريسون صورة عن قتل العبيد بطريقة بشعة بعد تعذيبهم كما مات "سيكسو" فقد ضرب « واحداً منهم سيكسو على رأسه ببندقيته، وعندما يفيق يجد أمامه ناراً من أخشاب الجوزية وهو مربوط من وسطه إلى شجرة. (...) يشدّ سيكسو قامته في ضوء النار الجريش. لقد انتهى من أغنيته يضحك (...) وقماش سرواله يتصاعد منه الدخان. نار عنيدة يتصاعد منها الدخان. يطلقون عليه النار ليُسكنوه للأبد »[2] في أبشع صورة للموت وكأنه يقول:« نحن نموت، ربما ذلك هو معنى الحياة. لكننا ننجز لغة ذلك قد يكون كنز حياتنا »[3] وأبشع منها صورة بول.ف زوج سيث الذي عُلّق على الشجرة كجذع بلا رأس ولا أقدام. « لا أحلم لا يمكن الحلم بها عما إذا كان الجذع الذي بلا رأس ولا أقدام المتدلي من الشجرة كان زوجها أو بول.أ »[4]. وهناك صور لضربهم من قِبل أسيادهم البيض« رجال ناضجون يُجلدون كأنهم أطفال؟ وأطفال يُجلدون كأنهم ناضجون »[5]، هي صورة مليئة بالحقد والكراهية، وإذلال للعنصر الأسود بُغية القضاء عليه وإبادته. فالضرب بالركل أو الجلد بالسوط أمران لا مفرّ للزنجي منهما؛ حتى وإن كان ضرباً غير مبرحا وغير مُضر كما فعل المدرس الأبيض الذي «ضرب بول أ. لا ضرباً ولا طويلاً »[6]. ولكنه في نهاية الأمر استعباد.

وصورت موريسون صورة أخرى تعرض فيها سطوة النساء البيض على النساء السود إذ كان لزاماً على المرأة الزنجية إرضاع الأطفال البيض« كان على "نان" أن تُرضع أطفالاً بيضاً وأنا أيضاً لأن أمي كانت تعمل في زراعة الأرز. كان الأطفال البيض الصغار يحصلون عليه أولا وأحصل أنا على ما تبقى. أو لا شيء. لم يكن هناك لبن رضاعة أدعيه لنفسي »[7]. أو أعتبره حقاً من حقوقي الخاصة.

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 50.
(2) – المصدر نفسه، ص 382.
(3)- توني موريسون، جاز، تر: محمد عيد إبراهيم، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1995.
(4) – توني موريسون، محبوبة، ص 419.
(5) – المصدر نفسه، ص 307.
(6) – نفسه، ص 337.
(7) – نفسه، ص 342.

وأن تسهر على خدمة الرجل الأبيض وضيوفه إلى آخر الليل فـ « إذا احتاج ضيوف آخر الليل أن تقومي على خدمتهم أو أن تقومي بالتنظيف بعد ذلك »[1]. كل هذا من أجل راحة السيد الأبيض.

فـ « البيض يحتقرون السود ويستغلونهم في حقولهم بصورة أحسن بقليل من البغال، وأحياناً أخرى كالكلاب»[2]. فالتفاوت في الفرق بين البشرة البيضاء والسوداء يظهر جلياً وإلاّ « من ذا الذي يمكن إقناعه أن كل الرّجال، وأقول كل الرّجال بلا تفضيل، وبلا إعفاء خاص، قد عرفوا التهجير والرّق والعبودية، ومعاملة البشر كالبهائم، والاعتداء السّافر، والإهانة المقذعة، وأنهم جميعاً تلقّوا كل أنواع الحقارة، ووسِمت أجسامهم ووجوههم؟ لا رجال سوانا (...) لا رجال سوانا نحن الزنوج، وحدنا إذن في قعر الحفرة »[3]. إن هذا القول يصوّر لنا أبشع مراحل الاستغلال والعبودية التي مرّ بها الزنوج في حياتهم، التي لم يكونوا يملكون حق التصرّف فيها.

هذا التفاوت الكبير نجده واضحاً في روايات موريسون، التي عمدت إلى القضاء على مثل هذه الفوارق والدعوة إلى العيش في مجتمع سليم واحد. تسعى من خلاله لإعادة بناء الثقافة الإفريقية – الأمريكية، ومحو تاريخ العبودية والاسترقاق بصفة عامة، وعلى المرأة الزنجية بصفة خاصة، كونها تعيش معاناة مزدوجة على يد كل من الرجال السود والرجال البيض.

- **الهوية الثقافية الإفريقية:**

عالجت موريسون في روايتيها (محبوبة والعين الأكثر زرقة) القضايا الوطنية لما لها من أهمية قصوى في حياة الفرد. واستحضرت جلّ ما يمس الهوية الثقافية الإفريقية، كتوظيف التراث الزنجي الذي يفخر به السود من رقصٍ وغناء ولباس، وعملت موريسون أيضاً على استحضار

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 425.

(2) - Kodjo Attikpoé, La représentation du passé dans la littérature africaine pour la jeunesse, vol. 11. n°2, 2008, p157

(3) – إيمي سيزير، مأساة الملك كريستوف، تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009، ص 108.

الأسطورة والخرافة والموت والطبيعة كأهم الرموز التي تثبت القومية الإفريقية الأمريكية. وبتواجدها يتواجد الزنوج أيضاً. وركزت الكاتبة كل التركيز على قضية رفض العبودية ومحاربة الرجل الأبيض من أجل أن يعيش الطرفان بسلام جنباً إلى جنبٍ. وسندرس فيما يلي هذه القضايا التي تمس وتخص العنصر الزنجي بنوعيه.

1. توظيف التراث الزنجي (الغناء والرقص واللباس) للحفاظ على الهوية الإفريقية:

- **الغناء:**

لقد وظّفت الكاتبة توني موريسون التراث الزنجي وأشارت إليه في أكثر من مناسبة، واستحضرت الغناء الذي يُعبّر به الزنوج عن أفكارهم ومطالبهم، وعن الأوقات الصّعبة التي مرّوا بها « كانت تغني حول الأوقات الصعبة، والأزمان الرديئة »[1]. وهو حاضر في كلامهم وحديثهم إذ« كان حديثهن يشبه رقصة بارعة. صوت، مقابل صوت، اهتزاز وتراجع، صوت يدخل ولكن سرعان ما يزيحه عن المسرح صوت آخر »[2] في انسجام وتناغم تامين.

ففي رواية العين الأكثر زرقة مثالاً عن الغناء الإفريقي الذي يرفّه به الزنوج عن أنفسهم ويتسلّون به، على لسان "بولند" التي بدأت « بصوتها العذب كالفريز تغني أغنية أخرى :

أعرف فتى أسمر اللون كسماء رائقة

أعرف فتى أسمر اللون كسماء رائقة

يقفز التراب فرحاً حين تلامس قدماه الأرض

يتبختر كالطاووس

عيناه نحاس متوهج

ابتسامته شراب من عصير السكر

يقطر حلاوته شيئاً فشيئاً

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 21.
(2) – المصدر نفسه، ص 12.

إلى آخر قطرة

أعرف فتى أسمر مثل سماء رائقة »[1].

هي أغنية من الأغاني الزنجية لها خاصية التكرار ولها إيقاع إفريقي يتمثل في استحضار الحيوانات والنباتات الإفريقية، وذكر الأرض، وهذه الأمور الثلاثة نجدها دائماً حاضرة في الغناء والشعر الإفريقي. وقد أدرجتها موريسون – على لسان شخصيات الرواية– للتعبير عن مدى تشبث العنصر الزنجي بإفريقيته برغم تهجيره عن وطنه الأم، ومدى الحفاظ على هويته ما أمكنه ذلك.

وفي الرواية أيضاً شخصية "إيفي" المرأة التي تحمل في فمها كل الأصوات، غنّت عن الموت، وعن الغريب. وفي هذه القصيدة تناجي إيفي الإله لإنقاذها بعدما أصبحت منهكة القوى.

« أيها الإله الكريم خذ بيدي

قُدني دعني أقف على قدميّ

أنا متعبة، وضعيفة، منهوكة القوى

قُدني خلال العواصف والليل

قُدني إلى الضياء

خُذ بيدي، يا إلهي الكريم، وقُدني

حين تصبح طُرقي موحشة

يبقى الإله الكريم قربي

عندما توشك حياتي على الرحيل

اسمع صرختي، اسمع ندائي

امسك يدي حتى لا أسقط

خذ بيدي، أيها الإله الكريم، وقُدني »[2].

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 50.
(2) – المصدر نفسه، ص 94.

وهي إرث من تراث الأغاني الإفريقية في شكل مناجاة غنتها "إيفي" مناجية بها الإله لمساعدتها عندما طعنت وتقدمت في السن.

أمّا في روايتها محبوبة فقد وظّفت الكاتبة أيضاً ذاك التراث الزنجي الذي به يحيا الزنوج وعليه يموتون.فهذه "إيمي" التي راحت تغني وهي تتمايل حول البيت جيئة وذهاباً وهي تقول:

« عندما ينتهي عمل اليوم
وطفلي الصغير المُتعب
يتأرجح برقة جيئة وذهاباً؛
عندما تهب رياح الليل بنعومة
والجنادب في الوادي
تسقسق وتسقسق وتسقسق ثانية؛
وعندما ترقص الجنيات حول ملكتها
على العشب الأخضر المسكون،
عندئذ من بين السموات الضبابية البعيدة
تأتي سيدة العيون المستديرة »[1].

تستحضر إيمي في أغنيتها هذه معتقداتها، وكل ما يحيط بها؛ (الطفل، والطبيعة بما فيها من اليوم، الليل، الجنادب والعشب الأخضر، والسماء الملبّدة بالضّباب) وتستحضر أيضاً طائفة الجنيات التي ترقص حول ملكتها. لتأتي سيدة العيون المستديرة وهي الشيء المنتظر.

بهذه الأغاني ذات الطابع الإفريقي المُتميّز، والمستوحى من أعماق الإنسان الإفريقي ومن معتقداته وطبيعته وما يحيط به. تقودنا الكاتبة توني موريسون وتغوص بنا في روايتها إلى عُمق وجذور التراث الزنجي المتأصّل في الذاكرة الزنجية ذات الجذور الإفريقية. الذي تأثرت به موريسون كثيراً، واعتمدت عليه في كتاباتها.

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 152، 153.

- **الرقص:**

وتذهب الكاتبة في روايتيها إلى استحضار الرقص الأفرو أمريكي الذي يُعبّر عن الهوية الإفريقية، فهو حاضر في الرواية حضور العنصر الأسود الذي تنحدر منه موريسون وتنتمي إليه، فالرقص جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان الإفريقي، وهو مرافق للغناء بل هو لصيق معه، مكملان لبعضهما يشكلان فيما بينهما – على مسرح الطبيعة – لوحة فنية رائعة، لا نجدها إلا عند صاحب البشرة الزنجية السوداء المنحدر من أعماق القارة السوداء.

هذا الرقص الذي تصوره موريسون يبدأ بالحديث « صوت مقابل صوت، اهتزاز وتراجع، صوت يدخل ولكن سرعان ما يُزيحه عن المسرح صوت آخر. الاثنان يدوران حول بعضهما ثم يتوقفان. تتحرك كلماتهن، أحياناً، بشكل لولبي، وتقفز، في أوقات أخرى، قفزات حادة »[1].رقص يبدأ بالغناء بأصوات منبثقة من العمق آتية من بعيد كأنهار ممزوجة بما تحمله، متجهة معاً مجتمعة ومتفرقة لتصب في بحر الهواء المفتوحعلى الطبيعة. تاركة وراءها رنة دافئة تنبض بالحياة.

وقد تختلف الرقصات باختلاف المناسبات، واختلاف المسمّيات؛ فرقصة الفرح غير رقصة القرح، وهناك رقصة البقرة الوحشية التي كان يؤديها الرجال والنساء « كن يرقصن وأحياناً يرقصن رقصة البقرة الوحشية. الرجال و"الأمهات"أيضاً (...) كانت هيآتهم تتبدل ليصبحوا شيئاً آخر»[2]. ينتمي إلى الطبيعة التي تحيط بهم؛ فحركات الرقص عندهم مستمدة منها.« ذلك الرقص الذي تقوده بيبي سجز وسط الأشجار فترجع الأشجار دبيب أقدام الراقصين وهديرها، وتتساقط له أوراق أشجار الكستناء كأنها رؤى تتساقط في نفوس الراقصين لتجعلهم في وحدة واحدة »[3]. فالرقص في وحدة واحدة يضمهم جميعاً ليشكلوا شيئاً واحداً.

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 12.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 70.
(3) – المصدر نفسه، ص 9- 10.

وتسترسل الكاتبة في عرضها لبعض أنواع طقوس الرقص المتأصلة في الحياة الإفريقية و التي يتميّز بها الزنوج عن غيرهم، فقد رقص الأولاد – عند شجارهم مع بيكولا– « رقصة الموت حول الضحية التي كانوا مهيئين، من أجل سواد عيونهم، للتضحية بها حتى النفس الأخير.

يا سوداء أبوك ينام عارياً

تا...تا تا...تا

تا...تا تا...تا »[1].

إذاً هي رقصة الموت التي تؤدى عندهم في المآتم مع طقوس التأبين والعزاء.

كان الزنوج يرقصون لأي شيء، وفي أي وقت في المعامل والحقول ومناجم الفحم، وحتى في السجون؛ سواء كانوا مكبلين بالسلاسل في أرجلهم وأيديهم أو بالأغلال في أعناقهم.

« كانوا يرقصون بالسلاسل عبر الحقول، خلال الغابة »[2]. و يغنون عن زوجاتهم، وعن النساء اللاتي عرفوهن، وعن طفولتهم وذكرياتهم، وعن الحيوانات التي روّضوها، وعن قبح الحياة التي يعيشونها ووقاحتها، كانوا يغنون عن كل شيء. وكان الغناء هو ملاذهم ومخرجهم من المعاناة اليومية التي يلحقها بهم أسيادهم البغيضين بلا رحمة أو شفقة.

- **اللباس:**

تتميز المرأة الزنجية عن غيرها من النساء في الكثير من الأمور من بينها اللباس، الذي يمثل رمز الهوية التي ينتمي إليها الإنسان. ولعلّ الباحث في روايات توني موريسون يقف على تلك الصور التي تصففيها الكاتبة المرأة الزنجية بزيها التقليدي الأفرو أمريكي، الذي ينمّ عن مدى صعوبة الحياة التي تعيشها المرأة الزنجية في عالمها الأمريكي المُر. فهي تميل بحكم الحياة القاسية إلى ارتداء الملابس ذات اللون الداكن، تعبيراً عن صعوبة الحياة وقساوتها المستمد من الطبيعة الإفريقية.

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 55.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 198.

ففي رواية العين الأكثر زرقة تخبرنا موريسون بلون الثوب الذي ترتديه "جين" « أنظر إلى جين. إنها ترتدي ثوباً أحمر »[1]. برغم السعادة التي تغمرها مع زوجها « إنهما سعيدان جدا »[2]، ولعلّ اللون الأحمر يدل على المأساة والمعاناة وعن الضرب والقتل الذي ينتهي بخروج الدم من المعتدى عليه، واللون الأحمر في آخر الأمر هو لون دم الإنسان، ولون المأساة.

فلباس المرأة الزنجية لا يرقى إلى لباس المرأة البيضاء التي تعيش حياة الرفاهية والهناء، فالفارق بينهما واضح وجلي، حيث تلبس السيدة البيضاء اللباس الفضفاض الفاخر من فرو وصوف، بينما تقبع الأخرى (السوداء) في الأثواب البالية الرثة تقضي بها يومها كله، وتنام به في آخر اليوم. وإن ارتدت فوقه شيئاً فلن يكون أكثر من كنزة لا تكاد تكون أفضل منه. كما كان الحال بالنسبة للسيدة بريدلوف لما نهضت من سريرها للقيام بأشغال البيت فـ« وضعت كنزة فوق ثوب النوم الذي كان ثوباً بالياً تلبسه في النهار أيضاً »[3] وتدير به شؤون بيتها؛ إذ لم تكن تملك غيره. إن هذه الصورة التي صورتها الكاتبة هنا تدل على الحرمان الذي تعيشه المرأة الزنجية في بيتها، وتوحي بحجم الحالة الاجتماعية المزرية التي تعيشها عائلة السيدة بريدلوف.

في حين نجد ثلة من الطبقة الملونة الأكثر تحضّراً بقليل من الطبقة الزنجية تدرجها توني موريسون في الرواية، في شخصية الفتاة "مورين بيل" التي تبدو عليها علامات الراحة والسعادة بلباسها الفاخر « كنزات من الوبر لها لون قطرات الليمون مثبتة تحت تنورات ذات ثنيات مرتبة (...) جوارب قصيرة ملونة بحواش بيضاء، وسترة مخملية محلاة بالفرو الأبيض، وفروة تنسجم معها »[4]. لباس فاخر يجعل البنات الزنجيات يغرن منها« كيف تلبس هي سروالاً قصيراً بينما نرتدي نحن تلك السراويل الطويلة القديمة الموضة؟ أتمنى أن أموت كلما لبستها »[5] هو لباس يعكس حياة الملونين التي تختلف عن حياة الزنوج، ويعكس أيضاً المرتبة التي يحتلها الزنوج، إذ

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 5.
(2) - المصدر نفسه ، ص 5.
(3) - نفسه، ص 33.
(4) - نفسه، ص 52.
(5) - نفسه ، ص 57.

نجدهم في مرتبة الحضيض وهم الفئة المضطهَدة التي تعاني ويلات القتل والتعذيب والتشريد والجفاء.

وفي رواية محبوبة التي تصور فيها موريسون المرأة الزنجية في أصعب أوقاتها وأقبح صورها، من خلال شخصية سيث في طريقة حصولها على ثوب ترتديه كغيرها من النساء، «قررت أن أحصل على الأقل على ثوب من غير القماش القنبي الخشن (...). لذا تعودت أن أسرق القماش »[1]، بهذه الطريقة تحاول سيث أن تحصل على القماش لتخيطه في شكل ثوب، « وانتهى الأمر بي إلى ثوب لا يمكن أن تصدّقيه. كان الجزء العلوي منه مصنوعاً من كيسي وسادتين من سلة رتق الملابس الخاصة بها »[2]. أمّا الجزء السفلي الذي يمثل التنورة فقد كانت مقدمته « من غطاء خوان سقطت عليه شمعة وأحرقته محدثة به ثقباً، وأحد أحزمتها القديمة الذي كنا نستخدمه في اختبار المكواة عليه »[3]. وبقي الظهر يشكل مشكلة لإتمام الثوب الذي لا يمكنه أن يكون من دون ظهر. « وأخيراً أخذت شبكة البعوض من على مسمار في الجرن. كنا نستخدمها لتصفية "الجيلي"غسلتها ونقعتها ما أمكنني وثبتّها كظهر للتنورة »[4]. وهكذا وبعد هذا الجهد تبدو سيث في أقبح منظر لها كشبح في هيئة إنسان.

وهي كلها صور تحكي معاناة المرأة الزنجية، و تسلط الضوء على مستواها المعيشي، وعن مدى انحطاط الطبقة التي تنتمي إليها، في مجتمع تسود فيه التفرقة والتمييز العنصري.

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 117.
(2) – المصدر نفسه، ص 117.
(3) - نفسه، ص 117.
(4) - نفسه، ص 118.

2. اللون، الطبيعة والخرافة (السحر والأشباح) وطقوس الموت كرموز إفريقية:

تعتمد توني موريسون في رواياتها كثيراً على توظيف كل رموز الهوية الإفريقية وكل ما له صله بحياة أجدادها، وبالحضارة الإفريقية التي قضى عليها البيض، فتأتي في رواياتها على ذكر الأساطير والأرض، وتوظيف اللون، الخرافة، الآلهة، الأرواح، السحر، الطبيعة، الأرقام و الأشباح ... وما إلى ذلك من الرموز التي تمثل المعتقدات والعادات التي لا يمكن للزنجي الانسلاخ عنها. وهي بذلك (أي الكاتبة) تحافظ على إرث ثقافي عظيم له دلالاته ومكانته في مجتمع لا يؤمن إلا بما ورثه عن أجداده، وما يراه جزءاً لا يتجزأ منه؛ وهو الوسط الإفريقي.

- **اللون:** وتبدأ الكاتبة في رواية العين الأكثر زرقة بذكر اللون الذي له دلالاته « هذا البيت أخضر وأبيض، له باب أخضر »[1]، « بيتنا قديم بارد أخضر »[2] وتأتي على ذكر لون الثوب الذي ترتديه "جين" « إنها ترتدي ثوباً أحمر»[3] وتستمر في توظيف اللون حتى في تصوير المرض « يسيل القيء من المخدة إلى الشرشف – أخضر – رمادياً مع نقاط برتقالية»[4]. وتذهب موريسون إلى أبعد من ذلك في استحضار اللون للتعبير عن الصوت الذي يحمل ملامح البؤس والحزن ذلك « البؤس الملون بالأخضر والأزرق في صوت أمي يسحب كل الأحزان من الكلمات»[5]، صوت بائس حزين « في تلك الأرض ذات السماء الرّمادية »[6] سماء حزينة كئيبة كئيبة رمادية اللون تعكس العذاب الذي يعيشه الزنوج في «البيوت الرمادية الخشبية الهياكل»[7].

التي لا يملكون غيرها.

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 5.
(2) - المصدر نفسه، ص 8.
(3) - نفسه، ص 5.
(4) - نفسه، ص 9.
(5) - نفسه، ص 22.
(6) - نفسه، ص 28.
(7) - نفسه، ص 28.

وفي روايتها "محبوبة" أيضاً تخبرنا موريسون عن لون البيت الذي تعيش فيه "سيث" وابنتها "دنفر" وهو « البيت الأبيض والرمادي في شارع بلوستون »[1]. وفي الرواية يدل اللون على الموت، وهو معتقَد يُنذِر بدنو الأجل.

إذ لما حضرت "بيبي سجز" الوفاةُ « استخدمت ما تبقى لها من طاقة ضئيلة لتفكر في اللون. هات قليلا من اللون الأرجواني الشاحب، إذا كان لديك أي منه. أو القرنفلي، إذا لم يكن لديك »[2]. فشحابة اللون عند الزنوج في الرواية دلالة على شحابة الوجه ودنو الأجل. لأنه لن يكون لديك الوقت لتفكر بالألوان وأنت تحت وطأة التعذيب والألم والعمل المضني « الآن أعرف لماذا كانت بيبي سجز تفكر في الألوان في سنّ عمرها الأخيرة. لم يكن لديها وقت أبداً لترى من قبل، ناهيك عن أن تستمتع به. استغرقت وقتاً طويلاً حتى تقطع علاقتها باللون الأزرق، ثم الأصفر، ثم الأخضر. وقطعت شوطاً مع القرنفلي حين ماتت. لا أعتقد أنها كانت تريد أن تصل إلى الأحمر وأفهم لماذا لأنني أنا ومحبوبة تفوقنا على أنفسنا فيه »[3] فهو لون يخافه الجميع؛ لون لون مرتبط دائماً بالعذاب وبالموت.

فاللون عند موريسون له دلالة في كل شيء، وكيف لا يكون ذلك وهو (اللون) بداية المأساة التي يعيشها السود وسبب تهجيرهم وتشريدهم وقتلهم واضطهادهم، وكل ذلك بسبب لون بشرتهم الضارب إلى السواد القاتم.

- **الطبيعة:** ومن اللون تذهب الكاتبة في رواياتها إلى توظيف الطبيعة؛ وعندما نقول الطبيعة فإننا نقصد هنا الطبيعة الإفريقية بما فيها من فصول وحيوان ونبات وأشجار. فالكاتبة حين تتكلم في رواياتها عن واشنطن أو أوهايو أو غيرهما من الأماكن الأمريكية التي يسكنها السود فهي تضع إفريقيا نصب عينيها، لأنهما في نظرها شيء واحد وهما امتداد للوطن الأم إفريقيا « أرض الأجداد، الذين اقتلعوا من جذورهم، ونقلوا قسراً إلى أمريكا وأُهدِرت كرامتُهم الإنسانية،

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 23.
(2) – المصدر نفسه، ص 24.
(3) – نفسه، ص 343.

وبيعوا عبيداً في سوق النخاسة »[1]، ويعبر إيمي سيزر عن هذه الحقيقة على لسان الملك كريستوف: « إفريقيا أيتها البائسة، أردت أن أقول هايتي أيتها البائسة، مع العلم أنهما الشيء نفسه»[2] فموريسون تستحضر الطبيعة الإفريقية في بداية الرواية من خلال فصل الخريف وأزهار القطيفة التي تنمو فيه « لم تنم أزهار القطيفة في خريف 1941 »[3]، ثم إلى أُلفة الأسرة وسعادتها ولعبها مع الحيوانات الأليفة« انظر إلى القطة، إنها تظلّ تموء "مؤْ مؤْ" تعالي والعبي مع جين. (...) انظر إلى الكلب. إنه يعوي "عوْ عوْ" هل تريد أن تلعب مع جين »[4]. الكل سعيد بما يحيط به. في بيت قديم بارد يعكس معاناة كلوديا وأسرتها حيث « يلفّ الظلام الغرف الأخرى المسكونة بالصراصير والفئران »[5] ما يجعل الجميع يجتمعون في غرفة واحدة كبيرة يضيئها مصباح الكيروسين.

والطبيعة حاضرة أيضاً في علاج الأمراض « بالنقوع وزيت الخروع »[6]، وهو أمر يعتمد عليه الإفريقي في حياته اليومية. لما يحيط به من حدائق وأشجار « بيضاء الزهر حمراء الثمر»[7]. وتوظف موريسون الطبيعة حتى في تشبيه البشر « أنت عارية الرجلين مثل كلب زرائب »[8]، وفي التعبير عن رائحة البشر « عندما وصل السيد هنري، في ليلة أحد، شممنا رائحة. كانت تفوح منه رائحة رائعة مثل رائحة الشجر وكريم الليمون، وشامبو الشعر »[9].وعن المأساة التي يعيشها الآباء من أجل أولادهم « وجه أبي يستحقّ الدراسة. يزحف إليه الشتاء ويتصدّره. تصبح عيناه جرفاً من الثلج ينذر بكتلة جليدية ضخمة. ينثني حاجباه مثل فروع كبيرة سوداء في أشجار عارية من الأوراق. يتخذ جلده لون شمس الشتاء الأصفر، الباهت الكئيب. فكه

(1) - إيمي سيزير، مأساة الملك كريستوف، ص 9.
(2) - المرجع نفسه، ص 9.
(3) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 6.
(4) – المصدر نفسه، ص 5.
(5) - نفسه، ص 8.
(6) – نفسه، ص 8.
(7) - نفسه، ص 9.
(8) – نفسه، ص 43.
(9) - نفسه، ص 12.

مثل حافة حقل محاصر بالثلج منقّط بالقش. جبينه العالي مثل تيار متجعد في بحيرة "أيري" »[1] تدفق منتظم لسيل جارف من التشبيهات المستوحاة من الطبيعة الإفريقية، ولوحة فنية رائعة، غنية، تحمل في كنهها الكثير من أسرار الرجل الإفريقي. الذي يختلف حينما تبدو عليه ملامح الراحة والسعادة، الواضحتين في شخصية "مورين بيل" الفتاة التي « كانت هناك لُمعة من الربيع في عينيها ذات الاخضرار الغامق، وشيء صيفي في بشرتها، ونضوج خريفي ثريٌ في مشيتها »[2] فتاة في شكل فصول الطبيعة الأربعة.

وتواصل صاحبة نوبل توظيف مكونات الطبيعة في رواية محبوبة التي كان فيها « الشتاء في أوهايو قاسياً بوجه خاص إذا كان لديك عشق للألوان. كانت السماء وحدها هي الدراما المليئة بالأحداث»[3]، وحين تمطر تهبط « الثعابين من أشجار الصنوبر والشوكران
القصيرة الأوراق »[4] فإنك عندها « إذا قضيت الليل هنا قضى عليك ثعبان »[5]. وإذا أمطرت ثانية « مالت أشجار السرو والحور الأصفر والدردار. والنخل القصير تحت خمسة أيام من المطر بدون ريح. في اليوم الثامن لم يكن اليمام في مرمى البصر في أي مكان، وفي اليوم التاسع اختفت حتى حيوانات السمندر»[6]. وتسترسل موريسون في توظيف أشجار الطبيعة « من أشجار أشجار قرانيا إلى أشجار خوخ مزهرة. وعندما تباعدت اتجه إلى زهور الكرز، ثم الماجنوليا، (...) وأشجار الجوز الأمريكي، وأشجار الجوز والتين الشوكي »[7] حقل طويل من الأشجار تأتي على ذكره الكاتبة لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة الزنجية الإفريقية.

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 51.
(2) – المصدر نفسه، ص 52.
(3) - توني موريسون، محبوبة، ص 24.
(4) – المصدر نفسه، ص 200.
(5) – نفسه، ص 76.
(6) – نفسه، ص 200- 201.
(7) - نفسه، ص 206.

- **الخرافة (السحر والأشباح) وطقوس الموت:**

الأسطورة والخرافة والسحر والأشباح والأرواح واستحضار الآلهة من المعتقدات التي لا تغيب عن المجتمع الزنجي، ولا يمكنه العيش من دونها. فهي موجودة حاضرة في وجود الإنسان الإفريقي، وقد جسّدت الكاتبة ذلك في رواياتها، لتأثرها بالحياة الإفريقية التي تنحدر منها وتعود في أصلها إليها.

وقد بدأت موريسون روايتها العين الأكثر زرقة بمعتقد خرافي يُفسّر ويُرجع عدم نمو أزهار القطيفة، التي تنمو في فصل الخريف في أمريكا إلى الخطيئة التي ارتُكبت بين بيكولا وأبيها «واعتقدنا، وقتها، أنها لم تنم لأن "بيكولا" كانت حبلى بطفل أبيها »[1] ولا مجال لنموها إلا بالتعاويذ و« باستخدام السحر. إذا غرسنا البذور، وقرأنا عليها الكلمات المناسبة، فإنها تُزهر ويكون كل شيء على ما يرام »[2]. لكن لا أزهار نمت ولا بذور نبتت، « ذبلت البذور وماتت، ومات طفلها أيضاً »[3]. وأرجعنا السبب إلى بيكولا وإلى الأرض غير الطيبة.وتواصل الكاتبة في توظيف التنبؤات والمعتقد الذي نبّأ "كلوديا" بعدد الشبان الذين ستعرفهم، « بدأت أركز تفكيري على عدد البقع البيضاء في أظافر أصابعي. دلّ مجموعها على عدد الأصدقاء الشبان الذين سأعرفهم ! سبعة »[4]. تنبؤ خرافي من التنبؤات الإفريقية التي تعمد موريسون إلى توظيفه. إلى جانب السحر والصلاة. فقد كانت بيكولا تصلي كل ليلة من أجل امتلاك عيون زرقاء تجعلها جميلة كمثيلاتها من البنات البيض. « في كل ليلة كانت تصلي، بانتظام، من أجل عيون زرقاء. لسنة كاملة ظلت تصلي بحرارة. (...) لن تعرف أبداً جمالها بعد أن تملّكها اعتقاد راسخ بأن معجزة فقط ستنقذها »[5]. وهي السحر والصلاة، وتقديم القرابين « يجب أن نقدم قرباناً، يعني

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 6.
(2) - المصدر نفسه، ص 6
(3) - نفسه، ص 6
(4) - نفسه، ص 23.
(5) - نفسه، ص 39.

اتصال ما مع الطبيعة. قد يكون مخلوق بسيط هو الأداة التي سيتكلم من خلالها الله. "لنر"»[1]. فالقرابين شيء ممجد واعتقاد ضروري ومحتوم في تحقيق المعجزات.

ثم إن اللجوء إلى الكهان والرهبان من الأمور التي لا تغيب عن المجتمع الزنجي، فرغبة بيكولا في امتلاك عيون زرقاء، كان لابد لتحقيق هذه المعجزة من اللجوء إلى الكاهن "سوفيد" الذي لم يتوان في كتابة كتابه إلى إله الطبيعة ليحقق أمنية بيكولا. « للذي شرّف الطبيعة البشرية شرفاً عظيماً بخلقه لها. إلهي العزيز »[2]. هكذا بدأ الكاهن رسالته إلى الإله ليبرر فعلته في منح بيكولا عيوناً زرقاء. تلك العيون التي كان الضرر فيها شاملاً، وكانت سبباً في اختلال عقل بيكولا التي قضت أيامها « في مكان ما في ذلك البيت الرمادي الصغير الواقع في أطراف المدينة، الذي انتقلت إليه هي وأمها »[3]. بعيداً عن الآخرين.

وفي الرواية الأشباح تصاحب الزنوج في كل مكان، وتحضر معها أرواح الآلهة والأجداد، لأنهم في اعتقادهم لا يموتون « إن عقلكِ محمّل بالأشباح. وحيثما نظرتِ تجدين شبحاً. أنت تعرف مثلما أعرف أن من يموتون ميتة سيئة لا يبقون في الأرض »[4]، فالأرواح حاضرة دوماً. ولما « قطع رجل أبيض رأس زوجته ودفنها في مستنقع، (...) خرج الجسم المقطوع الرأس في الليل، وأخذ يتعثر هنا وهناك، ويتخبط لأنه لا يستطيع أن يُرى، صارخاً
طوال الوقت من أجل قبر »[5] جسم من دون رأس في هيئة شبح أسطوري مخيف. وتصور توني موريسون الإله في نظر "كولي" على أنه « رجل عجوز أبيض لطيف، بشعر أبيض طويل، ولحية بيضاء متدلية، وعينين زرقاوين تحزنان حين يموت الناس ويشعر بالخجل حين يكونون سيئين»[6]. إله خرافي له علاقة بالمعتقد الإفريقي الذي يمجد الآلهة ويجعلها حاضرة في كل المناسبات. كحضور الأشباح في المنازل تنثر الأشياء وتكسرها، وتنذر بأن حدثاً ما قد حدث، فما

(1)– توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 147.
(2) - المصدر نفسه، ص 149.
(3) – نفسه، ص 173.
(4) - توني موريسون، محبوبة، ص 321.
(5) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 111.
(6) – المصدر نفسه، ص 112.

« أن تناثرت إحدى المرايا شظايا بمجرد النظر إليها (...) وما أن ظهرت بصمات يدين دقيقتين في الكعكة»[1]. حتى دلّ ذلك على الخطر المحدق بالبيت أن هناك شبحاً ما، فقالت سيث: «معنا شبح هنا »[2] وهو شبح الطفلة محبوبة، وبعدها « تحرّك الخوان خطوة إلى الأمام ولم يحدث أي شيء آخر »[3] وبدأ الشبح ينفث سحراً قوياً.

فالأشباح سبب في هجرة سيث وابنتها من بيتهما لأنه « أمر صعب بالنسبة لفتاة صغيرة تعيش في بيت تسكنه الأشباح. لا يمكن أن يكون هذا سهلاً »[4]. والأمر نفسه بالنسبة للأرواح التي لا تكاد تفارق حياة الزنوج في بيوتهم وحقولهم، « فليس في البلد بيت لا يمتلئ حتى عوارض سقفه الخشبية بحزن زنجي ميّت. نحن سعداء الحظ أن هذا شبح طفل. ماذا لو كانت روح زوجي، أو زوجك. هي التي عادت إلى هنا؟ »[5] فإن الأمر سيكون أكثر تعقيداً. وأن «سكن «سكن الأشباح للبيت حدث بفعل شرير يبحث عن المزيد »[6]. فالأشباح هم الشر، وهم من يقلقون سيث ودنفر. « لقد عادت ابنة سيث الميتة، التي ذُبحت، لتنتقم منها »[7]. و عاش شبح محبوبة مع سيث يثير لها الأرق والمتاعب « إنها تقيم هناك. تنام، تأكل، وتثير المتاعب. وتسوّط سيث كل يوم »[8]. لتتحمل سيث وزر فعلتها في ذبح ابنتها.

وتؤكد توني موريسون في العديد من المرات على مكانة السحر في المجتمع الإفريقي الذي لا يمكنه الاستغناء عنه حتى في العلاج « ثم فعلت فعل السحر: رفعت قدمي سيث وساقيها ودلكتهما حتى بكت دموعاً ملحية »[9]. في محاولة لعلاجها من مرض في قدميها.

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 23.
(2) – المصدر نفسه، ص 41.
(3) – نفسه، ص 25.
(4) – نفسه، ص 44.
(5) – نفسه، ص 27.
(6) – نفسه، ص 82.
(7) – نفسه، ص 426.
(8) – نفسه، ص 427.
(9) – نفسه، ص 78.

وقدمت الكاتبة نماذج أخرى عن المعتقدات التي كانت سبباً في بقاء دنفر على قيد الحياة، إذ أن بول .د « يعتقد أن التوت (الذي أشعل شرارة الوليمة وتقطيع الأخشاب الذي تلاه) هو السبب في أن دنفر ما تزال على قيد الحياة»[1]. فوجود التوت سبب في استمرار الحياة.

وفي الرواية تستحضر الكاتبة قراءة الإنجيل على الموتى والمرضى وهو أمر لا بد منه في المجتمع الزنجي، فقد تجاهلت العمة "جيمي" في مرضها كل النصائح التي قُدّمت لها «ماعدا قراءة الإنجيل من قبل الآنسة أليس. كانت تومئ برأسها بإعجاب وهي نعسانة »[2] إلى أن أن جاءت "مادير" المرأة القابلة القديرة الخبيرة بتشخيص الأمراض مصحوبة بالعصا السحرية «عصاها الجوزية ليس للاستناد إليها فقط، وإنما للاتصال أيضاً كانت تنقر بها على الأرض بخفة وهي تنظر إلى وجه العمة جيمي المتغضن »[3] لتكشف عن مرضها بواسطة العصا السحرية.

وللموت في المجتمع الزنجي طقوس وعادات تُتّبع قبل الدفن، كالتنظيف وخياطة الثوب لمقابلة اليسوع بعد الموت.كما كان الحال بالنسبة لجنازة الخالة"جيمي" التي كانت الجنازة الأولى في البيت الذي يقيم فيه "كولي" الذي كان محط اهتمام كبير باعتباره آخر شخص أحبّته جيمي. وبدأت الترتيبات لتحضير الجنازة حيث « نظّفت السيدات البيت، وعرّضن كل شيء للهواء الطلق، وأعلمن كل شخص، وقمن معاً بخياطة ما يشبه ثوب زفاف أبيض لعمة كولي، كسيدة عذراء، لتلبسه عندما تقابل يسوع»[4]، وهي طقوس اتبعتها عائلة جيمي كغيرها من عائلات زنوج أمريكا.

وتسترسل الكاتبة توني موريسون في إظهار وعرض طقوس الموت وتنبؤاته عند الزنوج من خلال الخيوط السوداء التي طلبتها جيمي قبل يوم من وفاتها « وطلبت مني أن أجلب لها بعض الخيوط السوداء لترقع ملابس الولد. كان ينبغي أن أعرف أن طلبها خيوطاً سوداء كان علامة»[5] علامة»[5] على أنها أحست بدنو أجلها تماماً « مثل "آمًّا" بالضبط. ألحّت في طلب الخيوط.

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 291.
(2) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 113.
(3) - المصدر نفسه، ص 114.
(4) - نفسه، ص 117.
(5) - نفسه، ص 118.

وسقطت ميتة ذلك المساء. نعم، لقد كانت مُصمّمة على أخذها »[1]، فطلب الخيوط السوداء والإلحاح في طلبها،له دلالة على قرب الأجل. وهو اعتقاد راسخ في أذهانهم، وعادة قائمة في حياتهم.

وتنتقل موريسون إلى الحديث عن تكاليف الدفن التي لم تكن رخيصة بالنسبة للسود، فقد بلغت تكاليف دفن "جيمي" « خمساً وثمانين دولاراً، كما سمعت. (...) عندما مات أبي السنة الماضية، (...) كلف الدفن مائة وخمسين دولاراً (...) والآن على أهل جيمي أن يساهموا بالدفن، فمتعهد دفن السود غير رخيص أبداً »[2] بعكس دفن البيض، فدفنهم غير مكلف.

ومن الدفن والعزاء إلى إعداد الوليمة التي «ستكون وليمة كبيرة. كل الناس كانوا يحبون العجوز جيمي. وسيفتقدونها بالتأكيد »[3] والوليمة طعام يقام للميت من أجل إكرامه والترحم عليه، وتقام في الكنيسة بعد مراسيم الدفن والعزاء وإلقاء النظرة الأخيرة على الميت، كانت الوليمة « مثل دراما في الهواء الطلق، تنساب بعفوية رقيقة إلى زوايا بناء فخم. كانت الميتة هي البطل التراجيدي، والناجون هم الضحايا الأبرياء (...) وهكذا كانت الوليمة هي الجذل، والانسجام والتسليم بهشاشة الجسد، والسعادة بانتهاء البؤس. الضحك، والراحة، والنهم للطعام»[4]. قبل أن يتفرق الجميع في جو من الزعيق والصراخ المختلط بالدموع. إلى اليوم الذي توزع فيه ممتلكات الميت، وهو «يوم إخلاء محتويات البيت، وتسوية الحسابات، وتوزيع ممتلكات العمة جيمي»[5] التي رحلت عن كولي إلى الأبد ليتولى رعايته أخو جيمي.

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 118.
(2) - المصدر نفسه، ص 119.
(3) – نفسه، ص 120.
(4) – نفسه،ص 120.
(5) – نفسه، ص 126.

وقدمت الكاتبة أيضاً في رواية محبوبة صورة عن مراسيم تشييع الجنائز عند السود وطقوس الموت والدفن والعزاء، فعندما ماتت بيبي سجز أقيمت مراسيم الدفن و« الصلاة العامة التي ترأسها الكاهن بايك (...) وتليت التراتيل التي رتلها الآخرون من أعماق قلوبهم »[1]، و« دفنت بيبي سجز بجوار الطفلة المذبوحة »[2] وأقيم العزاء في الفناء وأُكِل الطعام طعام الوليمة، وهكذا « دُفنت بيبي سجز التقية، بعد أن كرّست حياتها المحررة لتحقيق الانسجام »[3]. تماماً كما حدث مع العمة "جيمي". المرأة الصالحة.

3. رفض العبودية ومحاربة العنصر الأبيض:

إن ما مرّ به إنسان القارة السمراء، وما عاناه عبر عصور طويلة من اضطهاد الإنسان الأبيض له، ومن التمييز العرقي، الذي حولهم رقيقاً وعبيداً يبيعهم ويشتري، ويملك حق التصرف. كل هذا جعل الإنسان الأسود يرفض ويحارب تلك العبودية وذاك القهر والاضطهاد، إلى أن بانت بارقة الأمل في أمريكا، لما أطلق الرئيس أبراهام لنكولن مبدأ تحرير الرقيق سنة 1863.

وفي روايات موريسون نجد هذا الرفض يتضح جلياً من خلال المواضيع الاجتماعية التي تطرحها في هجمة صارخة «على التقاليد الاجتماعية والمفاهيم التي ترسخت في المجتمع حول قيم الجمال والحب والحياة، ونقد للمجتمع الأمريكي الأبيض التوجه في نظرته للسود وكيفية تعامله العنصري معهم»[4]. وقد نهجت موريسون في ذلك نهج والدتها التي وقفت ضد العنصرية بقوة وكانت تكاتب الرئيس الأمريكي روزفلت بشأن أوضاع السود ليمنحهم حقوقهم. بالرغم من أن موريسون تُقرّ بأن معظم الحضارات قامت على استغلال الطاقة البشرية العاملة، « بالتأكيد أن جميع الحضارات عبر التاريخ، اليونانية، الرومانية، الفرعونية وغيرها قامت على استغلال الطاقة

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 292.
(2) - المصدر نفسه، ص 292.
(3) - نفسه، ص 292.
(4) - لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، ص 3.

العاملة واستعباد العمال، ولكن الشيء اللامعقول الذي حصل في أمريكا هو هذا الربط الجائر ما بين العرق والعبودية»[1]. وتقصد موريسون بالعرق هنا العنصر الأسود.

ففي رواية العين الزرقاء تقدم موريسون نماذج عن محاربة العنصر الأبيض ورفضه من طرف السود« سنضربها ونترك ندوباً حمراء فوق جلدها الأبيض »[2] ونرضي كبرياءنا. «مكافحين لبث القوة في ضعفنا حتى نستمر »[3] بهذا القول تعبر موريسون عن رفض العنصر الأبيض. وقد عمل السود على المواجهة بهدف التأقلم في المجتمع الأمريكي بشكل بنّاء، رفضوا الخضوع كما أنهم رفضوا الانغلاق.

وفي رواية محبوبة نجد القضية نفسها في نبذ العنصر الأسود للعنصر الأبيض، الذي أخذ منه كل شيء « تلك الأشياء البيضاء قد أخذت كل ما كان لدي أو حلمت به وقطّعت نياط قلبي أيضاً. ليس هناك حظ سيء في العالم سوى البيض »[4]. وكأنهم نقمة أو عذاب يأتي على الأخضر واليابس.

وهذا ما صرّحت به بيبي سجز في آخر أيامها حينما أعلنت لـ دنفر وسيث عن الدرس الذي تعلّمته من ستين سنة قضتها عبدة في أيدي البيض، وعشر سنين طليقة « ليس في الدنيا حظ سيء غير البيض »[5] وكأنه قدرهم المحتوم، ومصيرهم الذي لا مهرب منه.

وتقدم موريسون صورة عن رفض السود للعنصر الأبيض في شخصية سيث لمّا أقدمت على ذبح ابنتها محبوبة حتى لا تعيش المأساة نفسها، ما دامت على قيد الحياة. فإن ما حدث لها « كان لا يمكنها أن تدعه يحدث لأطفالها أبداً. إن أفضل ما فيها هو أطفالها. قد يوسخها البيض تماماً، لكن ليس أفضل شيء لديها (...) قد تضطر هي إلى العمل في السلخانة، لكن ابنتها لا (...) فقد رفضت سيث، وكانت ما تزال ترفض »[6]. صورة واضحة للرفض وللهروب من الواقع

(1) - جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، ص 1.
(2) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 7.
(3) - المصدر نفسه، ص 14.
(4) - توني موريسون، محبوبة، ص 166.
(5) - المصدر نفسه، ص 191.
(6) - نفسه، ص 419.

المرير الذي يهيمن عليه البيض.ومن شرّ العبودية والفقر.« كيف أنني إذا لم أقتلها لماتت وهو شيء لم أكن أحتمل أن يحدث لها »[1]. تقتل ابنتها حباً لها ورفضا للعبودية.

إن ما قدمته موريسون في رواياتها من صور لأم تبيع أو تقتل أولادها لتجنبهم شر العبودية والفقر، ومن صور العنف والشجار بين السود والبيض. ما هو إلا تعرية لمجتمع قاسٍ، ومحاربة لواقع مرير يعيشه المجتمع الأفرو–أمريكي الذي سيطرت عليه عقدة اللون (العرق) والجنس، وهو في حد ذاته عرض لحقائق طال إخفاؤها في المجتمع الأمريكي. الذي يعاني فيه الزنوج عامة والمرأة السوداء خاصة. إذ عانت الأمرّين وصارت جرحاً لا يندمل، فحقيقة « أن تكوني امرأة في هذا المكان يعني أن تكوني جرحاً لا يندمل. حتى لو لم يكن هناك ندب، فالوجع يمتد إلى الأعماق»[2]. وهو ما حدث لـ "بيكولا" و "سيث" وغيرهما من الشخصيات التي دارت حولها أحداث الرواية.

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 342.
(2) - جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، ص 2.

الفصل الرابع

الملامح الفنية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة"

I- بنية الزمن الروائي

II- بنية المكان الروائي

III- التقنيات المستخدمة في لغة الحوار

1- لغة الحوار

2- بناء الحوار الروائي

3- تعدد الشخصيات

4- تعدد الأصوات

5- تعدد الضمائر

I- بنية الزمن الروائي:

التعريف اللغوي للزمن:

جاء في لسان العرب لابن منظورفي المجلد الثالث عشر (13) في باب النونجذر (زمن) تعريف الزمن كالتالي:

(زمن): الزّمنُ والزمانُ اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم الزّمن والزّمان العصر، والجمع أزْمن وأزمان وأزمنة.

والاسم من ذلك: الزُّمنُ والزُّمنةُ. وأزمن بالمكان أقام به زماناً.

والزمان يقع على الفصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما شابهه.

وفي الحديث قال ﷺ لعجوز تخفّى بها في السؤال وقال: (كانت تأتينا أزمان خديجة أراد حياتها)[1].

ويُعرّفه جرجي شاهين عطية في معجمه المعتمد على أنه: الزمان: « الوقت وهو اسم يطلق على القيل والكثير. والجمع أزمنة وأزمان.

والزمن: الزمان، وهو مخفف عنه، والجمع أزمن وأزمان»[2].

الزمن في الرواية:

إن الزمن الروائي هو تلك اللحظاتوالأوقات التي تدور فيها أحداث الرواية، وتتحكم فيها، حيث لا يمكن للأحداث الخروج عن اللحظة أو التوقيت الذي حُصرت ووضعت فيه. وبالزمن تتضح دلالة الحدث وقيمته وهدفه.ذلك أن الزمن هو الذي يقوم بربط الأحداث فيما بينها ومع بعضها البعض، لتشكل لحمة سردية روائية في إطارها الزمني الذي وضعت فيه.

(1) – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج13، (كلمة زمن)، ص 199.

(2) – جرجي شاهين عطية، المعتمد، قاموس عربي - عربي، دار صادر بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 249.

وإذا كانت الرواية تشترك وتتداخل مع كل من الحكاية في توظيف التراث الشعبي في عملية السرد، ومع الأسطورة في سرد أحداث من شأنها أن تمثل الحقيقة، وتعكس واقع الإنسان الذي يعيشه[1]، فإنها لا شك (الرواية) تعتمد على توظيف الزمن في سرد الأحداث والوقائع، ذلك لأن كلاً من الحكاية والأسطورة تقومان على توظيف الزمن في سرد أحداثهما، وفي ربط الوقائع التي تجسدها شخصيات الرواية. فالسرد مرهون ومقرون بالزمن ولا يمكن أن يكون السرد أو القص خارج الزمن. وهو الشيء نفسه بالنسبة للرواية وعلاقتها بالزمن الذي لا يمكنها الاستغناء عنه، كما لا يمكنها أن تكون خارجه، بل « إن الرواية هي فن الزمن؛ مثلها مثل الموسيقى؛ وذلك بالقياس إلى فنون الحيز كالرسم والنقش». ويتغير الزمن في الرواية بتغير الأحداث فهو الذي يجُرّ الأحداث فيُسرّعها أو يُبطئها ويُبعدها أو يُقربها، على حسب توظيف الكاتب له، وعلى حسب الحدث المراد ذكره.

وبالتالي فإن الزّمن يلعب دوراً هاماً في سرد وقائع الرواية وعرض أحداثها، سواء كانت أحداث الرواية حقيقية أو خيالية فإن الكاتب يحتاج بكل ضرورة لتوظيف الزمن حتى يتمكن من وضع الأحداث موضعها، وفي إطارها الزمني، ويوصل فكرة موضوعه للقارئ دونما أي مشكل، و الهدف الذي يرمي إليه الكُتاب في رواياتهم.ومن هنا كان الاهتمام بالزمن أمراًحتمياً في القصة والرواية. بل إن « الاهتمام بالزمن يبتدئ في كل فن... في إيقاعات الجاز القلقة... في بحث الشعراء عن إيقاعات أكثر حرية »[2]، ولما كان الأدب بمختلف أجناسه هو فن من تلك الفنون، كان لابُدّ عليه أن يهتم بالزمن ومجالات استعماله في كل جنس أدبي كما هو عليه الحال في الرواية. إذ كان « هذا الاهتمام بالزمن أشدّ ما نلمسه في الروايات التي تظل مع التوجه الصحيح أكثر الأشكال الأدبية مرونة وأشدها إثارة »[3]. وربما أكثرها استعمالاً للزمن. ومن ثَمّ كان الاهتمام بالزمن في الرواية أمراً لابد منه.

(1) - ينظر : في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، المجلس الوطني للثقافة والنشر، الكويت، ديسمبر 1998، ص11، 12.
(2) - قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي، ماجستير، جامعة باتنة، 2012، ص 13.
(3) – المرجع نفسه، ص 13.

ونلحظ ذلك مثلاً عند كاتبتنا توني موريسون، حينما وظّفت الزّمن في روايتيها محبوبة والعين الأكثر زرقة، فقد أعطت –برغم حقيقة القصتين– للروايتين زمناً خيالياً تدور فيه الأحداث. وربطت الأزمنة بحقب تاريخية كان لها تأثيراً كبيراًفي حبك أحداث الروايتين وفي تطور شخصياتهما. إذ نجدها في روايتها محبوبة بدأت بالفترة الزمنية 1873 وهو الزمن الذي جاء قبل زمن تحرير العبيد، وهو زمن من أزمنة تهجيرهم، وهو أيضاً الزمن الذي كان يبحث فيه الزنوج عن حياة مستقرة، فكانت وجهتهم إلى الشمال نازحين وهاربين من الجنوب، في زمن استحالت فيه إمكانية العيش في الجنوب، بسبب انتهاكات البيض لحقوق السود. فكانت هذه الفترة التي وضعتها موريسون بمثابة الحيز الزمني الذي يؤطّر لهذه الأحداث والوقائع التي جرت في الرواية.

وقد بدأتها بقولها: « ولكن ما أن حل 1873 حتى كانت سيث وابنتها دنفر ضحيتيه الوحيدتين»[1] وهو زمن القص الذي اتخذته موريسون كإطار زمني للرواية، وهناك زمن الهروب، ويمثل الزمن الذي هرب فيه ابنا سيث بعدما حلت الأشباح بالبيت رقم 124

« ولم ينتظرا فترة من فترات الفرج: الأسابيع، بل الشهور، هرب كل منهما في الحال (...) خلال شهرين في عزّ الشتاء »[2]. وقد « كان الشتاء في أوهايو قاسياً »[3]. وهناك زمن الكتابة الذي نُقِشت فيه الحروف الستة على شاهد قبر محبوبة « عشر دقائق لنقش ستة حروف. هل كان يمكنها في عشر دقائق أخرى أن تضيف كلمة "الغالية"؟ كان ممكنا أن ينقش على شاهد قبر طفلتها في خلال عشرين دقيقة، أو لنقل نصف ساعة »[4]. وتدرج موريسون أيضاً الزمن الذي عاشته "سيث" أثناء ذبحها لابنتها إذ « لم يكن لزاماً عليها فحسب أن تعيش عمرها في بيت يرتجف بغضب الطفلة لذبحها، لكن تلك الدقائق العشر التي قضتها ملتصقة بالحجر (...) كانت أطول من الحياة»[5]. وتضيف موريسون لهذه الأزمنة المدة الزمنية التي افترقت فيها "سيث" عن

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 23.
(2) - المصدر نفسه، ص 23.
(3)- نفسه، ص 24.
(4) - نفسه، ص 26.
(5) – نفسه، ص27.

بول. د، والتي كانت مدتها« ثماني عشرة سنة »[1]. هي أزمنة وظفتها موريسون كوعاء لأحداث الرواية.

من هنا نلاحظ أن موريسون وضعت إطاراً زمنياً حصرت فيه بدايات أحداث الرواية.هذا الزمن المقصود الذي استعملته الكاتبة مكّنها من إضافة عدة عناصر وأحداث مختلفة للرواية، تنتمي لذاك الزمن الذي حدثت فيه.فهي بذلك تُوسّع رقعتها ومجالها الروائي الذي تدور فيه الأحداث الرئيسية، والتي تمثل لب الموضوع. إذ لابد على الكاتب أن يلم بكل تلك الأحداث التي جرت أو تنتمي لتلك الفترة الزمنية، لغرض إدراجها في محتويات القص والحكي. فالزمن الذي جاء قبل زمن تحرير العبيد أحداثه الخاصة به والتي جرت فيه، وهو زمن مليء بالمعاناة والمأساة والقتل والتشريد بل إن العبودية كانت لا تزال في أوجّها وفي أعلى درجاتها. وهذا ما تريده الكاتبة وتريد أن يتفطن إليه القارئ، وهو أيضا الهدف الأسمى من هذا كله؛ وهو عرض وكشف الحقائق التي عاشها الزنوج خلال تلك الفترة الزمنية المُظلمة. وتعريّة المجتمع الأبيض الذي عاث في الأرض فساداً يقتل الرجال ويغتصب النساء.

وتنتهج صاحبة نوبل النهج نفسه في روايتها العين الأكثر زرقة، في تحديدها للإطار الزمني الذي بدأت فيه أحداث القصة، التي هي في أصلها قصة حقيقية، تعترف بها موريسون وهي « إسقاط على ما واجهته موريسون نفسها حين أفضت زميلة لها بالمدرسة عن نفس الحلم، أن تصبح بعيون زرقاء، مما أصابها وهي في الثانية عشرة من عمرها بصدمة الإحساس الغريب بكراهية الذات، تذكرته قائلة: أردت معرفة كيف وصلت الفتاة إلى ذلك المدى ؟»[2]، ومع ذلك فقد أصبغتها موريسون بزمن خيالي يكون كإطار زمني تدور فيه أحداث الرواية، فكان زمن السرد الذي بدأت به الرواية هو خريف 1941، « لم تنم أزهار القطيفة في خريف 1941»[3]. وهو زمن مفتعل لتوضح به موريسون حجم المعاناة التي كان يعانيها الزنوج في تلك الفترة التي وصفتها بعام

(1) –توني موريسون، محبوبة، ص 30.
(2) –إيما بروكز، توني موريسون لا تشعر بالذنب اتجاه أي شيء، ص 2.
(3) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 6.

الجدب والقحط، إذ لم تنم وقتها أية زهرة من أزهار ذاك الفصل. هو زمن انطلقت منه توني لتحاكم المأساة والمعاناة التي عانى منها العالم بصفة عامة وعانى منها الزنوج بصفة خاصة؛ وهو عام الحرب العالمية الثانية. الزمن الذي ازداد فيه الزنوج تشرداً وبؤساً ومعاناة. حيث جُنّد منهم الكثير وقدمتهم تلك المستعمرات فداء في الحروب تقيم عليهم التجارب وتقيس بهم درجة التحمل والصبر والجلد. كما بيع الكثير منهم مقابل الأراضي والممتلكات والمستعمرات.

إن تتابع الأحداث في الرواية أو عدم تتابعها يخضع لزمن القص الذي تُروى فيه قصة الرواية، ذلك لأن أيّ عمل سردي لا بدّ أن يتوفر على عنصرين هامين، هما الزمان و المكان، و خاصة الرواية، إذ يؤديان دوراً هاماً وفعالاً، لأنّ أيّ عمل سردي عبارة عن نقل لأحداث و تصوير لشخصيات، و لا يتأتّى هذا إلاّ بوجود هذين العنصرين المتفاعلين المشكلين بنيتين تشاركان أبنية أخرى في تحقيق إمكانيات الرواية[1].

وقد اعتمدت توني في رواياتها كغيرها من الروائيين على استعمال الزمن الذي يشمل الإنسان، إذ أن« الإنسان في حقيقته كائن زماني، وأن الزمن جزء من وجوده وأفعاله»[2] وبالتالي لا يمكن الاستغناء عنه والكتابة خارجه. والزمن يختلف من رواية إلى أخرى، على حسب معالجة القضية. فلكل قص روائي زمن خاص به، ففي روايتها محبوبة تبدأ موريسون بتحديد زمن الرواية « ولكن ما أن حل 1873 حتى كانت سيث وابنتها دنفر ضحيتيه الوحيدتين»[3] فهو الزمن الذي اتخذته توني كوعاء يحتوي الرواية، وفي قولها: « ولم يكن بول.د قد ارتجف منذ 1856»[4]. ونلمس ذلك أيضاً في روايتها العين الأكثر زرقة في تحديد زمن القص « لم تنم أزهار القطيفة في خريف 1941» **ص6**، « كان خريفاً أيضاً عندما أتى السيد هنري» **ص10**« يزحف إليه الشتاء و يتصدّره» **ص93**« بعد شهور من عملها، وجدت عملاً ثابتاً» **ص51** « عندما انتهت الحرب» **ص98**

(1) - ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، د، ط، 1994 م.)، ص: 116.
(2) – قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي، ص 8.
(3) – توني موريسون، محبوبة، ص 23.
(4) – المصدر نفسه، ص 50.

«يبدو أن الوقت الوحيد الذي كنت أحس فيه بالسعادة هو وقت ذهابي إلى السينما» ص**101**« بين فترة وأخرى »ص**145** « تترك صبية وحيدة كل هذا الوقت الطويل » ص**152**.

إن الاعتماد على الزمن له تأثير مباشر على البناء العام للرواية، إذ أن الزمن هو الذي يقدم فيه السارد رؤيته في سياق جديد، ويجعله متحكما في الأزمنة التي يستعملها في الرواية، وينتقل بالزمن من حدث إلى آخر ومن رؤية إلى أخرى، في تناسق للسرد مع الزمن التاريخي، الذي يكسب الرواية قيمتها الفنية الأدبية. كما «أن تقنية الزمن هي من أدق التقنيات التي تؤثر مباشرة في البنية العامة للرواية وهي التي تحكم الأزمنة المتغيرة في نطاق رؤية الراوي العامة»[1].

وزمن الرواية هو دائماً زمن مزيفلأنه يختلف من بنية سردية إلى أخرى، حيث إن الزمن في الرواية التقليدية خطي لا يعرف التكسر والتجزّؤ، فهو يبدأ من البداية ليصل إلى النهاية، فالسرد فيه تحترم التسلسل الزمني في صورته العادية، في حين تختلف هذه البنية عن البنية السردية في الرواية الجديدة؛ إذ نلقاه لايحترم ذاك التسلسل الزمني. فالزمن في الرواية التقليدية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، ويسير نحو المستقبل. في حين نجد الزمن في الرواية الجديدة يتميز بالتعقيد والعمق، فهو يفاجئنا بانتقاله من زمن لآخر، فقد ينتقل من زمن الحاضر ليعود إلى الماضي ثم المستقبل وذلك فهو يخالف البنية السردية الطبيعية،فيرسم بذلك بناء روائياً منسجماً متكاملاً « لأنه نسج ينشأ عنه سحر، ينشأ عنه عالم، ينشأ عنه وجود، ينشأ عن جمالية سحرية، أو سحرية جمالية .. فهو لحمة الحدث وملح السرد، وصِنو الحيز وقوام الشخصية »[2] ونلاحظ ذلك جلياً في روايات توني موريسون التي تتسم بالسحر الجمالي ولحمة الحدث، يقودك إلى عالم مليء بالأحداث والأسرار.

"بهدوء فالأمر يبقى سراً"، بهذه المقولة تبدأ موريسون روايتها "العين الأكثر زرقة" التي تدور أحداثها في شمال أمريكا، «لم تكن ثمة أي هُنُدباء برية في خريف 1941»[3]، وهو أول زمن سرد

(1) – صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيري الذهبي "الزمان والمكان" ماجستير، كلية الآداب، جامعة البعث، 2010، ص 108.
(2) - صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيري الذهبي "الزمان والمكان"، ص 82.
(3) - ينظر: توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 6.

أدرجته الكاتبة في الرواية، ففي الخريف تنمو أشجار الهندباء البرية في أمريكا، لكنها لم تنم بسبب الطفل الذي ستنجبه بيكولا من أبيها هكذا فسرت موريسون عدم نمو شجيرات الهندباء، بدأت توني بفصل الخريف كزمن لسرد الحكاية للدلالة على المعاناة، ففي الخريف تسقط أوراق الأشجار وتتعرى، وتبدأ الرياح في الهبوب، وتستمرّ فيه الأعاصير وهو مساير للمأساة التي يعيشها السود في أمريكا.

ثم أقرنت صاحبة نوبل فصل الخريف بسنة 1941 ولا شك أنها السنة التي دخلت فيها أمريكا للحرب العالمية الثانية وهذه إشارة إلى الزمن والفترة التي تتعلق بمأساة العالم، وهو تعبير دقيق يلفت انتباه القارئ الحاذق. وهو أسلوب سرد متميز غزير بالمعاني والأفكار التي تعبر عن زخم الأحداث التي تدور حولها الرواية. وقد استعملت موريسون تقنية سرد قائمة على التعبير والخيال الواسع، مع أن أصل الرواية –كما ذكرنا سابقاً– هو حقيقي مأخوذ من الواقع، أسبغت عليه لمستها الخاصة فكانت الأمنية غريبة وتحقيقها من المستحيل، إذ كيف لفتاة قبيحة سوداء أن تملك عيوناً زرقاء. وبطريقة سرد وتقنية قص فريدة من نوعها تتحقق الأمنية بفضل الكاهن الذي يمنح بيكولا بطلة الرواية عيوناً أكثر زرقة لمّا أصابها العمى.

وهو ما قامت به في رواية محبوبة، التي صبغتها بخيال واسع وأزمنة مختلفة، مع أن أصل ونواة الرواية حقيقي، عثرت في إحدى التقارير الصحفية، إلا أن توني أدخلت عليه بعض الأزمنة التاريخية الحقيقية الممزوجة بالخيال، الذي أدرجته تحت أزمنة تاريخية حقيقية« متى قالت إن هال مات؟ 1855 يوم ولدت طفلتي» **ص32**، « كان قد مضى وقت طويل منذ أن جلس إلى مائدتهم» **ص39**، « تمكنت من أن تحتفظ بـ هال أطول فترة. عشرين عاماً. عمر بأكمله أعطوه لها» **ص58**، « وهكذا قضت عاماً كاملاً تقريباً في صحبة أقرانها ومعهم» **ص188**،« المصابيح تضيء نوافذ الطوابق السفلى لبيوت وتجعل الساعات الأولى من المساء تبدو أدكن مما كانت» **ص303**، « كانت الساعة الثالثة عصراً في يوم جمعة رطب وحار » **ص430**. فالزمن موجود في روايات توني، ولا يمكن بأي حال تجاهله، أو إهماله أو إغفاله، لأنه يضع العناصر المُكونة للقص الروائي في

إطارها الزمني الذي يعطيها دلالتها ومغزاها الذي ترمي إليه، فالزمن « هو الشخصية الرئيسية في الرواية المعاصرة بفضل استعمال العودة إلى الماضي وقطع التسلسل الزمني وباقي التكوينات الزمنية التي كانت لها مكانة مرموقة في تكوين السرد وبناء معماره »[1]. فيشكل بفضل ذاك الإطار الزمني بناء روائياً متكاملاً يقوم على الزمن الذي يتحكم في سير الأحداث والوقائع والشخصيات التي تتطور بتطور الزمن في البناء الروائي الذي لا يمكن الاستغناء عنه،ولا يمكن أن يكون هو (البناء الروائي) خارج الإطار الزمني المرسوم كخط تجري عليه الأحداث، والشخصيات والأصوات في الرواية. فهي خاضعة لأوامر الزمن الروائي الذي يكسب الرواية حُلّة أدبية في حبكة فريدة من نوعها في الفنون الأدبية الأخرى. مُشكِّلاً مع الفضاء المكاني لحمة روائية مُتكاملة. وتجدر الإشارة إلى أن موريسون لم تعتمد على الزمن التاريخي فقط؛ بل وظفت – كما لاحظنا – حتى الزمن الآني كاللحظات والدقائق، والساعات والأيام وهو الزمن الذي ربطته بالمرأة الزنجية خاصة، وجعلتها تتحرك فيه لتوها من جهة والشخصيات من جهة أخرى بصفة عامة .

(1) - بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ماجيستير، كلية الآداب، جامعة سطيف، ص 70.

II-بنية المكان الروائي:

تعريف المكان:

جاء في لسان العرب لابن منظور في المجلد الثالث عشر (13) في باب النون جذر (مكن) تعريف المكان كما يلي:

المكان: الموضع والجمع أمكنة وأماكن جمع الجمع. قال تعلب يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دلّ هذا أنه مصدر من (كان) أو موضع منه قال وإنما جُمع أمكنة فعَامَلوا الميم الزائدة معاملة الأصلية لأن العرب تشبّه الحرف بالحرف[1].

وجاء في مادة (كون) في لسان العرب تعريف المكان على أنه: الموضع والجمع أمكنة وأماكن. توّهموا الميم أصلاً حتى قالوا تمكن في المكان، وقيل الميم في المكان كأنه من التمكن دون الكون. والمكان اشتقاقه من كان يكون، ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية. والمكان مذكر.[2]

وعرّفه جرجي شاهين عطية في معجمه المعتمد على أنه:

المكان: الموضع الحاوي للشيء، أو هو اسم مكان من الكون. ويقال فلان من العلم بمكان أي بمنزلة ورتبة، جمع أمكنة وأمكُن وجمع الجموع أماكن.[3]

وجاء في باب كان: المكان هو موضع كون الشيء وحصوله، جمع أماكن وأمكنة وأمكُن، والأخير قليل الاستعمال.[4]

تُنسب الرواية في أغلب الأحيان إلى المكان والزمان، حيث لا يمكن تصور الرواية من دونهما. فإذا كان الزمن هو الظرف والوقت الذي تدور فيه أحداث الرواية، فإن المكان هو المحيط المكاني أو الحيز الذي تدور حوله وفيه أحداث الرواية، وقد أخذ المكان « حديثاً مفهوماً آخر هو الحيز أو الفضاء وهو مصطلح أهم وأعم وأشمل من المكان الذي يتحدد أصلاً بالموقع الجغرافي

(1) - ابن منظور، لسان العرب، ج13، (جذر مكن)، ص 412.
(2) – المرجع نفسه، ص 363.
(3) - جرجي شاهين عطية، المعتمد، قاموس عربي - عربي، ص 659.
(4) – المرجع نفسه، ص 596.

ذي الطابع الموقعي سواءً كان حقيقياً أو خيالياً »[1] ذلك لأن المكان في أصله « هو ما عني حيزاً جغرافياً حقيقياً، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يدل عن المكان المحسوس »[2]. وهو مكان وقوع الحدث، وهو« عنصر من عناصر البنية السردية لا يمكن أن يؤدي وظيفته المرجوّة إلا من خلال العلاقات التي يبنيها مع سائر المكونات السردية الأخرى مؤثراً ومتأثراً بها على حدّ سواء »[3].

ونلاحظ ذلك في روايات جوهرة الأدب الأمريكي توني موريسون في روايتها العين الأكثر زرقة في المقاطع التالية: « هذا البيت أخضر وأبيض» **ص5**، « بيت جميل جداً» **ص5**، « لم تظهر أزهار القطيفة حتى في الحدائق المواجهة للبحيرة» **ص7**، « لقد غرسنا البذور عميقاً في الأرض» **ص7**، « والعيون الصاحية تغني في ردهة الفندق اليوناني» **ص10**، « دخلت الغرفة أقدام بخطى خافتة» **ص10**، « ودخل كولي السجن» **ص43**، « في أكواخهم المستأجرة» **ص52**، « مشت في الشارع العريض» **ص69**، « عاشت في الشقة التي فوق بيت بريدلوف» **ص40**، « فتاة جديدة في المدرسة» **ص43**، « يأتين من موبيل، إيكن، ومن نيوبورت نيوز» **ص52**، « يلتحقن بالكليات الزراعية، ودور المعلمين الابتدائية» **ص69**، « قبل مدخل المنتزه مباشرة، كان هناك البيت الأبيض الفخم » **ص87.**

إن المكان هو من يصوغ هذه العناصر (الزمان، الشخصيات، الحوار..) وينصهر فيها فيحتويها وتحتويه بدورها، ليصبح مندمجاً فيها. فبقدر « ما يصوغ المكان هذه العناصر يكون هو أيضاً من صياغتها، وتلتحم كل العناصر المكونة للنص الروائي وتكتمل الوحدة العضوية للعمل»[4] إذاً فالمكان دائماً متورّط بالأحداث ولا يكون خارج الحدث « فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى أو سيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام

(1) - بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 130.
(2) - المرجع نفسه، ص 130.
(3) - صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيري الذهبي، ص 26.
(4) - المرجع نفسه، ص 26.

حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث »[1]، فلا وجود للمكان في المتن الروائي دون أن يكون له دلالة أو رمز يدل على تطور الأحداث والشخصيات والمعنى. وهو ما نلمسه في روايتها محبوبة « كان البيت رقم 124 مليئاً بالحقد» **ص23**، « كان هناك ستة منهم ينتمون إلى المزرعة» **ص34**،« وراء البيت رقم 124 كان هناك حقل ضيق ينتهي عند حافة غابة. وفي الجانب الأبعد من هذه الغابات جدول. في تلك الغابات، بين الحقل والجدول وفي مكان تخفيه أشجار البلوط» **ص66**، « ليس كما في بوسطن. بوسطن فيها الأفضل» **ص75**،«متجاوزة معبداً عملاقاً من شجيرات البقس إلى الحقل ثم فناء البيت الاردوازي الرمادي» **ص102**،« مثل جاكسون تيل الذي كان ينام تحت السرير» **ص122**،« فقد تخلفتا بين الأشجار التي كانت تطوق الساحة الخالية» **ص180**،« مشت لتتبع الأطفال إلى مدرسة ليدي جونز» **ص184**،« كان يقوده في الأصفاد مع عشرة آخرين خلال كنتاكي إلى فرجينيا» **ص190**،« كان سويت هوم صغيراً جداً بالمقارنة إلى الأماكن التي ذهبت إليها» **ص247**،«كانت السماء فوقهن بلد آخر» **ص298**،« ثم جئت أنا وأخواك من رقعة الأرض الثانية. كانت الأولى قريبة من البيت حيث تنمو الأشياء السريعة» **ص328**.

إن استخدام السّارد لهذه الأماكن وتوظيفه لها ليس بمحض الصدفة ولا من قبيل التوظيف فقط وإنما هي فضاءات قامت بدورها في تكوين لُحمة واحدة للنص الروائي، كما أنها ساعدت على تطور الأحداث والشخصيات من مكان إلى آخر.وساهمت في بناء النسيج الدلالي للنص. فليس بالإمكان الاستغناء عن المكان لما له من خصوصية في البناء وتوضيح المعنى وتقريبه من القارئ. إذ ليس في الإمكان تشكيل بنية سردية دون وجود المكان، سواء في النصوص التقليدية القديمة أو في النصوص الحديثة، ذلك أن المكان هو مسرح الأحداث. وعند موريسون « المكان يتفاعل مع ساكنيه يأخذ عنهم طبيعته ويحوم عليهم، طابعاً وجدانهم بكل ما يبتعثه من كوامن الوجد والفقر والقهر والعصيان، كذا بساطة الوجود واللذة »[2]. فالمكان يتماهى في الشخصيات

(1) – بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 139.
(2) – توني موريسون، جاز، ص 2.

ليأخذ عنها طبيعتها، والشخصيات تتماهى أيضاً بدورها في المكان لتتماشى مع الفضاء المكاني الذي وضعت فيه. ليكون التكامل متناسقاً مابين المكان والشخصيات، فيؤدي كل منهما دوره على أكمل وجه.

وتبقى للمكان أساسيته إذ« لا يجوز لأي عمل سردي، (حكاية، خرافة، قصة، رواية...) أن يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو، من هذا الاعتبار، عنصرٌ مركزيٌ في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية واللغة والحدث ربطاً عضوياً »[1]. ذلك لأن حركة الأشخاص والدور المنوط بها هما ما يفرض المجال المكاني الذي يسمح للشخصية بقيام الدور الذي تلعبه. فطبيعة المكان تخضع لنوعية الدور وطبيعة الشخصية لأنه موضع الحركة، ولأن المكان هو الموضع «فهو محل وقوع الوقائع، وحدوث الحوادث، وحصول الحركات، ووجود المخلوقات، ومعنى الإحاطة بالوجود، هو نفسه الذي يتكرر من معجم إلى آخر على خلاف اتجاهات علماء اللغة، ومجاميعها من أصحاب المعاجم »[2].

ففي رواية محبوبة نجد الكاتبة قد ربطت بين المكان والمرأة الزنجية، من حيث خلال تحديد المكان الذي تتحرك فيه الشخصية، فهناك «البيت رقم 124 والساحة العامة» **ص50**، «كنتاكتي» **ص33**، «النهر» **ص34**، «زوايا الغرفة» **ص49**، «الشرفة» **ص51**، «الطريق» **ص99**، «مخزن التبن» **ص135**. وكلها أماكن استعملتها الكاتبة كحامل تعلّق عليه أحداث الرواية، وحيز تتحرك فيه الشخصيات.

ووظفت موريسون المكان أيضاً في رواية "العين الأكثر زرقة" في أكثر من موضع؛ وهيّأتْه لتتحرك فيه الشخصية، ولتتماهي فيه؛ فتؤدي الدور المنوط بها. فوظفت « الحدائق المواجهة للبحيرة» **ص6**، و«تربة أرضنا الصغيرة السوداء» **ص6**، «العراء» **ص15**، «هناك مخزن مهجور في الزاوية الجنوبية الشرقية من برودوي، وشارع 35 في يورين» **ص28**، «عاشوا معاً في شقة متفرعة

(1) - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية، ص 125.
(2) - قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوي، ص 19.

عن حانوت» ص28، «مشينا في طرق تصطف على جانبيها الأشجار» ص29، «المدرسة» ص86 حيث تدرس كلوديا وأختها وزميلتهما بيكولا، وهناك «الكنيسة» ص111، المكان الذي أقيم فيه مراسيم تشييع جنازة "جيمي" عمة "كولي"، وكلها أماكن قدمتها موريسون كبساط تدور عليه مجريات الأحداث والوقائع.

ولمّا كان للمكان هذا الدور الكبير في بناء القصص الروائي فقد أصبح المكان يمثل «هوية العمل الأدبي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته وتالياً أصالته »[1]، وقد مكنه هذا من أنه لا يشكل « الوعاء الروائي فحسب، بل يؤدي دوره في العمل كأي ركن من أركان الرواية »[2]. فلا يمكن لأحداث الرواية أن تكون خارج الإطار المكاني لها، ولا يمكن الاستغناء بأي شكل من الأشكال عن الفضاء المكاني، أو الحيز الذي تدور فيه الأحداث وإلاّ أخلّ التوازن في البناء الروائي. بل إنه « يستحيل على أي كاتب روائي أن يكتب رواية خارج إطار الحيز. فالحيز هو مشكّل أساسي في الكتابة الحداثية »[3]. ولهذا فقد أكثرت موريسون –في روايتيها– من توظيف المكان لإدراكها للدور الذي يلعبه –هذا الأخير– في سرد الأحداث، وقيمة المجال الذي يتيحه لتحرك الشخصيات.

ومن هنا ومما سبق فإن عنصرا الزمان والمكان ضروريين في البناء الروائي وهما عنصران أساسيان في تشكيل الحبكة الأدبية للفن الروائي.فلا وجود للرواية خارج إطار هذين العنصرين الأساسيين اللذين يشكلان الركن الأساس في الرواية ويكملان الوحدة العضوية في العمل الروائي.

(1) – قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوجي، ص 21.
(2) - المرجع نفسه، ص 21.
(3) - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية، ص 122.

III- التقنيات المستخدمة في لغة الحوار:

استخدمت الروائية توني موريسون مجموعة من التقنيات في روايتيها "محبوبة والعين الأكثر زرقة" مثل: اللغة الشعرية لغة الحوار، تعدد الشخصيات، تعدد الأصوات، تعدد الضمائر، إلى غير ذلك من الوسائل والتقنيات التي تضفي على العمل الروائي نكهة أدبية بأسلوب «شاعري هجين مترف شعبي ومعقد »[1] وطريقة سرد مكثفة تميل « إلى التناغم مع التقليد الشفاهي يتراوح ما بين الميلودراما والكوميديا »[2]، في محاولة لفت وشد انتباه القارئ من جهة، وبلورة الأحداث التي تدور حولها الرواية من جهة أخرى قصد الوصول إلى الهدف المقصود. كلها تقنيات فرضتها الرؤية الفنية، وهي بذلك تسهم في بناء ونمو الأحداث، ورسم شخصيات الرواية، واستحضار الماضي والحاضر، في زخرفة من الأساليب واللغة المتميزة.

وإذا كانت الرواية هي ذاك « العالم السحري الجميل بلغتها وشخصياتها وأزمانها وأحيازها وأحداثها وما يَعْتَوِر كل ذاك من خصيب الخيال وبديع الجمال »[3] فإن اللغة فيها تشكل العنصر الرئيس في بناء الوحدة العضوية للفن الروائي من خلال توظيف اللغة التي تعكس واقع الشخصيات التي تمثل الأدوار الرئيسية في الرواية، وهي اللغة التي يتحدثون بها في حياتهم العامة. ومن ثمَّ كانت الرواية « شديدة الحرص على أن تكون لغة كتابتها مثقلة بالصور الشعرية الشفافة، ذلك لأن النثر، هو قبل كل شيء، إنما يمثل اللغة التي يتحدث الناس بها في حياتهم اليومية »[4] هي لغة الحوار الذي يدور بين شخصيات الرواية، والذي يتخذه الكاتب أساس الربط بين الشخصيات والأحداث والأمكنة والأزمنة في الرواية. ولعل ذلك هو الشيء نفسه الذي اتخذته موريسون في رواياتها، حيث حاولت توظيف اللغة الزنجية التي يتعامل بها الزنوج في حياتهم اليومية، ليتسنى لها التعبير عن واقعهم الذي يعيشونه، وعن وصف حجم المعاناة التي يعانونها.

---

(1) - ابتسام عبد الله، توني موريسون جوهرة الأدب الأمريكي السوداء، ص 1.
(2) - المرجع نفسه، ص 1.
(3) - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية، ص 7.
(4) – المرجع نفسه، ص 12.

فوظفت اللغة الانجليزية كما يتكلم بها الزنوج السود في أمريكا، وهي لغة ممزوجة بكلمات زنجية إفريقية لا يفهمها إلا الأمريكيون الأفارقة.

1- لغة الحوار:

اللغة هي الأصوات التي يعبر بها أفراد المجتمع عن حاجياتهم ومتطلباتهم اليومية، وتختلف من مجتمع لمجتمع آخر، ومن قبيلة لأخرى.

والحوار في الرواية هو أداة من « الأدوات القصصية وهو ثالث بعد السرد والوصف، فإذا كان السرد هو حكاية الأحداث، والوصف هو حكاية الحالات والسمات، فإن الحوار هو حكاية الأقوال »[1]. ولا يمكن للقص الروائي أن يكون بمنأى عن هذه العناصر الثلاثة، التي تشكل أساس البناء الروائي.

فالحوار يصدر عن الشخصيات ولا علاقة له بالراوي، إذ أن في الحوار نلحظ استقلالية الشخصية عن الراوي بل إن الحوار يحرر الشخصية من قيود الراوي الذي يتحكم في حكي وسرد الأحداث.

إن المتتبع لأحداث روايتي توني موريسون "محبوبة والعين الأكثر زرقة" يقف لا شك على نسيج متكامل موحد، ومحطات لا يمكن تجاهلها، نتيجة « استخدام الأسلوب الذي تجمع فيه وحدة المغني – الأغنية– المستمعين، أو وحدة الصوت –النص– الجمهور(...) حيث تصبح الوحدة مشاركة جماعية أشبه بوحدة منصة المسرح والصالة »[2] ففي الغناء توظف موريسون اللغة الزنجية البسيطة بكلماتها وما تحمله من توظيف للطبيعة ومن طقوس لا ينفك الزنوج يرددونها: «خلال القاذورات والشبورة والظلام

نعود إلى بيتنا المريح،

حيث يتأرجح مهد جيئة وذهابا

(1) - بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 168.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 10.

على غناء خافت عذب.

حيث ساعة الحائط الرتيبة المملة

تحكي عن اليوم الذي انقضى،

حيث تحوم أشعة القمر

فوق اللعب النائمة على الأرض »[1]

هكذا توظف موريسون اللغة الزنجية من خلال الأغاني والجمل والعبارات التي تتردد على أفواههم، ويطلقون لها العنان في السماء.

ذلك لأن اللغة عند موريسون بشكل عام « كهف أسرار حافل بالجواهر وبالإشراك القاتلة معاً»[2] وتؤكد جوهرة الأدب الأمريكي ذلك بقولها: « إن ما يفعله السود بصوت اللغة، بخواصها النغمية شيء فائق، حتى أنك لا تحتاج إلى الاعتماد على المعجم، ويمكنك أن يكون لديك معجم محدود جداً. إن موسيقية اللغة تتأكد في كلام السود »[3] فاللغة عند موريسون –لغة الزنوج– هي لغة ثمينة غنية بكل ما يحتاجه الكاتب الزنجي للتأثير على القارئ، وتجعله قريباً من المجتمع الذي يكتب عنه. ولعل هذا ما تعنيه موريسون حينما تقول: « أنا أكتب للناس السود (...) ولذا لا يتوجب علي الاعتذار أو أعتقد أني محدودة النطاق، لأنني لا أكتب للناس البيض »[4]. فتوظيفها للغة الزنوج أمر مقصود، ولربما كان السبب في إعطاء روايات موريسون نكهتها وميزتها الخاصة.

ولذا فإننا نجد صاحبة نوبل تتعمد استعمال اللغة المحلية الزنجية، أو يمكننا القول اللغة كما يتحدثها زنوج أمريكا في أمريكا الشمالية، انطلاقاً من أسماء الشخصيات مثل بيكولا، فريدا، بريدلوف، دارلين، سوكي، سيث، دنفر، محبوبة، إيمي، إيفي...الخ. إلى الأماكن مثل سويت هوم، مورين بيل، كنتاكي، موبيل... وقد وظفتها موريسون أحسن توظيف تجعل القارئ في حس

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 154.
(2) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، الموقع: http://ktb.io/books/1006. تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.
(3) - المصدر نفسه.
(4) - توني موريسون، أكتب للسود، وما علي الاعتذار، ص 1.

ملحمي شاعري مرهف، يتوق إلى معرفة الأحداث التي تدور حولها الرواية، كل ذلك بأسلوب مميز لا توظفه إلا جوهرة الأدب الأمريكي السوداء توني موريسون.

إن تنوع الأسلوب في الرواية الواحدة عند موريسون يعتمد على التنوع في اللغة، حيث تستخدم اللغة المتوهجة القاسية التي تثير القارئ، وهناك لغة شعرية مكثفة مليئة بالألوان والرموز« طلبت مني أن أجلب لها بعض الخيوط السوداء.. إن طلبها لخيوط سوداء كان علامة»[1]. والأشباح، والأحزان « واحدٌ مجنونٌ، وواحدٌ بيعَ، وواحدٌ مفقودٌ، وواحد أُحرِق بالنار، وأنا ألعقُ الحديد ويداي معقودتان خلفي(...) غيرني المدرس. كنت شيئاً آخر وكان ذلك الشيء أقل من دجاجة تجلس على حوض الاغتسال »[2]. وهذا ما يجعل القارئ يغوص من مكانه في أعماق التراث الزنجي الذي طالما عملت موريسون على إحيائه واستعادة مكانته التي تليق به بانسجام وتلاحم لغوي فذ، لأن إرثاً له تاريخ يعبر عن ماضي أمة غيبها القهر والعبودية والحرمان في بئر الظلام.

ويمكن ملاحظة الانسجام المستخدم والتقابل الذي وظفته الكاتبة فيما يلي: « لم يكن بإمكانها أن تهتم بأن تودع الحياة أو أن تحياها وهي معلقة بين قرف الحياة وحقارة الأموات»[3] وكذلك في قولها:« الغضب في وجهه قديم جداً، والرغبة جديدة جداً »[4]. بلغة زنجية ساذجة بسيطة يفهمها الزنوج بعضهم، وإلا كيف تفسر **موريسون** الاتصال اللغوي في رواية "العين الأكثر زرقة" بين "السيدة بريدلوف" التي تعمل لدى أسيادها البيض وهي لم تقرأ إلا لسنوات قليلة، حينما اضطرتها الظروف إلى الخروج من المدرسة والبحث عن عمل تتقاضى من بعده أجرة تعينها على صرف نوائب الدهر عنها وعن عائلتها، فهي –بريدلوف– لا شك أنها تتحدث لغة محلية زنجية

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 118.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 139، 140.
(3) - المصدر نفسه، ص 24.
(4)– نفسه، ص 26.

بسيطة « وهي تعيش حياة مترعة بالإحباط والقهر وبالاغتراب الكامل، كيف يمكن لامرأة كهذه أن تتكلم؟ كيف تعبّر عن إشراقها وعذاباتها؟ بالطبع بلغتها الخاصة »[1].

وفي رواية "محبوبة" أيضا نقف على شخصية بطلة الرواية "سيث" التي فتحت عيناها على العبودية والحرمان وسلطة الرجل الأبيض، فهي لم تكن متعلمة ولا مثقفة، إلا أن موريسون منحتها دور البطلة، فبأي لغة كانت تجيب سيدها؟ وكيف كان تتصل مع سيدتها؟ لن يكون هذا إلا بلغتهما الخاصة، وهي لغة الشارع الزنجي البسيطة التي تعتمد على كلمات إفريقية وغيرها إنجليزية وما إلى ذلك من كلمات بسيطة تكوّن بها شخصيات موريسون لغة حوارها« هذا خداع الشيطان. إنه يجعلني أبدو بحال طيب كلما كنت أشعر أنني في حال سيئ»[2]. « لم أكد أضع ملابسي عليّ، حتى اندفعت سالي وهي تولول، وأخبرتني كيف أن كولي أتى إلى الآنسة أليس وأخبرها أن الخالة جيمي ماتت. شعرت كأن أحداً ضربني ضربة عنيفة على رأسي»[3]. هي لغة بسيطة استعملتها موريسون « مازجة الخيال بالاحتمالات الممكنة لفهم آلية تكون هذا المجتمع الذي صار القوة الأولى في العالم اليوم »[4]. تلك اللغة التي تحاكي اللغة الانجليزية كما ينطقها الزنوج، ولغة الحوار كما يتكلمها، وهي « لغة تعتمد نغمتها على اللهجة وإيقاعها لتعبر لا عن مجرد مجتمع وإنما عن إرث وتراث. هي لغة بها من البساطة والقدرة والإحكام بقدر ما فيها من ألفة نغمة الحوار وشاعريته، فهي لغة بظلال نطق الزنوج للكلمات، وظلال نطق كل شخصية على حدة »[5].

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة.
(2) – توني موريسون، محبوبة، ص 31.
(3) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 118.
(4) - جاكلين سلام، "رحمة" رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، ص1.
(5) - توني موريسون، محبوبة، ص 11.

إن هذا ما يميز توني في رواياتها، ويصبغها بلون زنجي أمريكي أسود يضعها على سكة الأدب الأمريكي الزنجي، ويجعل القارئ لأعمالها يلمس « دعوة صريحة من الباحثة إلى التبشير بلغة نقدية تتجاوز حدود المحلية وتطمح إلى تبني أسلوب في الكتابة من سماته الانفتاح والنزعة الإنسانية والرغبة الحقيقية في الإفهام وتحقيق التواصل مع القارئ القريب و البعيد»[1].

2- بناء الحوار الروائي:

الحوار في الرواية يُبنى على التعليق على أحداث قد تكون حدثت فعلاً أو لم تحدث، ويشكل الحوار لبنة أساسية في الكشف عن سمات الشخصيات التي يدور بينها الحوار ورسم صفاتها ومعالمها. وهذا ما نلمسه من خلال رواية العين الأكثر زرقة في الحوار الذي يدور بين الأم "جين" وصديقاتها في البيت حول السيد "هنري" وهو حوار طويل لا يمكن أن نستعرضه كلياً وإنما ينحصر بين الصفحة 10 إلى الصفحة 12، ومنه ما يلي:« قالت لأصدقائها: أنتم تعرفونه، هنري واشنطن كان يعيش هنا مع الآنسة ديللا جونسن في شارع 13.

- وقالت صديقاتها وهن لا يخفين فضولهن: أوه، نعم.
- كنت أتساءل دائماً حتى متى يستطيع أن يبقى معها. يقولون إنها سيئة فعلاً.
- حسناً، ذلك الزنجي العجوز المخبول الذي تزوجته قد خبّلها.
- هل تعرفون ماذا قال لأصحابه عندما تركها؟
- أوه، أوه، ماذا؟
- لقد هرب مع تلك التافهة "بيجي" من إليريا
- واحدة من فتيات العجوز "سلاك بيسي؟
- إنها هي.
- الكلب العجوز: كم مقزز ذلك!

(1) - توني موريسون، صورة الآخر في الخيال الأدبي، ص 6 – 7.

- أيّ عذر هذا!
- ليس عذراً. بعض الرجال مجرد كلاب.
- هل ذلك ما سبب لها الصدمة؟
- آه، مهلك إنها فكرة شيطانية لم أسمع بمثلها.
- عندي يقين بأن هنري سيتزوجها قريباً.
- يتزوج هذه المرأة العجوز.
- حسناً، أن هنري أيضاً ليس كتكوتاً
- نعم، ولكنه ليس أبله (أبلهاً)»[1].

هذا المقطع الحواري هو بمثابة النقطة التي لا يمكن اجتيازها ذلك أنها تعرفنا على شخصية السيد هنري من خلال الحوار الذي دار بين النساء الثلاث. فهن تحدّثن عن شخصية السيد "هنري واشنطن"، وعرفنا من خلال الحوار من تكون هذه الشخصية التي تمثل شخصية الرجل غير المحبب من طرف أولائك النساء، نظراً لتصرفاته وهو الدور الذي منحته له توني موريسون في الرواية. وهو يعكس واقع الحال لدى الزنوج الرجال الذين لا يهتمون إلا لأمورهم، ومصالحهم الخاصة حتى ولو كان ذلك على حساب الآخرين (المرأة الزنجية)، وهي شخصية مقصودة وظفتها موريسون لتوضيح حجم المعاناة التي تعانيها المرأة الزنجية حتى من طرف الرجل الزنجي، والعذاب الذي تقع تحت طائلته بسبب العرق والجنس.

وهناك مقطع حواري آخر يصف حياة السيدة "بريدلوف" مع زوجها "كولي" في بيتهما سنقدّم جزءاً منه:

- « أريد بعض الفحم في هذا البيت.
- لم يتحرك كولي.
- هل تسمعني؟ ولكزته في قدميه.

---

(1) - توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 10 إلى 12.

- آه ... آه يا امرأة!
- قلت أريد بعض الفحم. أشعر بالبرد مثل عصفور صغير في هذا البيت.
- دعيني وحدي
- ليس قبل أن تحضر لي بعض الفحم.
- اللعنة، لا يهمني كيف تحصلين عليه.
- هل ستنهض يا سكير من هذا الفراش. وتجلب لي بعض الفحم أم لا؟ »[1].

في هذا المقطع الحواري أيضاً نلمس ضرورة وجود هذا الحوار الذي تحررت فيه الشخصيات وعبرت عن نفسها من خلالها. وهذا المقطع هو صورة نموذجية مبسطة عن الحياة التي يعيشها الزنوج في بيوتهم، والتي تتكبد فيها المرأة الزنجية كل المشقة و العناء، والمثابرة من أجل أولادها، فالسيدة "بريدلوف" تعاني في بيتها من خلال المعاملة القاسية لها من قِبل زوجها السيد "كولي". الذي لا يعيرها أدنى اهتمام، ولا يهتم لأمر زوجته "بريدلوف". وهي صورة على المجتمع الأفرو – أمريكي في شكلها المبسط.

وقد كان الحوار هنا حواراً عنيفاً، فيه الكثير من الغضب والعنف من طرف السيدة "بريدلوف"، وفيه اللامبالاة، وقلة الاهتمام من طرف السيد "كولي".حتى تبين الكاتبة مدى تفاوت أطراف الحوار من حيث الأسلوب واللغة عموماً.

وهناك مقطع حواري آخر جرى بين ثلاث بنات "فريدا" و "كلوديا" و "بيكولا" تتضح فيه الملامح الشخصية والسمات الخاصة للفتيات الثلاث.وهو مقطع طويل من الصفحة 158 إلى الصفحة 172 نحاول أن نستعرض البعض منه.

- ماذا سنفعل يا فريدا؟
- ماذا نستطيع أن نفعل؟ قالت الآنسة جونسون إن بقاءه على قيد الحياة معجزة.
- إذن دعينا نقم بمعجزة.

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 33 – 34.

- نعم، ولكن كيف؟
- نستطيع أن نصلي.
- هذا ليس كافياً. هل تذكرين آخر مرة مع الطير؟
- الأمر مختلف. كان الطير نصف ميت حينما وجدناه.
- لا يهمني هذا. علينا أن نعمل شيئاً أقوى هذه المرة.
- دعينا نسأله أن يُبقي طفل "بيكولا" حياً ونوعده أن نكون فتاتين صالحتين لفترة شهر كامل »[1].

وفي مقطع آخر في الحوار نفسه، يدور الحوار كما يلي:

- تخافين إنها ربما تنصرف.
- بالطبع لا، كيف بإمكانها ذلك؟
- الأخرى قد اختفت
- لم تختف. لقد تغيرت.
- ذهبت أو تغيرت. ما الفرق؟
- فرق كبير، قال السيد سوفيد أنها تدوم للأبد.
- للأبد، للأبد. آمين؟
- نعم، إذا أردت معرفة ذلك.
- لا تكوني مغرورة كثيراً عندما تتحدثين معي.
- لست مغرورة. أنت بدأت ذلك.
- أردت فقط أن أفعل شيئاً آخر بينما تتأملين نفسك في المرآة أنت غيورة فقط.
- لست غيورة
- بل غيورة. ترغبين لو أنك تملكينها

(1) - توني موريسون، رواية العين الأكثر زرقة، ص 159.

- ها. كيف سأبدو بعيون زرقاء؟
- ليس شيئاً عظيماً»[1].

هذه مقاطع حوارية جرت بين الفتيات الثلاث، تدور أحداثها حول عادات المجتمع الزنجي في استخدام السحر والتعاويذ في قضاء الحوائج، وتتضح من خلال الحوار شخصية الفتاتين "فريدا" و"كلوديا" فهما صغيرتان لكنهما تبدوان غير سويتين، وهي ميزة من ميزات الطفولة المرحة التي تلعب بكل شيء و تستخدم كل شيء لحاجتها.وقد استقلت هاتان الشخصيتان عن الراوي وتحررتا منه، وقامتا بالدور خارج نطاق الراوي.

ويكشف لنا المقطع الثاني يكشف لنا أيضاً عن شخصية الطفلة "بيكولا" التي كانت تتوق لعيون زرقاء. وكيف تغيرت شخصيتها بعدما حصلت على العيون الزرقاء، وظلت تتفاخر وتتباهى أمام زميلاتها بعيونها الزرقاء. وهي شخصية تأثرت بمعالم الجمال الذي يسود المجتمع الأمريكي الأبيض، فأخذها الهوس إلى أن تطالب بعيون زرقاء، فهي شخصية تأثرت بالآخر وتخلت عن مقوماتها الأساسية بانتمائها إلى المجتمع الأبيض الذي يملك عيوناً زرقاء جميلة، بدلاً من المجتمع الزنجي الذي –حسب رأيها– لا يملك أدنى مقومات الجمال.

ونلاحظ من خلال المقاطع الحوارية السالفة أن موريسون استخدمت الشخصيات في سرد الوقائع بطريقة حوارية، مستخدمة فيها لغة حوارية سهلة المعاني والمباني،و « هي لغة بها من البساطة والقدرة والإحكام والبعد عن الجمل الزخرفية بقدر ما بها من ألفة نغمة الحوار وشاعريته. فهي لغة مشحونة في الحالتين. في السرد والحوار، بظلال نطق الزنوج للكلمات، وظلال نطق كل شخصية على حدة »[2] وهي اللغة التي يتحدثها السود في أمريكا وفي مجتمعاتهم الأخرى، في خليط من الكلمات التي يعبّرون بها عن أغراضهم ومطالبهم الخاصة بهم.

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 160- 161.
(2) – توني موريسون، محبوبة، ص 11.

وفي روايتها محبوبة استخدمت أيضاً جوهرة الأدب الأمريكي الحوار الروائي في مقاطع عدة نحاول أن نأخذ منها بعض النماذج للتوضيح: في هذا المقطع الحواري الذي دار بين "بول.د" و "سيث" .

- « استخدموا معك سوطاً من ذيل البقر؟
- واغتصبوا لبني.
- جلدوك وأنت حامل؟
- واغتصبوا لبني »[1].

وفي مقطع آخر من الرواية في حوار يدور بين "السيد مستر جارنر" بين العبدة "جيني":

- « أخبريهم، يا جيني. هل عشت حياة أفضل في أي مكان قبل بيتي؟
- قالت: لا، يا سيدي. لا مكان.
- كم بقيتِ في سويت هوم؟
- عشر سنوات، أعتقد.
- هل جعت أبداً؟
- لا، يا سيدي.
- شعرت بالبرد؟
- لا، يا سيدي.
- هل مسّك أحدٌ بأذى؟
- لا، يا سيدي.
- هل سمحت لـ هال أن يشتريك أم لا؟
- قالت: نعم، يا سيدي فعلت »[2].

(1) – توني موريسون، محبوبة، ص 48.
(2) – المصدر نفسه، ص 257 – 258.

في الحوار الأول توضح لنا الكاتبة من خلاله، شخصية "سيث" المرأة البطلة بطلة الرواية ومعاناتها تحت رحمة البيض الذين جلدوها واغتصبوا لبنها وهي حامل. وهي شخصية تحملت عبء الحياة وقساوتها، وتجرّعت ألم العبودية وسُمّ الاسترقاق. في مجتمع يحكمه اللون والجنس، وسطوة العنصر الأبيض. فشخصية "سيث" هي شخصية نموذجية للشخصية الحقيقية التي مثلتها. وقد قدمتها موريسون في صورة تماماً مماثلة للمرأة الزنجية في حياتها اليومية وفي واقعها المعاش. وكيف تتعرض للضرب والشتم والذل وشتى أنواع العذاب دون أي رادع يردع الرجل الأبيض عن سلوكه وتصرفه هذا.

وفي المقطع الحواري الثاني يوضح لنا شخصية العبدة "جيني" التي يملكها "السيد مستر جارنر" الذي يبيعها بعدما اشتراها، وكيف يجعلها تقرّ بأنها كانت عنده في أحسن الأحوال. شخصية "جيني" تمثل المرأة الزنجية المغلوبة على أمرها، والتي لا تملك حق التصرف في حياتها. وهي أيضاً إسقاط لشخصيات من الواقع، تباع وتشترى بين العائلات البيضاء التي –ولوحدها– تملك حق التصرف في العبيد الزنوج دون غيرها.

3- تعدد الشخصيات:

الشخصية هي إحدى العناصر الأساسية المكونة للرواية، وإحدى العناصر الهامة في البناء السردي، التي تتأثر ببنيتي الزمان والمكان وتخضع لهما،«فلا زمن بدون فضاء، ولا فضاء من دون زمن، ولا وجود للاثنين معاً من دون شخصية ذات حركة »[1]، فالشخصية « مكون روائي، وعنصر هام في اللعبة السردية، لا يمكن الاستغناء عنها ولا تجاوز دورها في الخطاب الروائي العام، ترتبط ببعض العناصر ارتباطاً عضوياً وتكاملياً بحيث تصنع الحدث الروائي وتوجهه عبر الزمان والمكان وتتأثر بهما »[2]. وتشكل معها نسقاً منسجماً متكاملاً. كما تكمن أهمية الشخصية

(1) - قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء"، ص 123.
(2)- بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 32.

في اهتمامها بتصوير المجتمع الإنساني الذي يشكل فيه الشخص قطب الرحى، فلا رواية من دون شخصية تدفع بالأحداث في زمن معين ومكان محدد لتشكيل الخطاب الروائي.

فتوظيف الشخصيات في الرواية شيء ضروري لا مفرّ منه إذ لا يمكن أن تقوم الرواية من دونه، حتى ولو كان الدور مقزّماً، غير أساسي. وإذا كانت الشخصية في الرواية تمثل أشخاصاً معينين في المجتمع فعلى الكاتب أن يسلط تصوره على الشخصية التي تتشكل من سلوكات وتصرفات وصفات لتكون متميز عن الشخصيات الأخرى « إذ أن معنى تمييز شخصية ما، هو إعطاؤها الصفات التي من المفروض أن يكون الشخص الذي تمثله في الواقع يتصف بهذه الصفات، معنى ذلك أن نمنح للشخصية الصفات المعنوية والجسمية للشخص الذي تجسده »[1].

وقد استخدمت الروائية توني موريسون تقنية تعدد الشخصيات في معظم رواياتها من خلال روايتي "محبوبة والعين الأكثر زرقة"، وتعتمد هذه الشخصية على تعدد الأدوار والأحداث، وشخصيات موريسون متعدد الأصول والأعراق، تجد نفسها مجبر على العيش في منفى أو سجن واحد وهو سجن ومنفى العبودية. هذه الشخصيات وجب عليها التأقلم فيما بينها والتعايش جنباً إلى جنب كعائلة واحدة.

فالمتتبع لروايتي هذه الكاتبة يجد « نفسه وسط شخصيات تعقدت حياتها، وتعقد تاريخها الشخصي بحيث أوشكت جميعا على الهرب أو الموت أو الانهيار، أو الجنون. فهو شكل يعتمد على تقديم شخصيات يقوم تكوينها على تركيب نفسي غامض، ويحرص على تقديم شخصيات باهرة في حدّ ذاتها »[2]. وهذا ما نلمسه في روايتها العين الأكثر زرقة من خلال السيدة جين والسيدة بريدلوف، السيد كولي، كلوديا، فريدا، بيكولا، مورين، والآنسة ماريا وتشاينا، وبوبند، والعمة إيمي، وكلها شخصيات لها دورها في الرواية وهي تمثل صوراً لشخصيات من المجتمع الزنجي الأفرو أمريكي. بما تحمله الشخصية من معاناة وقهر وتعد واغتصاب وما إلى ذلك مما يتعرض له الزنوج عامة والمرأة الزنجية بصفة خاصة على يد المجتمع الأبيض.أين كنّ النساء عرضة

(1) – بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ص 32.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 12.

للتنقل من بيت إلى آخر في رحلة غير طويلة وغير مستقرة انتهت بهم إلى القذف في العراء. وهي رحلة معاناة "سيث" و"دنفر" و"بيكولا" من الجنوب إلى الشمال، ليلاحقهن الجنوب ويقضي على استقرارهن وأمنهن إلى الأبد. وهناك بالمقابل شخصيات المجتمع الأبيض من أمثال "السيد جانر" و"المدرس"، و"آل هال"، و"آلبودوين"، و"الكاهن"، الصبيان والنساء العجائز... الذين كان لهم حق التصرف في العبيد من أمثال سيث.

وفي روايتها "محبوبة" توظف أيضاً **موريسون** شخصياتها الزنجية من خلال "سيث، وبول.د وبيبي سجز، هال، بول.د أ، بول.د ف" فهي شخصيات لها علاقة بالتاريخ في زمن الهجرات الزنجية من إفريقيا إلى جنوب أمريكا، ومن الجنوب إلى شمال أمريكا، في رحلات عبر القوارب والسفن أين كانت النساء عرضة للاغتصاب من قبل البحارة، وكان الرجال يرمَوْن في البحار كوجبات للأسماك. إلى الشمال بحثاً عن الحرية والسلام.

و تعدد الشخصيات في القص الروائي مستمد من المجتمع الذي ترعرعت فيه موريسون، «نشأت ... وسط عائلة تكن حباً لا حدود له لثقافة السود، وقد شكلت القصص المروية شفاهيا مع الأغاني والحكايات الفلكلورية المعين الثري الذي نهلت منه موريسون معظم خبرتها الطفولية»[1] فكانت القصص المروية مشافهة عادة مستمرة غير منقطعة في عائلة وفورد، فكل من أفراد العائلة يشارك بقصته في المجموعة، وهكذا تدور الأدوار متتالية بينهم في القص. لقد ساعدت هذه الحياة العائلية موريسون أيما مساعدة جعلتها تعتمد كثيراً على ذكريات الماضي، باسترجاعها لها في وقت الكتابة. ولا ننسى الدور الذي لعبه الوالد في تنمية القدرات الأدبية والذهنية للكاتبة، ذلك « لقيام والدها بسرد قصصه المختلفة والممتعة عن مجتمعات السود لها ولإخوتها وأسلوبه الشيق الفضل الكبير في ولعها بالكتب والأدب بشكل خاص »[2]. ولعل تأثرها بأمهات الروايات العالمية الغربية كان له أيضاً الفضل الكبير في إنماء هذه الذاكرة الفذة في صياغة الشخصيات المحورية والثانوية في البناء الروائي، وشخصيات الرواية تختلف من شخصية لأخرى فهناك « شخصيات تاريخية..

(1) – مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا ، ص 6.
(2) - لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، ص 3.

شخصيات أسطورية.. شخصيات مجازية، شخصيات اجتماعية»[1] وأغلب هذه الشخصيات عند موريسون ثابتة ومرتبطة بثقافة المجتمع الزنجي، فهي لا تخرج عن توظيف التراث الزنجي الذي تستمد موريسون منه نواة رواياتها الضاربة في عمق التاريخ الزنجي.

والملاحظ أن موريسون قد أسقطت على شخصياتها كل المواصفات التي تتصف بها في الواقع، ذلك لأن الكاتبة تكتب عن مجتمع تنتمي إليه ونشأت فيه. فكانت شخصياتها في الرواية كما هي في واقع المجتمع الزنجي. فالكاتبة قد نجحت في إسقاط شخصياتها على الواقع ووصلت بذلك إلى هدفها المنشود في كشف الحقيقة المُرّة التي غُيبت لسنين طوال، وهي حقيقة اضطهاد المجتمع الزنجي الذي تعرض للخطف والبيع والتشريد « كان لي ثمانية رحلوا عني جميعاً. أربعة اختطفوهم وأربعة اصطادوهم ..»[2]. وفي قضية التعذيب تذكر معاناة "سيث" « هل كانت معاناة ميتة قاسية؟ أرجو ألا تكون قد عانت في موتها. هزت سيث رأسها. ميتة هادئة للغاية. كانت القسوة والمعاناة في حياتها»[3].

فتعدد الشخصيات عند موريسون جاء بطريقة مقصودة، وهادفة إذ أن كل شخصية قامت بالدور المنوط بها كما ينبغي وأوصلت توني من خلال شخصياتها التي تمثل المجتمع الزنجي، رسالتها المشروعة في الدفاع عن أبناء بشرتها وجنسها،عن المرأة الزنجية بصفة خاصة والمجتمع الزنجي بصفة عامة.

ومما سبق يمكن القول أن جوهرة الأدب الأمريكي صاحبة نوبل استطاعت أن تجعل من رواياتها « مرآة تعكس كل طبائع الناس الذين يشكلون المجتمع الذي تكتب له، وعنه وفي الوقت ذاته: بما كان فيهم من عيوب، وبما كان فيهم من عواطف، وبما كان في قلوبهم من أحقاد، وبما كان في نفوسهم من شرور، وبما كانوا يكابدونه من آلام وأهوال في حياتهم اليومية التي كانت ولم

(1) - قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء"، ص 130.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 27.
(3) – المصدر نفسه، ص30.

تبرح، تفرض كثيراً من العلاقات»[1]. من خلال توظيف الشخصيات والأحداث والأزمنة والأمكنة الملائمة للموضوع.

4- تعدد الأصوات:

يلجأ الكاتب في الغالب إلى استخدام تقنية تعدد الأصوات في الرواية، عندما يكون لديه تعدد في الشخصيات، إذ أن لكل شخصية الصوت التي تشغله ويشغلها، وتُعبر به عن حاجياتها ومصالحها. ولهذا تتخذ موريسون أسلوباً فنياً شديد الخصوصية والتميز. « بل كان هدفاً من الأهداف الواعية التي تحاول موريسون تحقيقها في الشكل الروائي. فهو أثر من آثار التراث الزنجي الثقافي الذي ورثته عن أسرتها، وشكل من أشكال السرد الذي درجت عليه عائلتها وأفرادها يتبادلون الحكايات واحداً بعد الآخر والجميع يستمعون»[2] ومن هنا فإن تعدد الأصوات في روايتي **توني موريسون** "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة" هو ملمح من الملامح الفنية البارزة في الروايتين، فهناك صوت "سيث"، و"دنفر"« تعال. تعال. ربما يحسن بك مجرد أن تأتي»[3]، وصوت "محبوبة"، و"بيبي سجز"« هات قليلا من اللون الأرجواني الشاحب، إذا كان لديك أي منه»[4]، والخادمة "جيني"، و"بيكولا"، و"بريدلوف"« يا يسوع العظيم ! اذهبي إلى الفراش. كم أخبرتك يا حمقاء أن تضعي شيئاً فوق رأسك »[5]، وكذلك صوت "فريدا" و"كلوديا"« شعرنا بالضجر، فقالت فريدا: "دعينا نفعل شيئا" فسألتها: ماذا تريدين أن نفعل؟ »[6]، و"مورين بيل"، و"بولين"، وغيرها من الشخصيات التي تدور حولها أحداث الرواية، والتي قدمتها موريسون كعناصر وأدوات من عناصر البناء الروائي وملمح من الملامح الفنية للفن الروائي.

(1) - عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية، ص 73.
(2) - توني موريسون، محبوبة، ص 10.
(3) – المصدر نفسه، ص 25.
(4) – نفسه، ص 24.
(5) – توني موريسون ، العين الأكثر زرقة، ص 8.
(6) - المصدر نفسه، ص 22.

ولما فرضت طبيعة الرواية تعدد الشخصيات المهمة، فرض هذا تعدداً للأصوات. وحتى وإن كانت أصوات النساء الأكثر بروزاً وتنوعاً، وارتباطاً مع أحداث الرواية فتبقى لها أصوات تتمازج وتتعارض لتشكل صوراً سردية منسجمة متكاملة. « فتعدد الأصوات يعطي الصور السردية حركة وجاذبية، ويُمكّن من تقديم المادة الروائية بموضوعية أكبر »[1].

وهو ما تسعى إليه موريسون في وحدة متكاملة منسجمة. شكّلها التعدد في الأصوات والشخصيات. « فتداخل الأصوات تقنية فنية مهمة، تتطلب قدراً كبيراً من المهارة الفنية، غير أن لعبة تداخل الأصوات بين ضمير المتكلم أنا وضمير الغائب هو تبلغ ذروة المهارة والعفوية»[2]. وتعدد الأصوات ظاهرة يعيشها المجتمع الزنجي الذي يتشكل دائماً في جماعات مقصودة وغير مقصودة، فالحديث عندهم في واقعه هو تداخل متزاحم من الأصوات مع بعضها البعض، يشكل حديثهم رقصة بارعة من التراث الزنجي العريق.

5- تعدد الضمائر:

يستخدم الكاتب هذه التقنية في الرواية عندما تتعدد الأحداث وتتنوع المواقف، وتتعدد الأصوات فهناك صوت الضمير المخاطب، والضمير المتكلم، والغائب. وقد استخدمت توني موريسون هذه التقنية في رواياتها من خلال روايتي محبوبة والعين الأكثر زرقة، إذ نلاحظ تعدد الضمائر وتنوعها فمن ضمير الغائب(هو) إلى ضمير المخاطب (أنت) ثم إلى الغائب مرة أخرى، كما في المثال التالي: « قد يكون ساعدها على ذلك. ولكن كما تعريفين لم تكن أيه فتاة منهن فطنة هل تذكرين تلك المرأة ذات التكشيرة "هاتي"؟ »[3]. فهنا تعدد الضمائر بتعدد الشخصيات.

وفي المثال الآتي نجد تنوع الضمائر وتعددها كما يأتي فمن ضمير المتكلم (أنا) إلى ضمير الغائب (هو) ، إلى ضمير المخاطب (أنت)، ثم إلى ضمير الغائب (هي)، ومن ثم العودة

(1) – وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 176.
(2) - المرجع نفسه،ص 176.
(3) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 11.

إلى ضمير المتكلم: « أفترض أنني أعرف الزنوج الذين يكذبون عندما أرى أحدهم، ولكن في حالة أنك لا تكذب، وفي حالة أن أمّاً من أمهاتهم مريضة حقاً وأنها تريد أن ترى فلوها الصغير قبل أن تلاقي باريها، فإنني أفعل»[1]. فتعدد الضمائر هنا جاء نتيجة لتعدد الشخصيات.

وفي هذا المقطع أيضاً نلمس تعدد الضمائر في قولها: « وظلّت تذكّرني بذلك. أخبرتها أني أملك بعض الخيوط في البيت. فأرادتها أن تكون خيوطاً جديدة. ولذلك أرسلت "ليل جون" لتجلب بعضاً منها في ذلك الصباح الذي تمددت فيه ميتة كنت على وشك أن أهيئها لها مع قطعة من كبد العجل. أنت تعرفين كم تحب أكل كبد العجل »[2]. فالضمائر هنا تعددت من المتكلم إلى المخاطب، فالغائب، ثم عودة إلى المتكلم ثم المخاطب ومنه إلى الغائب.

وفي روايتها محبوبة نجد تعدد الضمائر جلياً من الغائب إلى المتكلم إلى المخاطب كما في المثال الآتي: « نهض وابتسم: ما تبقى مني. ماذا جرى لك، يا بنت؟ بالإضافة إلى قدميكِ الحافيتين»[3].

وفي هذا المثال تتعدد الضمائر من ضمير لآخر، فمن ضمير الغائب إلى المخاطب، ثم إلى الغائب ومنه إلى المتكلم ثم المخاطب، إلى المتكلم، ثم نهاية بالغائب : « لقد حطمه ذلك يا سيث. ثم رفع بول د. عينيه إليها وتنهد وقال: يحسن أن تعرفي كل شيء. فآخر مرة رأيته فيها كان جالساً في الممخضة. وكان وجهه كله مغطى بالزبد »[4].

وتعدد الضمائر يظهر كذالك جلياً في المثال الذي بين أيدينا من رواية "محبوبة" حينما «قال بول د: إنها آنسة رائعة الحسن. رائعة الحسن. لها وجه أبيها الحلو.

هل تعرف أبي؟

كنت أعرفه، كنت أعرفه جيداً.

صحيح يا أمي؟

---

(1) – توني موريسون، العين الأكثر زرقة، ص 129.
(2) - المصدر نفسه، ص 118.
(3) – توني موريسون، محبوبة، ص 29.
(4) – المصدر نفسه، ص 134.

الطبع كان يعرف أباك. لقد أخبرتك أنه من سويث هوم»[1]. تعددت الضمائر ما بين المتكلم وهو "بول د"، و"دنفر" و"سيث"، والغائب وهو "الأب".

في الأمثلة السابقة نلاحظ توظيف تقنية تعدد الضمائر من قبل الكاتبة، وهذه التقنية تكسب النص السردي ميزة التحول بين الأحداث والتنقل من موقف إلى آخر، في الموضع نفسه وفي الشخصية ذاتها، « فتعدد الضمائر وتنوعها يأتي نتيجة لتعدد الأصوات وتحولات المواقف وكل هذا وسم السرد بالحيوية والتوهج والجاذبية »[2].

(1) - توني موريسون، محبوبة، ص 40.
(2) - وائل علي فالح، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، ص 176.

خاتمة

خـاتمة

وفي خاتمة هذه الدراسة يمكن إجمال وحصر أهم النتائج التي تم التوصل إليها فيما يلي:

أولاً: إن توني موريسون وبطريقة فريدة من نوعها في أسلوبها السردي استطاعت أن تضع القارئ أمام الصورة الحقيقية للمرأة الزنجية، التي تعاني تحت وطأة الرجل الأبيض والأسود على السواء. ذلك أنها قدمت المرأة الزنجية في مختلف صورها المتعددة التي تعيشها في مجتمعها الأفرو أمريكي. في روايتيها العين الأكثر زرقة ومحبوبة، التي عالجت فيهما الرق بأبشع مظاهره وحقائقه.

ثانياً: تعرية المجتمع الأمريكي، المجتمع الذي يُبيح للعنصر الأبيض فعل كل شيء دون أية إدانة. ومنع العنصر الأسود من فعل أي شيء لمجرد أنه أسود. ووضعته أمام الحقيقة التي تم إخفاؤها منذ زمن بعيد، إلى أن جاءت موريسون وعملت على كشف حقيقة المجتمع الذي يمتثل لعقدة اللون والجنسواضطهاد ذوي البشرة السوداء.

ثالثاً: لم يكن للشخصيات الرجالية الدور الفاعل في الروايتين، فكان موقف الكاتبة سلبياً من الرجل (الأبيض والأسود) الذي جعلته وعاءً صبّت فيه كل مصائب المرأة، ومشاكلها التي ترسبت خلال عدة عقود من الزمن، وحمّلته مسؤولية ما وقعت تحت طائلته المرأة السوداء.

رابعاً: رصد التطور الذي طرأ على شخصية المرأة من خلال عملها، ومحاربة الرجل بلونيه من أجل الاستمرارية والبقاء.كما كان موقف الكاتبة سلبياً من المرأة البيضاء التي استغلت المرأة الزنجية، لأغراضها الشخصية، والمنزلية دون أدنى اعتبار لأنوثتها.

خامساً: من خلال دراستنا للروايتين تمّ التعرف على العديد من الصور التي قدّمتها – الكاتبة– للمرأة الزنجية منها: المرأة الأم، والزوجة، والمثقفة، والعاملة، والمضطهدة، والمومس، وقد كانت هذه الصور انعكاساً لحركة وواقع المجتمع الأمريكي، كما كشفت هذه الصور حقيقة هذا

المجتمع في انتهاك حرمة المرأة الزنجية، من خلال طمس هويتها ومحو كيانها كامرأة تحاول أن تجد مكاناً في مجتمع تحكمه عقدة اللون والجنس.

سادساً: إن طبيعة الأحداث المؤلمة والمكان والزمان والظرف التاريخي القاسي الذي تدور فيه أحداث الرواية، وطبيعة شخصية الكاتبة، فرض هذا الأسلوب الذي اعتمدته هذه الأخيرة في سرد وقائع وأحداث روايتيها. لتوصل رسالتها التي تهدف إلى تحقيقها إلى أذهان وقلوب الجميع دون استثناء. وهو واقع المرأة الزنجية السوداء.

سابعاً: تناولت الكاتبة بعض القضايا التي تخدم المجتمع الزنجي عامة والمرأة الزنجية خاصة، فطرحت قضية تحقيق الذات الإفريقية للمرأة الأفرو–أمريكية، وقضية عمل المرأة في بيوت البيض، وقضية ضرب المرأة والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض. وقضية استرقاق واستعباد العنصر الأسود (الزنوج) والتعدي عليه من طرف غريمه الأبيض.

ثامناً: توظيف عناصر الهوية الوطنية الإفريقية، التي تكمن في التراث الزنجي القائم على: الرقص، الغناء، اللباس، اللون، الطبيعة، الخرافة، الأسطورة واستحضار السحر والأشباح، وطقوس الموت والتأبين،وتمسك المجتمع الزنجي الأفرو أمريكي بعاداته وتقاليده، رغم قمعه من قبل البيض.معإبراز دور المرأة الزنجية في بناء المجتمع الأسود، رغم ما تعرّضت له من ظروف بائسة.

تاسعاً: الكشف عن اللغة المستعملة في الروايتين من طرف الكاتبة، فهي لغة الزنوجوتمثل اللغة الإنجليزية كما يتحدثها الزنوج، مع الكشف عن تعدد الأصوات وعلاقته بتعدد الشخصيات في بناء النص الروائي. بالإضافة إلى الوقوف على حقيقة الأوضاع المتردية التي عاشها المجتمع الزنجي لفترة طويلة من الزمن، وكيف حاولت الكاتبة أن تسترجع لهم حقوقهم –التي غيبها الزمن– ببعث الحياة في جانب مهم من الواقع الأمريكي الذي سيطر فيه العنصر الأبيض على

حياة الزنوج، ما دفع بهم إلى الانسلاخ والهروب من الفضاء الذي يشغله البيض، إلى فضاءات أخرى تكاد تخلو منهم.

وأخيراً: فإن الدارس لروايات توني موريسون يشعر بكثافة الكم الثقافي الهائل، والثراء المعرفي الذي تقف وراءه الكاتبة توني موريسون. ويقف على حقيقة المكانة التي تحتلها في الأدب الأمريكي، والبصمة التي وصمتها برواياتها في مسار الإبداع النسوي في الأدب الأمريكي والعالمي. وهي روايات يمكن أن تُدرس من زوايا عديدة ومداخل متنوعة، بسبب غناها الفكري والفني، وتجدد بُناها السردية.

وقد استطاعت الكاتبة من خلال روايتيها أن تقدم لنا شخصيات نسائية ذات أبعاد إنسانية، بضعفها وقوتها وانكسارها وأحلامها وإصرارها على مواصلة الحياة، والمقاومة من أجل البقاء والاستمرار، لها مقوماتها وسماتها الزنجية الإفريقية. شخصيات تعيش في عالم واقعه مؤلم ومرير، تقاوم رغم المعاناة وتتطلع إلى حياة أفضل وذلك بصمودها في وجه غريمها الأبيض الذي سلبها كل شيء ليطمس الهوية الإفريقية فيها.

وتبقى أعمال هذه الروائية الأفرو أمريكية، تحتاج إلى الكثير من التنقيب والبحث في ثناياها وجذورهاالعميقة؛ لما تحمله من ثراء أدبي واجتماعي وفكري. يعكس المستوى العالي الذي تقبع خلفه صاحبة نوبل توني موريسون.

وفي الختام أرجو أن يكون هذا العمل نقطة البدايةلإنجاز أعمال وبحوث أخرى، وسنداً يُعتمدُ عليه في الدراسات الأدبية والإفريقية المُقبلة.

الملاحق

1- صورة الغلاف لـ رواية "العين الأكثر زرقة".

2- ملخص رواية "العين الأكثر زرقة".

3- صورة الغلاف لـ رواية "محبوبة".

4- ملخص رواية "محبوبة".

5- ملخص البحث باللغة الفرنسية.

الملحق الأول

صورة الغلاف لرواية العين الأكثر زرقة

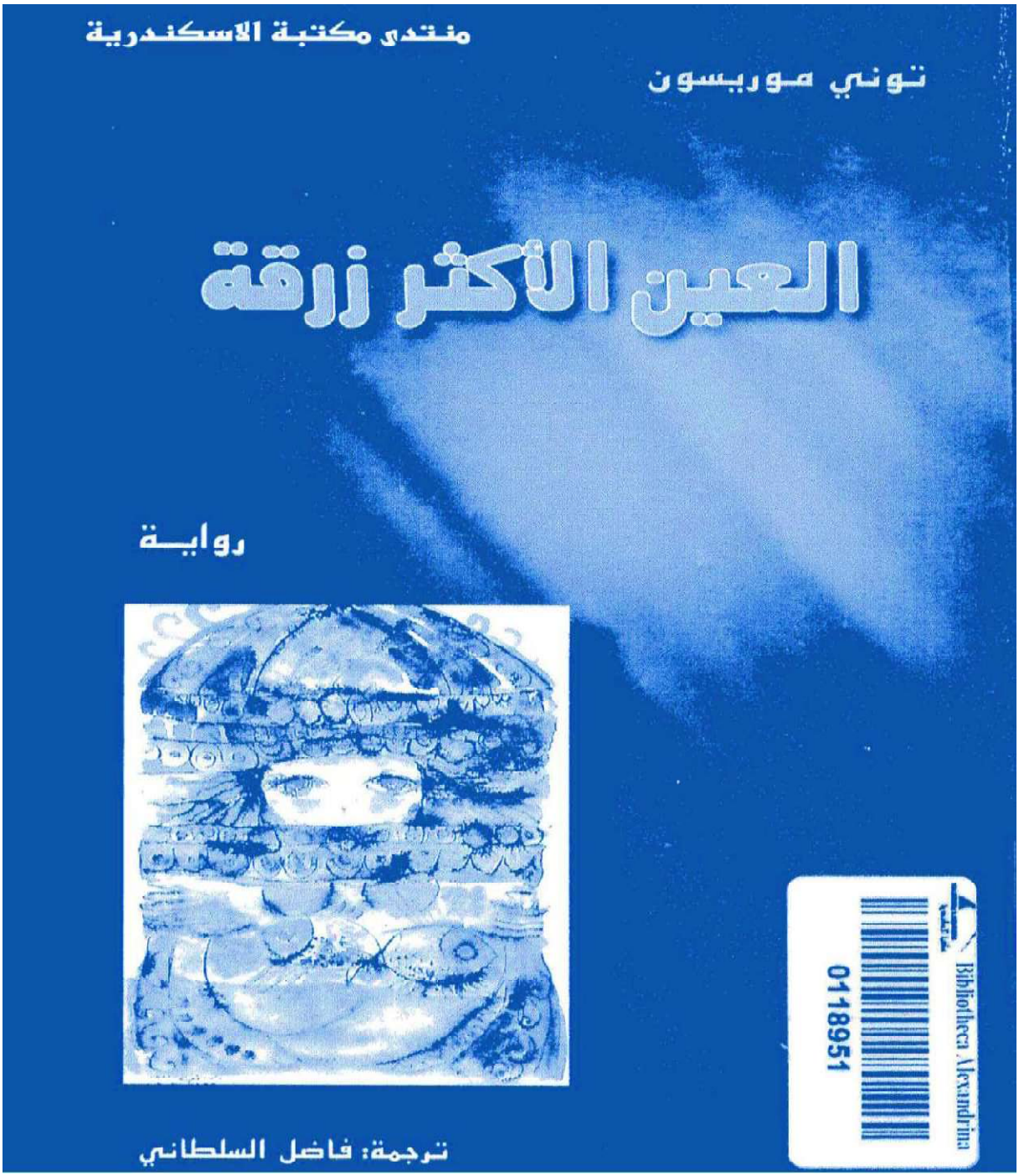

صورة الغلاف لرواية العين الأكثر زرقة (1970) توني موريسون

الملحق الثاني

ملخص رواية العين الأكثر زرقة

ملخص رواية "العين الأكثر زرقة":

تمثل رواية العين الأكثر زرقة أول أعمال الكاتبة توني موريسون، وبها استهلت مسيرتها الروائية عام 1970 التي توجت بجائزة نوبل عام 1993. في هذه الرواية الرائعة نجدها تحكي فيها عن تحقيق أمنية عجيبة للطفلة السوداء بيكولا بطلة الرواية.

وقد بدأت موريسون كتابة الرواية لمّا كانت مشتركة مع مجموعة من الكتاب والشعراء في جامعة هاوارد، وقد حضرت مرة موريسون إلى الاجتماع وهي تحمل معها قصة قصيرة عن فتاة سوداء تتوق إلى الحصول على عيون زرقاء، ثم طوّرت موريسون القصة لتغدو روايتها الأولى بعنوان " العين الأكثر زرقة ". وقد استقت موريسون القصة من أمنية حقيقية لإحدى صديقاتها في المدرسة في سن الطفولة، لمّا كانت تتوق إلى عيون زرقاء. ثم عملت موريسون على تحويل القصة التي بقيت عالقة في ذهنها إلى رواية، تتحدث فيها عن معايير الجمال في زمن العبودية المظلمة التي كانت تسود أمريكا.

وفي هذه الرواية تقع بيكولا بطلة الرواية الفتاة السوداء البشعة ضحية تعلقها وهوسها بالجمال –الذي لم تكن تملك منه أي صفة– طبقاً لمواصفات الطبقة البيضاء إلى حدّ أنّها قضت حياتها وهي تصلي وتدعو الرب لأن يمنحها عيونا زرقاء. فهي بهاته العيون سوف ترى الجمال الذي تراه في عيون صديقاتها اللواتي كانت تقارن نفسها بهن، من أمثال مورين بيل وجوانا وغيرهن من بنات البيض.

فقد شكلت لها الغيرة عقدة احتقار ذاتها فأصبحت تتوارى خلف بشاعة منظرها، . ولتحقيق أمنيتها هذه تذهب بيكولا إلى الكاهن "سوفيد ألهيو ويتكومب" الذي يمنحها العيون الزرقاء والتي كان فيها الضرر كبيراً من خلال إصابتها بالعمى.

وما زادها اختباء واندثاراً إضافة إلى بشاعة المنظر هو معاناتها من التفرقة الطبقية والعنصرية التي اضطرتهما في الكثير من الأحيان إلى الانتقال من مكان لآخر وهو ما عبّرت عنه موريسون في الرواية بالعراء.

وتعالج الرواية موضوع العبودية والرّق من خلال الخادمة بولين التي تعمل لدى إحدى السيدات البيض التي تحرص على خدمتها بكل تفان وإخلاص، وعندما تتشاجر السيدة البيضاء مع زوجها فإنها تطرد الخادمة بولين من دون أن تدفع لها أجرتها، كما تعالج الرواية أيضاً موضوع اغتصاب الفتيات وتعرضهن للذل والهوان دون معاقبة الفاعل والمعتدي الذي تسبب في هذا. فشخصية بيكولا تعيش هذا الموقف؛ حينما اعتدى عليها أبوها ولم يعاقبه أحد على فعلته. وهو السرّ الذي ابتدأت به موريسون روايتها هذه "بهدوء فالأمر يبقى سراً".

وهكذا تدور أحداث الرواية بطريقة قصٍ رائعة ومذهلة، تبدأ فيها موريسون بالسر الذي لم يعد سراً حين كشفت عنه في بداية الرواية وهي قصة حمل بيكولا من أبيها، لنجدها تتحدث عن نهاية القصة في آخر الرواية. ثم تأتي على ذكر نواة الرواية وهي أمنية بيكولا في الحصول على العيون الزرقاء، وتتحقق الأمنية –لدى بيكولا– في امتلاكها العيون الزرقاء رغم استحالتها؛ فقد أُصيبت بالعمى ولم تعد ترى شيئاً. فكان الازرقاق هنا ازرقاق العمى وليس ازرقاق الجمال الذي كانت تبحث عنه، وهذا أيضاً ينم من جهة أخرى على جهل المرأة الزنجية وعدم إدراكها لحقائق

الأمور، حتى وإن كان الأمر متعلقاً بشيء ثمين كالعيون، فهي لا ترى إلّا أنها توهم نفسها بأنها ترى وبالعيون الزرقاء.

وقد أثارت هذه الرواية اهتمام النقاد والجماهير العريضة من القراء ومحبي الأدب؛ لما فيها من حس ملحمي واضح، وتصوير شاعري لدقائق حياة المجتمع الأمريكي الأسود.

وهنا نلاحظ ونكتشف قوة الخيال الواسع الذي تتمتع به توني موريسون؛ وكيف انطلقت من أمنية حقيقية ثم كستها بثوب الخيال الذي أعطاها حلة أدبية في قالب روائي فذ، لا تقدر على صنعه سوى صاحبة نوبل،ذات الخيال الواسع توني موريسون.

الملحق الثالث

صورة الغلاف لرواية محيوية

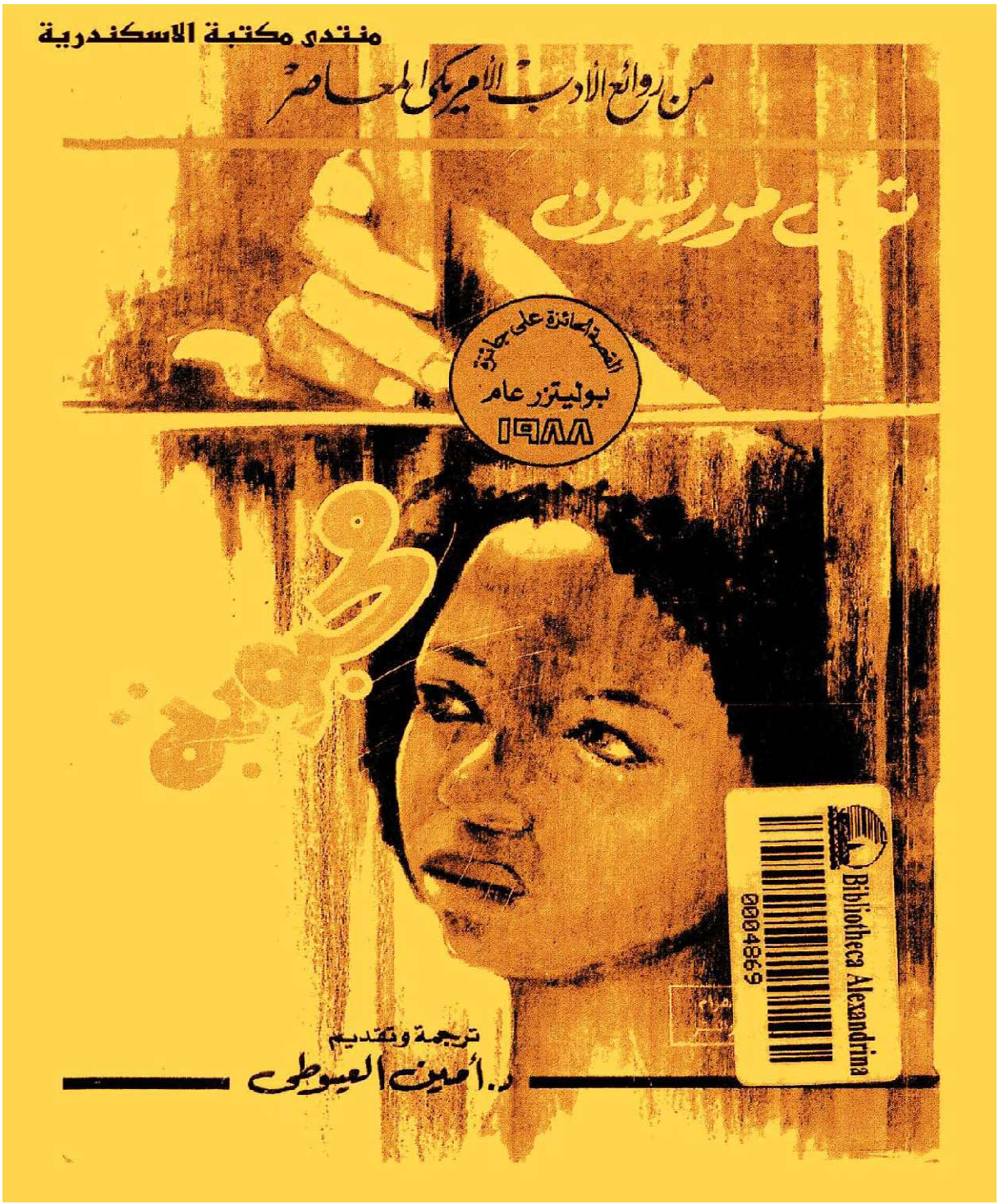

صورة الغلاف لرواية محبوبة (1987)توني موريسون

الملحق الرابع

ملخص رواية محبوبة

ملخص رواية "محبوبة":

"محبوبة" هي الرواية الخامسة للروائية الأفرو أمريكية توني موريسون، نشرت عام 1987، ويرى النقاد أنها من أفضل رواياتها التي قدمتها في مسيرتها الأدبية وهي الحائزة على جائزة بولتزر أكبر الجوائز الأدبية في أمريكا. والرواية قصة حقيقية واقعية تحكي معاناة المرأة **مارغريت غارنر** وهي امرأة سوداء تقتل ابنتها نجاة لها من العبودية. وقد حصلت موريسون على القصة من الكتاب الأسود الذي يحوي مجموعة من التقارير الخاصة بالسود (الأمريكيين الأفارقة). والتقرير يتحدث عن المرأة التي قتلت ابنتها حتى لا تعيش في عالم يحكمه البيض.

وبطلة الرواية هي "سيث" المرأة التي تفرّ من مالكها الأبيض وهي حامل بابنتها "دنفر" من مدينة كنتاكي لتعيش مع أم زوجها الجدة بيبي سجز في ضواحي سنسناتي، وفي أحلك الظروف يتخلى عنها زوجها. وتمر بظروف قاسية ومع ذلك ترسل أبناءها الثلاثة في عربة إلى أوهايو، ثم تلحق بهم لتستقر معهم بعد أن تلد ابنتها دنفر. أمّا ابنتها الأخرى "محبوبة" فقد ماتت منذ زمن بعيد، إلا أن روحها لا تزال تتابع أمها.

وفي يوم من الأيام تحدث المفاجأة وهي قدوم زائرة اسمها محبوبة، لتبدأ القصة من جديد في عودة شبح الطفلة محبوبة للانتقام من "سيث"، ويحاول الجميع حل اللغز ومعرفة هذا الشبح إلا أن سيث لا تريد أن تبوح بأي شيء، إلى أن تُقرّ ذات يوم بقولها: "إن لم أقتلها فإنها كانت ستموت وهذا ما لا أحتمله قط".

وتتحدث الرواية عن العيش في الظلام الذي يمثل لهم أحسن الأوقات ذلك لأن النهار يذكرهم بالعمل الشاق تحت أشعة الشمس والضرب على المؤخرات. وهي صورة للحياة القاسية التي يعيشها السود وهذا ما أرادت موريسون الكشف عنه في روايتها.

ثم تركز الرواية على عمل سيث في بيوت البيض وعن زواجها من "هال" وكيف أن سيدتها البيضاء منعتها من إقامة حفل الزواج، وكيف دبّرت سيث ثوب زفافها الذي كان مجموعة من الرقع ضمتها مع بعضها لتخرج في أقبح صورة لعروس.

وفي وسط الرواية تخبرنا الكاتبة كيف ألقي القبض على سيث لتحاكم بسرقة سيدها، بدلاً من أن تحاكم بقتل ابنتها. وهنا تتضح المفارقات في أفضلية البيض على السود، فجُرم سرقة البيض أكبر من جريمة قتل السود.

أمّا في آخر الرواية فتكشف موريسون حقيقة معاملة البيض للسود من خلال الطريقة التي قتل بها البيض "سيسكو" الذي كان يعمل في حقول البيض، ألقوا عليه القبض ثم ربطوه إلى جذع شجرة وأضرموا فيه النار وهو في كامل وعيه ليطلقوا عليه النار من فوهة بنادقهم ليسكنوه إلى الأبد، في أبشع جريمة تؤدى في حق الرجل الأسود. وتكشف موريسون حقيقة أخرى في القتل والتنكيل بالسود، فهذا "هال" زوج سيث الذي قُطع رأسه وقُطعت أطرافه، ليُعلّق متدلياً كالجذع بلا رأس ولا أطراف على الشجر يراه الجميع. في أسوء صورة للإجرام الإنساني، والبغض الذي يُكنّه البيض للسود.

لقد صوّرت توني موريسون في روايتها هذه الرق بكل مظاهره البشعة، ونجحت إلى أبعد حدٍّ في الكشف عن الحقائق التي لا يريد البيض أن تُكشف، ولا يريد السود تذكّرها.

الملحق الخامس

ملخص البحث باللغة الفرنسية

Résumé

L'image de la femme noire dans l'œuvre de Toni Morrison

Cas de « Beloved » et de «*The BluestEye* »

La thématique de la femme est l'une des thématiques les plus étudiées en littérature et les plus abordés dans les œuvres romanesques où elle occupe une place prépondérante en tant que mère, que sœur, qu'épouse, qu'amante, que fiancée, etc. Les causes pour lesquelles elles luttent sont également au cœur des discours littéraires tels que la cause de la femme travailleuse, de la femme militante, combattante, enseignante et enseignée ainsi que d'autres causes.

Cette étude a pour objectif de connaitre de près l'image de la femme noire à travers deux romans de la romancière afro-américaine Toni Morrison, à savoir « Beloved » et de «The BluestEye ». Il s'agit de deux œuvres où se divulguentune représentation variée ainsi que des questions et des circonstances vécues par la femme noire dans un contexte caractérisé par le complexe de la couleur de la peau et de la race. Nous avons à cet effet tenté de mettre en exergue la femme noire sous toutes ses formes à travers notre corpus. Nous avons également abordé les questions traitées par Morrison dans son œuvre et qui sont en étroite relation avec le réel vécu dans la société américaine connue par le ségrégationnisme.

Pour ce faire, nous avons divisé notre recherche magistrale en quatre chapitres précédés d'une introduction et d'une préface ; sans oublier la conclusion et la liste bibliographique.

Dans la préface, nous avons présenté un aperçu historique sur l'exode des Africains aux Etats-Unis suivi de l'apparition du roman négro-américain, de la vie de la femme noire et sa souffrance sous l'emprise des blancs qui ont méprisé les noirs en général et la femme noir en particulier.

Le premier chapitre intitulé « l'expérience littéraire de Toni Morrison » se focalise sur la biographie de l'auteure depuis ses débuts où elle était influencée par Jane Austen et Léon Tolstoï. Elle appelait comme ceux à la défense des causes humanitaires et à l'instauration de la paix et de la justice ainsi que l'égalité entre les sexes. Nous avons également fait montrer de la grande influence du contexte africain sur ces écritures.

Le deuxième chapitre, intitulé « modèles féminins de la femme noire dans « Beloved » et de «The BluestEye », il a été divisé en axes qui sont les suivants : la femme-mère, l'épouse, la travailleuse, la cultivée, l'opprimée, la prostituée et l'image corporelle de la femme noire. Tous ces axes nous ont permis de découvrir la vraie femme noire qui vit dans un monde sombre, un monde où Sethe égorge sa fille pour qu'elle n'y vive pas.

Le troisième chapitre, intitulé « les questions de la femme noire dans les deux œuvres « Beloved » et de «The BluestEye », il a été scindé en trois axes à savoir :

1- La réalisation de l'identité africaine
2- Les causes sociales
3- Les causes nationales

Ce chapitre nous a permis de mettre en avant les principales questions relatives à l'afro-américain en général et à la femme africaine en particulier. La question identitaire, par exemple, vise à la quête de la liberté par la femme noire. Quant aux questions sociales, elles concernent le travail de la femme noire dans les fermes ou dans les maisons sans oublier l'esclavage qu'elle a subi par l'homme blanc.

Le quatrième chapitre, intitulé « caractéristiques esthétiques des deux œuvres », il présente le cadre spatio-temporel pris en considération par l'auteur. Nous avons donc accordé une grande importance à temps verbaux et aux saisons de l'année. Ajoutons que ces deux œuvres se caractérisent par le dialogisme pris en charge par les différents personnages qui jouent différents rôles. Ce qui nous permet de dire que nous sommes devant deux romans polyphoniques.

En ce qui concerne la conclusion, elle a été consacrée aux résultats de notre recherche. Des annexes ont été joints ; à savoir le résumé en langue française ainsi qu'une liste bibliographique qui nous a servi de base documentaire pour mener à bien cette étude.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم، رواية ورش لقراءة نافع.

أولاً:

المصادر:

توني موريسون:

أ- باللغة العربية:

1) .أكتب للسود، وما علي الاعتذار، تر: ابتسام عبد الله، عن الغارديان، جريدة المدى، 2015/06/03،الموقع: http://www.almadapaper.net/ar/news/488931، تاريخ الاطلاع: 2015/11/11.

2) . الحياة في صندوق أسود (صفحات خاصة)، جريدة الفجر، يومية جزائرية مستقلة، ترجمة: عبد الغني بو معزة في 27 ديسمبر 2011، الموقع: http://www.al-fadjr.com/ar/culture/198572.html، تاريخ الاطلاع: 2015/12/12

3) . العين الأكثر زرقة، تر: فاضل السلطاني، دار الطليعة الجديدة، سوريا دمشق، ط 1، 1997.

4) . العين الأكثر زرقة، الموقع:http://ktb.io/books/1006، تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.

5) . بيار بورديو يحاور توني موريسون، نرى كما لم نر أبداً، (نص حواري غير منشور)، تر: أحمد عثمان، الموقع: http://www.uob.edu.bh/uob__files/436/issue23/23_211_217.pdf، تاريخ الاطلاع: 2015/11/30.

6) . جاز، تر: محمد عيد إبراهيم، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1995.

7) . جاز، الموقع: http://ktb.io/books/588، تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.

8) . رواية عن الطفلة الأقل سمرة، نيويورك، مجلة العربي الجديد، 4 ديسمبر2014. الموقع: www.alaraby.co.uk/culture/، تاريخ الاطلاع: 2015/11/24.

9) . صورة الآخر في الخيال الأدبي، تر: محمد مشبال، منشورات: مشروع البحث النقدي ونظرية الترجمة (PROTARS III)، كلية الآداب ظهر المهراز- فاس، ط 1، 2009.

10) . فردوس، تر: علي باشا، راجعه عن الأصل حنا عبود، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية- دمشق، ط1، 1999.

11) . فردوس،الموقع:http://ktb.io/ 1091،تاريخ الاطلاع: 2015/11/20.

12) . محبوبة، تر: د.أمين العيوطي، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، شارع الجلاء القاهرة، ط 1، 1989.

ب- باللغةالأجنبية:

1) .Toni Morrison Bibliography, par: Chintha Nagab hushanam, 2006.

2) . Toni Morrison, une fille de l'Ohio, Biographie, www.ens.fr/actualites/dhc/morrison.html. 05/10/2014.

3) .Vladimir Kleyman Toni Morrison ,Song of Solomon, edition published by Spark Publishing, Copyright ©2002 by SparkNotes llc, New York, NY 10011, 10/10/2014.

ثانياً: المراجع

- **باللغة العربية:**

1) . أفرام سليمان متي (القس)، المرأة عبر التاريخ، قناة عشتار الفضائية، الموقع: http://www.ishtartv.com/book,81,books.html، تاريخ الاطلاع: 2016/03/01، د. ط.

2) .حمدي شفيق، الإسلام محرر العبيد (التاريخ الأسود للرق في الغرب)، خاص لموقع المنشاوي للدراسات والبحوث، د.ط، الموقع:www.minshawi.com

3) .عبد الحميد بورايو، منطق السرد، دراسات في القصة الجزائرية الحديثة، الجزائر:ديوان المطبوعات الجامعية، د. ط، 1994 م.
4) . عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والنشر، الكويت، ديسمبر 1998، د.ط.
5) . على شلش، الأدب الأفريقي، عالم المعرفة، الكويت، مارس 1993، د.ط.
6) . محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقيا، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت- أكتوبر 1980.
7) . مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ط 2، 2009.
8) . مليكة بن بوزة، جهود توني موريسون في تأصيل ثقافة الزنوج في أمريكا- من التهميش إلى الواجهة. كتاب الأبحاث، الجزء الأول، المؤتمر الدولي الخامس لكلية الآداب: التعددية الثقافية في اللغة والأدب، جامعة الزيتونة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية و آدابها (17 – 18 – 19 نوفمبر 2015)، الأردن.

- **المراجع المترجمة:**

1) . إيمي سيزير، مأساة الملك كريستوف، تر: أحمد منور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009.
2) .ب.س. لويد، أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي، تر: شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أبريل، 1980، د.ط.
3) . دبي الثقافية، في الشعر الإفريقي المعاصر (جيل الرواد نموذجاً)، تر و تق: حسن الغرفي، مجلة دبي الثقافية، ط 1، 2012.

- **الرسائل الجامعية:**

1) . إبراهيم قادة، صورة المرأة في الشعر المغربي، ماجستير، كلية الآداب، جامعة باتنة، الجزائر، 2008.

2) . بوراس منصور، البناء الروائي في أعمال محمد العالي عرعار الروائية، ماجستير، كلية الآداب، جامعة سطيف، د. ت.

3) . صفاء المحمود، البنية السردية في روايات خيري الذهبي "الزمان والمكان" ماجستير، كلية الآداب، جامعة البعث، 2010.

4) . قمرة عبد العالي، البنية الزمكانية في رواية "الرماد الذي غسل الماء" لعز الدين جلاوي، ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة،2012.

5) . وائل علي فالح الصمادي، صورة المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، د. ت.

المعاجم والقواميس:

1) . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 1، ج13.

2) . جرجي شاهين عطية، المعتمد، قاموس عربي - عربي، دار صادر بيروت، لبنان، ط 1، 2000.

- **المواقع الالكترونية:**

1) .ابتسام عبد الله، توني موريسون.. جوهرة الأدب الأمريكي السوداء، المدى الثقافي: عن الأوبزرفر، الموقع: www.almadapaper.net
،http://www.yemeniamerican.com/show.php?yid=87
تاريخ الاطلاع 2015/11/23.

2) . الحوار، رشفة.. توني موريسون، مجلة جزايرس، نشر في الحوار يوم 13.05.2009.
الموقع: http://www.djazairess.com/elhiwar/13854
تاريخ الاطلاع: 2015/11/15.

3) . الميثاق الأفريقي لحقوق الإنسان، تمت إجازته من قبل مجلس الرؤساء الأفارقة، الدورة العادية رقم 18 في نيروبي (كينيا) يونيو عام 1981.

4) . أنديرا مطر، الكتابة تحررني من فراغ الشيخوخة، جريدة القبس،يوم 29.04.2015،
الموقع: www.alqabas.com.kw/Articles.aspx?ArticleID=1047988&CatID=330
تاريخ الإطلاع: 2015/11/12.

5) . إيما بروكز، توني موريسون لا تشعر بالذنب اتجاه أي شيء، صحيفة في المرصاد، صحيفة إلكترونية مستقلة، عمان، 12.06.2012،
الموقع: www.filmirsad.com/content، تاريخ الاطلاع: 2015/11/23.

6) .باسم محمود، توني موريسون تغازل الواقعية السحرية مجدداً، يوم 07.06.2015.
الموقع: www.seoudi-law.com/?p=22666#.Vs15sn3hBkg تاريخ الإطلاع: 2015/11/30.

7) .جاد الحاج، توني موريسون في "فردوس". الأنانية تلوث مأتي عام من الألم والانتصار في لحظة المكابرة، 1998/02/25.
الموقع: http://daharchives.alhayat.com/issue_archive، تاريخ الاطلاع: 2010/11/15،

8) . جاكلين سلام، رحمة رواية توني موريسون الجديدة عن زمن العبودية، مجلة مصرس، نشر في نقطة ضوء، يوم 2009/08/30، الموقع: www.masress.com/ndawa/85، تاريخ الاطلاع: 2015/12/02.

9) .حمدي عبد الرحمن حسن، سياسات التنافس الدولي في إفريقيا، مجلة قراءات أفريقية، العددالثـاني، سبتمبر 2005، الموقع: www.qiraatafrican.com تاريخ الاطلاع: 2015/11/20.

10) . خالد صبري محمد سليمان عبد الله، توني موريسون: دراسة الموضوعات وتقنيات أعمالها الروائية المهمة، جامعة صنعاء، كلية اللغات، 2007، منتدى الإيوان 24 مارس 2010. الموقع : http://www.iwan7.com/t1493.html، تاريخ الاطلاع: 2015/12/15

11) . شيماء فؤاد، توني موريسون .. الكاتبة التي حاربت العنصرية بقوة الأدب، جريدة الشعب الجديد، الموقع: www.elshaab.org تاريخ الاطلاع: 2015/11/12.

12) .كمال الرياحي، أصوات الرواية.. كبار الروائيين يكشفون طقوس الإبداع، الجزيرة نت، الخميس 18.06.2015، الموقع: http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2015/6/18 تاريخ الاطلاع: 2016/03/01.

13) . لطيفة الدليمي، توني موريسون.. عن الحب والفقدان والحداثة، جريدة المدى، يوم 01.10.2014، الموقع: http://www.almadapaper.net/ar/news/472683، تاريخ الاطلاع: 2015/11/10.

14) . لينا فاضل، شخصية الأسبوع في صوت العقل-6- توني موريسون، قسم الترجمة في منظمة صوت العقل، يوم 2013/07/24، الموقع: http://thevoiceofreason.de/mobile_site/ar/article/5774. تاريخ الاطلاع: 2016/03/01.

15) . مراد بن منصور، (مقال) في أروقة جنون الثقافية، الروايات العالمية، يوم 2010/10/06 ،

الموقع: (http://gn0o0n.com/vb/showthread.php?t=5059).

تاريخ الاطلاع: 2015/10/10.

16) . مصطفى عبدي، الرحمة لـ توني موريسون، منتدى كوباني، المنتدى الثقافي والأدبي،الموقع: www.kobanikurd.com/vb/archive/index.php/t-8105.html

تاريخ الاطلاع: 2015/11/25.

17) . منيرة أبي زيد، الأدب الأمريكي الأسود.. من العبدة ويتلي إلى جائزة نوبل توني موريسون، شبكة الأمة برس الإخبارية،الموقع:

http://www.thenationpress.net/news.php?lid=1&cat=157&newsi=1&newsid=8360

تاريخ الاطلاع: 2015/11/23.

18) . نجاح القاضي، الروائية توني موريسون: نضال أدبي من أجل زنوج أمريكا، مجلة الحياة، 2004/06/28.الموقع:

.http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/ A7.html

تاريخ الاطلاع: 2015/11/13.

19) . نقوس المهدي، العين الأكثر زرقة، توني موريسون، منتدى مطر، الموقع: http://www.matarmatar.net/threads/8216/ ، تاريخ الاطلاع: 2015/11/29.

20) . ياسمين المساوي، توني موريسون صاحبة نوبل حاربت العنصرية بكتاباتها، مجلة دوت مصر، الخميس 2014/09/18،

الموقع: http://old.dotmsr.com/ar/604/1/81890.

تاريخ الاطلاع: 2015/11/10.

21) .يوميات القلم – أشهر (لا) في تاريخ أمريكا، صحيفة البيرق الإلكترونية مرخصة من وزارة الإعلام، يوم 3نوفمبر، 2012، الموقع: http://www.albayrag.com/?p=7419.

تاريخ الاطلاع: 2015/11/20.

المراجع باللغة الأجنبية:

1) . André Durand: Comptoir littéraire Jane Austen(Angleterre).:www.comptoirlitteraire.com, 23/10/2014.
2) . Jean-Michel Kalmbach, La femme africaine dans Les honneurs perdus de Calixthe Beyala, Mémoire de licence, Université de Jyväskylä, Institut de langues modernes, et classiques le 21.2.2008 ,Vanamo Kuosmanen.
3) . Julie Nguetsé, femme en afrique (crasc) et l'image de la femme dans le roman feminin francophone camerounais.
4) . KodjoAttikpoé, la représentation du passé dans la littérature africaine pour la jeunesse, vol. 11. n°2, 2008.
5) . Néba Fabrice Yale, La Violence dans l'esclavage des colonies Francaises au XVIIIe Siècle, , Mémoire de Master1 science humaines et sociales, 2008-2009.
6) . Philip Yancey: "Literature Leo Tolstoy" , best-selling author. Reprinted from Soul Survivor: How Thirteen Unlikely Mentors Helped My Faith Survive the Church. Yancey, a writer whoen joys exploring the deepest mysteries of his faith, is also editor at large of Christianity Today.
7) . The Library of America • Story of the Week : Reprinted from The Lincoln Anthology: Great Writers on His Life and Legacy from 1860 to Now (The Library of America, 2009), © Copyright 2009 Literary Classics of the U.S., Inc. First appeared in the February 7, 1909, issue of the New York World.

قائمة الموضوعات

قائمة الموضوعات

الإهداء 4

كلمة شكر 5

صورة توني موريسون 6

- **مقدمة :** 8

- **التمهيد:**.....15

1- هجرة الرجل الإفريقي إلى قارة أمريكا 16

2- ظهور الرواية الزنجية في أمريكا 19

3- حياة المرأة الزنجية في أمريكا 23

4- الـ (لا) التي غيرت من تاريخ أمريكا 26

5- موضوعات توني موريسون..... 28

- **الفصل الأول: تجربة توني موريسون الأدبية**.....32

1- النشأة والميلاد.....33

أ- تأثرها بـ : جان أوستان Jane Austen 46

ب-تأثرها بـ : ليون تولستوي Leon Tolstoy 48

2- أثر الحياة الإفريقية في أعمال توني موريسون. 49

- **الفصل الثاني: النماذج النسائية للمرأة الزنجية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة"** 56

1- صورة المرأة الأم 57

2- صورة المرأة الزوجة 64

3- صورة المرأة العاملة 67

4- صورة المرأة المثقفة 70

5- صورة المرأة المضطهدة 72

6- صورة المرأة المومس 75

7- الصورة الجسمية للمرأة الزنجية 78

- **الفصل الثالث: قضايا المرأة الزنجية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثرزرقة"**...82

I. القضايا الاجتماعية:..... 82

1- قضية تحقيق الذات 83

2- قضيةعمل المرأة 84

3-قضية ضرب المرأة والتعدي عليها من طرف الزوج أو الرجل الأبيض..86

4- قضية استرقاق واستعباد الزنوج.....89

II. الهوية الثقافية الإفريقية:..... 92

1.توظيف التراث الزنجي (الغناء والرقص واللباس) للحفاظ على الهوية الإفريقية.....93

2- اللون، الطبيعة والخرافة (السحر والأشباح) وطقوس الموت كرموز إفريقية..... 100

3- رفض العبودية ومحاربة العنصر الأبيض. 109

الفصل الرابع:الملامح الفنية في روايتي "محبوبة" و"العين الأكثر زرقة" 113

I- بنية الزمن الروائي.....113.

II- بنية المكان الروائي.....121

III- التقنيات المستخدمة في لغة الحوار في الروايتين 126

1- لغة الحوار 127

2- بناء الحوار الروائي 131

3- تعدد الشخصيات..... 137

4- تعدد الأصوات 141

5– تعدد الضمائر 142

خـاتمة 146

الملاحق 149

الملحق الأول: صورة الغلافلرواية "العين الأكثر زرقة" 151

الملحق الثاني: ملخص رواية"العين الأكثر زرقة"..... 153

الملحق الثالث: صورة الغلافلرواية"محبوبة".....157

الملحق الرابع:ملخص رواية "محبوبة"..... 159
الملحق الخامس:ملخص البحث باللغة الفرنسية..... 163
قائمة المصادر والمراجع..... 166
قائمة الموضوعات..... 175